

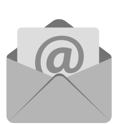
عَائِشْ أمْ دَاعِشْ!

al-qatrah.net



موقع رؤى ومحاضرات الشيخ الحبيب

al-qatrah.net



alqatrah@gmail.com



@Sheikh_alHabib



syalhabib



+447999997975



+441753355355

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلاةُ والسَّلامُ عَلىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَلَعْنَةُ اللهِ عَلىٰ أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ

تقديم

هذا الكتيب مقتبس من كتاب (الفاحشة الوجه الآخر لعائشة) للشيخ ياسر الحبيب ويتضمن تفاصيل معركة الجمل بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام وعائشة وطلحة والزبير لعنهم الله.

ومن الله نسأل القبول.

أول امرأة إرهابية في الإسلام!

هذا هو الجانب الأكثر قتامة في شخصية عائشة بنت أبي بكر، أنها كانت ذات نزعات وحشية عدوانية، فلا ترقُبُ في المؤمنين إلاًّ ولا ذمة، ولا تعبأ بقتل الأبرياء و إهدار دمائهم، فتأمر بالقتل وتفتي بسفك الدماء، وتحضّ على الحرب وتحرّض على الاعتداء، كل ذلك عندها يهون إذا كان في سبيل تحقيق طموحاتها السياسية وآمالها الشخصية!

ولقد كانت عائشة ذات استعداد نفسي للإقدام على القتل المتهوّر، وهو ما تدلّنا عليه حادثة قتلها للجنيّ المسلم المذكورة في روايات أهل الخلاف.

روى ابن أبي شيبة عن عائشة بنت طلحة: «عن عائشة أم المؤمنين أنها قتلت جاناً! فأُتِيَت في ما يرى النائم فقيل لها: أما والله لقد قتلتِ مسلماً! قالت: فَلِمَ يدخل على أزواج النبي ﷺ؟ فقيل لها: ما تَدَخَّلَ عليكِ إلا وعليكِ ثيابك! فأصبحتْ فزِعَةً وأمرتْ باثني عشر ألفاً في سبيل الله».[١]

وروى الحارث بن أبي أسامة عن عبد الله بن أبي مليكة أن عائشة بنت طلحة حدثته: «أن عائشة أم المؤمنين قتلتْ جِنَّاناً! فأُرِيَتْ في ما يرى النائم فقيل لها: والله لقد قتلتِ مسلماً! فقالت: والله لو كان مسلماً ما دخل على أزواج النبي ﷺ! فقيل لها: وهل كان يدخل عليكِ إلا وأنت مُتجَلببَةٌ أو مُخمَّرة؟! فأصبحتْ وهي فَزِعَةٌ فأمرتْ باثني عشر ألفاً فجعلتها في سبيل الله عز وجل».[٢]

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ج 7 ص243 وعنه التمهيد لابن عبد البر ج 11 ص118.

(٢) مسند الحارث ج 1 ص485، والجِنّان هي حية بيضاء بيتية، وهو محمول على أن الجانّ قد تمثّل به لقوله: «لقد قتلتِ مسلماً». وعلى فرض أن الجانّ لم يتمثّل به؛ فإن عائشة تكون قد ارتكبت بذلك مخالفة لأمر النبي ﷺ الذي نهى عن قتلها حسبما يرويه المخالفون! قال الربيع بن بدر: «الجانّ من الحيّات التي نهى النبي ﷺ عن قتلها، هي التي تمشي ولا تلتوي». راجع تفسير القرطبي ج 1 ص317.

وروى الذهبي عن عائشة بنت طلحة: «أن عائشة قتلت جاناً! فأُتِيَتْ في منامها: والله لقد قتلتِ مسلماً! قالت: لو كان مسلماً لم يدخل على أزواج النبي ﷺ. فقيل: أَوَ كان يدخل عليكِ إلا وعليكِ ثيابك؟! فأصبحتْ فَزِعةً فأمرت باثني عشر ألف درهم فجعلتها في سبيل الله».[١]

وقال القرطبي في تفسيره: «رُوي من وجوه أن عائشة زوج النبي ﷺ قتلتْ جاناً! فأُرِيَت في المنام أن قائلاً يقول لها: لقد قتلتِ مسلماً! فقالت: لو كان مسلماً لم يدخل على أزواج النبي ﷺ. قال: ما دخل عليكِ إلا وعليكِ ثيابك! فأصبحت فأمرتْ باثني عشر ألف درهم فجُعِلتْ في سبيل الله. وفي رواية: ما دخل عليكِ إلا وأنت مستترة! فتصدّقتْ وأعتقتْ رقاباً».[٢]

وروى الذهبي وابن حزم عن عبد الله بن أحمد بن حنبل بسنده عن عائشة بنت طلحة قالت: «كان جانٌّ يطلع على عائشة، فحَرَجت عليه مرة بعد مرة بعد مرة، فأبى إلا أن يظهر، فعَدَتْ عليه بحديدة فقتلته!

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج 2 ص196.

(٢) تفسير القرطبي ج 1 ص317.

فأُتِيَتْ في منامها فقيل لها: أَقتلتِ فلاناً وقد شَهِدَ بدراً! وكان لا يطلعُ عليك لا حاسراً ولا متجردةً إلا أنه كان يسمع حديث رسول الله ﷺ ! فأخذها ما تقدّم وما تأخّر فذكرتْ ذلك لأبيها، فقال: تصدّقي باثني عشر ألفاً ديته». (١)

إن الذي يعنينا من هذه الروايات هو تثبيت النزعة الإجرامية لعائشة واستعدادها النفسي للإقدام على القتل، إذ كانت الحميراء شاذةً عن طبيعة الإناث من هذه الناحية، فإن الأنثى بطبعها ضعيفة رقيقة لا تتجرأ أن تقتل و إنْ بحق، كما لا تملك أن تواجه إنساناً فكيف بجانٍ! أما عائشة فقد كانت من الجرأة والجسارة والتهوّر بمكان أن تحمل حديدة وتواجه جاناً لا إنساناً ثم تقتله بغير وجه حق حيث ظهر أنه مسلم بريء وقد شهد بدراً! لهذا فإن عائشة شاذة عن طبيعة الإناث من هذه الناحية

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج 2 ص196 والمحلّى لابن حزم ج 10 ص394، ومن رجوعها إلى أبيها يُعلم أن زمن وقوع ذلك كان بعد استشهاد النبي الأعظم ﷺ .

وأقرب إلى طبيعة الرجال القَتَلة، وقد مرّ قول عمر بن عبد العزيز ووصفه لها بأنها: «كانت رَجُلَة»![1]

والتي يسهل عليها أن تباشر القتل؛ يكون أسهل عليها الفتوى به والتحريض عليه! وهذا هو ما مضت عليه عائشة منذ أن تبوّأت في زمان أبيها ومَن تلاه تلك الموقعية المرموقة التي أباحت لها الفتوى واستحلال دماء الناس كيف شاءت! وهو ما ترتّب عليه مقتل الآلاف المؤلّفة من الأبرياء فضلاً عن كبار المؤمنين والمسلمين!

وقد تقدّم في الفصل الثالث - من كتاب الفاحشة - خبر فتوى عائشة بقتل عثمان بن عفان بقولها: «اقتلوا نعثلاً فقد كفر»![2]

---

(١) كانت عائشة عند عمر بن عبد العزيز في الرأي رَجُلَةً ونِعْم الرجال! فقد قال: «كانت عائشة رَجُلَة الرأي»! على ما ورد في غريب الحديث لإبراهيم الحربي ج 2 ص137. وفي هامش كنز العمال ج 6 ص697: «وفي رواية: لعن الله الرَّجُلَةَ من النساء، بمعنى المُتَرَجِّلَة. ويُقال: امرأة رَجُلَة إذا تشبّهتْ بالرّجال في الرأي والمعرفة، ومنه الحديث: إن عائشة كانت رَجُلَة الرأي»!

(٢) الفاحشة الوجه الآخر لعائشة ص528.

وكذا تقدّم خبر فتواها بقتل أخيها محمد بدعائها عليه: «أباد الله ابن أبي بكر.. قتل الله مُذَمَّماً»![1]

وههنا نعرض أخباراً أخرى تكشف عن مزيد من فتاوى عائشة الإرهابية - اللفظية منها والعملية - وما سبّبته من جرائم ومجازر وانتهاكات بشعة!

(١) التاريخ الصغير للبخاري ج ١ ص١٢١ ومعجم الطبراني ج ١ ص٨٨ واللفظ للأول، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ج ٤ ص٢٩٥ والبيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص٢١٠.

فتوى عائشة بإهدار دم أحد خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله !

عثمان بن حُنيف الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) أحد أجلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين وفوا بما عاهدوا عليه الله تعالى. جاهد بين يدي النبي صلى الله عليه وآله في مشاهده وحروبه كلها بدءاً من بدرٍ كما ذكره الترمذي،[١] وكان يعقد جلسات العلم في المسجد النبوي الشريف ويحدّث عن

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج 4 ص371 عن الترمذي، ونسب إلى الجمهور القول بأن أول مشاهده أُحُد.

رسول الله ﷺ ناقلاً تعاليمه وآثاره لئلا تضيع ،(١) ومن بين أحاديثه حديث التوسّل الشهير الذي يثبت مشروعية النداء: «يا محمد»،(٢) ولم يكن من الذين خانوا العهد والميثاق بعد استشهاد نبي الرحمة ﷺ فبقي وفياً ووقف

(١) أخرج أحمد بن حنبل في مسنده ج 4 ص138 عن هانئ بن معاوية الصدفي قال: «حججت زمان عثمان ابن عفان فجلستُ في مسجد النبي ﷺ ، فإذا رجلٌ يحدّثهم قال: كنّا عند رسول الله ﷺ يوماً فأقبل رجلٌ فصلّى في هذا العمود، فعجّل قبل أن يُتِمَّ صلاته ثم خرج . فقال رسول الله ﷺ : إن هذا لو مات لمات وليس من الدين على شيء! إن الرجل ليخفّف صلاته ويُتِمُّها. قال: فسألتُ عن الرجل من هو؟ فقيل: عثمان بن حُنيف الأنصاري».

(٢) أخرج الطبراني في معجمه الكبير ج 7 ص410 عن أبي أمامة سهل بن حُنيف: «أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكى ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ، ثم ائت المسجد فصلِّ فيه ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فتقضي لي حاجتي. وتذكر حاجتك، ورُحْ حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، فأجلسه معه على الطنفسة حنيفا، فقال: حاجتك؟ فذكر حاجته وقضاها له، ثم قال له: ما ذكرتُ حاجتك حتى كان الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فاذكرها. ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان ابن حنيف فقال له: جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليَّ حتى كلّمتَه فيَّ، فقال عثمان ابن حنيف: والله ما كلمتُه، ولكني شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير فشكى إليه ذهاب بصره، فقال له النبي ﷺ : فتصبّر، فقال: يا رسول الله؛ ليس لي قائد وقد شقَّ عليَّ، فقال النبي ﷺ : ائت الميضأة فتوضأ، ثم صل ركعتين، ثم ادع بهذه الدعوات، قال ابن حنُيف: فوالله ما تفرّقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضُرٌّ قط»! ونحوه في مسند أحمد ج 4 ص138 ومستدرك الحاكم ج 1 ص313 وسنن الترمذي ج 5 ص229 وسنن النسائي ج 6 ص169.

ضد انقلاب أبي بكر وعمر على الشرعية الإسلامية، ومن مواقفه المشهودة في هـذا الـشأن تـصدّيـه لأبي بـكر حين اعتلى المنبر في مسجـد النبي صلى الله عليه وآله و إنكاره عليه اغتصابه للخلافة مؤكداً حق أهل البيت عليهم السلام فيها، حيث قال: «سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أهل بيتي نجوم الأرض فلا تتقدَّموهم وقدِّموهم فهم الولاة من بعدي، فقام إليه رجلٌ فقال: يا رسول الله وأيُّ أهل بيتك؟ فقال: علي والطاهرون من وِلْدِه. وقد بيّن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلا تكن يا أبا بكر أول كافر به! وَلَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»![١]

وكان عثمان بن حُنيف مع هذا رجلاً ذا بصر وعقل ومعرفة وتجربة ولذا أجمع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله حين استشارهم عمر بن الخطاب في أمر العراق، فنزل على مشورتهم وولّاه وأغنى في ولايته غَناءً يقلّ نظيره حتى كان خراجه منها ما يزيد على مئة مليون! قال ابن عبد البرّ: «ذكر العلماء بالأثر والخبر أن عمر بن الخطاب استشار الصحابة في رجلٍ يوجّهه إلى العراق، فأجمعوا جميعاً على عثمان بن حُنيف وقالوا: إن تبعثه على أهمّ

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ج 1 ص103.

من ذلك فإن له بصراً وعقلاً ومعرفةً وتجربةً، فأسرع عمر إليه فولّاه مساحة أرض العراق، فضرب عثمان رضي الله عنه على كل جريب من الأرض يناله الماء غامراً وعامراً درهماً وقفيزاً، فبلغت جباية سواد الكوفة قبل أن يموت عمر بعام مئة ألف ألف ونيفاً»!(١)

وعندما رجعت الخلافة إلى صاحبها وتولّى أمير المؤمنين عليه السلام الحكم، تولّى عثمان بن حنيف بأمرٍ منه عليه السلام ولاية البصرة، وانضمّ إلى «شَرَطَة الخميس» وهم طليعة أصحابه عليهم السلام الذين تشارطوا وتعاقدوا على المنيّة دفاعاً عن إمامهم وعلى أن يكونوا أول من يبدأ بالقتال إذا نشبت الحرب.(٢)

هذا الرجل المؤمن المجاهد الذي قضى عمره في صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله ونصرة الإسلام وخدمة دين الله عز وجل.. كيف عاملته عائشة وبماذا أفتت في حقّه؟

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ج 3 ص89.

(٢) الفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ج 3 ص78 عن رجال البرقي. وشَرَطَة: الذين تشارطوا على شيء. والخميس: الجيش، إذ هو مؤلّف من خمسة أقسام: المقدّمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب.

ذكر المؤرخون أنه عندما توجّهت عائشة بجيشها إلى البصرة كان عثمان بن حُنيف والياً عليها من قِبَل أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان الأمير عليه السلام قد أرسل إليه من الرَّبَذة كتاباً هذا نصّه: «من عبد الله عليٍّ أمير المؤمنين إلى عثمان بن حنيف. أما بعد؛ فإن البغاة عاهدوا الله ثم نكثوا وتوجّهوا إلى مصرك، وساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى الله به، والله أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً. فإذا قدموا عليك فادعُهُم للطاعة والرجوع إلى الوفاء بالعهد والميثاق الذي فارقونا عليه، فإنْ أجابوا فأحسن جوارهم ما داموا عندك، وإنْ أبوا إلا التمسك بحبل النكث والخلاف فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك وبينهم وهو خير الحاكمين، وكتبت كتابي هذا إليك من الرَّبَذة وأنا معجِّلٌ المسير إليك إنْ شاء الله».[١]

وكان من الطبيعي أن يمتثل عثمان أمر أمير المؤمنين عليه السلام ، فيبادر إلى النصيحة والموعظة درءاً للفتنة والحرب، ولهذا أرسل أبا الأسود الدُّؤلي[٢] إلى كلٍّ من عائشة وطلحة والزبير ليسألهم عن مسيرهم وما الذي أقدمهم؟

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 9 ص312 وعنه نهج السعادة للمحمودي ج 4 ص42.

(٢) هو الذي علّمه أمير المؤمنين عليه السلام قواعد اللغة فنحا نحوها و إليه يُنسب علم النحو.

جاء أبو الأسود إلى عائشة ودخل عليها فسألها عن مسيرها، فقالت: «أطلب بدم عثمان! قال: إنه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحد! قالت: صدقتَ؛ ولكنهم مع علي بن أبي طالب بالمدينة! وجئتُ أستنهض أهل البصرة لقتاله! أَ نغضبُ لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيوفكم؟ فقال لها: ما أنتِ من السوط والسيف؟! إنما أنت حبيسة رسول الله ﷺ أن تقرّي في بيتك وتتليْ كتاب ربّك وليس على النساء قتال ولا لهنّ الطلب بالدماء! و إن علياً لأولى منك وأمسّ رحماً، فإنهما ابنا عبد مناف. فقالت: لستُ بمنصرفة حتى أمضي لما قَدِمتُ إليه، أَ فتظنُّ أبا الأسود أن أحداً يُقدِم على قتالي؟ قال: أما والله لتُقاتلَنَّ قتالاً أهونه الشديد»!(١)

وانضم إلى أبي الأسود عمران بن حُصين الخزاعي صاحب رسول الله ﷺ ، فنصحا عائشة ووعظاها فلم تنتصح وأحالتهما إلى طلحة والزبير، فلقيا الزبير وكلّماه فقال لهما: «إنّا جئنا للطلب بدم عثمان! وندعو الناس إلى أن يردّوا أمر الخلافة شورى ليختار الناس لأنفسهم، فقالا له: إن عثمان لم يُقتل بالبصرة ليُطلب دمه فيها! وأنت تعلم قتلة

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 6 ص226 ونحوه في المعيار والموازنة لأبي جعفر الإسكافي ص57 والإمامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص84.

عثمان مَن هم وأين هم! و إنك وصاحبك وعائشة كنتم أشد الناس عليه وأعظمهم إغراء بدمه! فأقيدوا من أنفسكم! وأما إعادة أمر الخلافة شورى فكيف وقد بايعتم علياً طائعين غير مكرهين؟! وأنت يا أبا عبد الله لم يبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول الله ﷺ آخذٌ قائم سيفك تقول: ما أحدٌ أحقُّ بالخلافة منه ولا أولى بها منه! وامتنعت عن بيعة أبي بكر، فأين ذلك الفعل من هذا القول؟! فقال لهما: اذهبا فالقيا طلحة، فقاما إلى طلحة فوجداه خشن الملمس! شديد العريكة! قوي العزم في إثارة الفتنة و إضرام نار الحرب! فانصرفا إلى عثمان بن حنيف، فأخبراه وقال له أبو الأسود الدؤلي:

يابنَ حُنَيْفٍ قَد أُتيتَ فَانْفرْ   وَطاعِنِ القَومَ وجالدْ واصبِرْ

وابْــرُزْ لهــا مُسْتَلئِـماً وشَمِّــرْ

فقال ابن حنيف: إي والحرمين لأَفعلنَّ، وأمر مناديه، فنادى الناس: السلاح ! السلاح »![1]

---

[1] شرح النهج لابن أبي الحديد ج 9 ص312 عن أبي مخنف لوط بن يحيى الكوفي.

لم يجد ابن حنيف (رضوان الله تعالى عليه) بُدّاً من الاستعداد للحرب لأن عائشة وطلحة والزبير لا يريدون سواها بغياً وعدواناً، وإلا فإنهم - كما قال عمران وأبو الأسود - كانوا أشد الناس على عثمان تأليباً وتحريضاً على قتله، فما عدا مما بدا؟! ثم إن عثمان لم يُقتل في البصرة فلماذا جاءوا إليها يطلبون بدمه؟! أَ أهل البصرة قتلوا عثمان؟!

نعم؛ إنهم لم يأتوا البصرة دون غيرها من الأمصار إلا طمعاً في ما يكتنزه بيت مالها من دراهم ودنانير! وقد اعترف بذلك الزبير بن العوام، فقد روى الطبري عن عوف الأعرابي قال: «جاء رجلٌ إلى طلحة والزبير وهما في المسجد بالبصرة، فقال: نشدتكما بالله في مسيركما، أَعَهِدَ إليكما فيه رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً؟ فقام طلحه ولم يجبه، فناشد الزبير فقال: لا؛ ولكن بلغنا أن عندكم دراهم فجئنا نشارككم فيها»![١]

كانت خطة عائشة وطلحة والزبير تقضي بالاستيلاء على بيت مال البصرة للاستقواء به على حرب علي بن أبي طالب عليه السلام وخلعه عن الخلافة، فقد كانت البصرة آنذاك بلداً غنياً ذو خراج عظيم، لهذا كانت أعين

---

(١) تاريخ الطبري ج 3 ص491.

هؤلاء على بيت ماله منذ بداية تحركاتهم المناهضة لأمير المؤمنين عليه السلام، ولهذا كان لا بدّ عندهم من الحرب لأن عثمان بن حنيف باعتباره والي البصرة لن يقبل باستيلائهم على بيت المال غصباً.

وقد كان أمر التوجّه إلى البصرة للاستيلاء عليها رأي ورغبة عائشة بالأساس كما يظهر من رواية أبي الفداء إذ قال: «ولما بلغ عائشة قتل عثمان أعظمتْ ذلك ودعت إلى الطلب بدمه، وساعدها على ذلك طلحة والزبير وعبد الله بن عمر وجماعة من بني أمية، وجمعوا جمعاً عظيماً، واتفق رأيها على المضي إلى البصرة للاستيلاء عليها».[١]

ولمّا وصلت عائشة وجيشها إلى هناك ولم تنفع معها محاولات عثمان بن حنيف للجنوح إلى السلم، اضطر عثمان لتعبئة البصريّين لحربها ولصدّ حملاتها للاستيلاء على دار الإمارة وبيت المال، فوقعت المناوشات بين الطرفين وبدأ تساقط الجرحى.

كانت الحملة الأولى عندما: «أقبلت عائشة فيمن معها حتى انتهوا إلى المِرْبَد، فدخلوا من أعلاه ووقفوا حتى خرج عثمان فيمن معه،

---

(١) تاريخ أبي الفداء ج 1 ص266.

وخرج إليها من أهل البصرة من أراد أن يكون معها، فاجتمع القوم بالمِرْبد».[١] «فلمّا أقبل طلحة والزبير من المِرْبَدِ يريدان عثمان بن حنيف، وجداه وأصحابه قد أخذوا بأفواه السكك، فمضوا حتى انتهوا إلى موضع الدبّاغين فاستقبلهم أصحاب ابن حنيف فشجرهم طلحة والزبير وأصحابهما بالرماح ! فحمل عليهم حُكَيْم بن جبلة، فلم يزل هو وأصحابه يقاتلونهم حتى أخرجوهم من جميع السكك، ورمتهم النساء من فوق البيوت بالحجارة، فأخذوا إلى مقبرة بني مازن، فوقفوا بها مليّاً حتّى ثابت إليهم خيلهم، ثم أخذوا على مسنّاة البصرة حتى انتهوا إلى الزابوقة ثمّ سبخة دار الرزق، فنزلوها».[٢]

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 3 ص212.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 9 ص318 عن أبي مخنف لوط بن يحيى الكوفي، وقد أضاف أنه لما نزل طلحة والزبير سبخة دار الرزق في تلك الليلة: «أتاهما عبدالله بن حكيم التميمي لمّا نزلا السبخة بكتب كانا كتباها إليه، فقال لطلحة: يا أبا محمّد! أما هذه كتبك إلينا؟ قال: بلى. قال: فكتبتَ أمس تدعونا إلى خلع عثمان وقتله حتى إذا قتلتَه أتيتنا ثائراً بدمه؟! فلعمري ما هذا رأيك، لا تريد إلاّ هذه الدنيا! مهلاً! إذا كان هذا رأيك فلِمَ قبلتَ من عليٍّ ما عرض عليك من البيعة؟ فبايعتَه طايعاً راضياً، ثم نكثت بيعتك، ثم جئت لتدخلنا في فتنتك؟! فقال: إن عليّاً دعاني إلى بيعته بعدما بايع الناس، فعلمتُ أني لو لم أقبل ما عرضه عليَّ لم يتم لي، ثمّ يغري بي من معه»!

وكانت الحملة الثانية في اليوم التالي عندما: «أصبحا من غد فصفّا للحرب، وخرج عثمان ابن حنيف إليهما في أصحابه، فناشدهما الله والاسلام وأذكرهما بيعتهما عليّاً، فقالا: نطلب بدم عثمان! فقال لهما: وما أنتما وذاك، أين بنوه؟ أين بنو عمّه الّذين هم أحقُّ به منكم؟ كلاّ والله ولكنّكما حسدتماه حيث اجتمع الناس عليه! وكنتما ترجوان هذا الامر وتعملان له! وهل كان أحدٌ أشدَّ على عثمان قولاً منكما؟! فشتماه شتماً قبيحاً وذكرا أُمّه![١] فقال للزبير: أما والله لولا صفية ومكانها من رسول الله ﷺ فإنّها أدنتك إلى الظلّ، وإن الأمر بيني وبينك يا ابن الصعبة - يعني طلحة - أعظم من القول؛ لأعلمتكما من أمركما ما يسوءكما! اللهم إني قد أعذرتُ إلى هذين الرجلين. ثم حمل عليهم واقتتل الناس قتالاً شديداً».[٢]

---

(١) هكذا يشتم «الصحابيان الجليلان» طلحة والزبير «الصحابي الجليل» عثمان بن حُنيف شتماً قبيحاً ويذكران أمّه! هنيئاً لأهل «عدالة الصحابة» بصحابتهم!

ألا يتساءل المخالفون: بأي حق يشتم طلحة والزبير عثمان (رضوان الله عليه) ويشتمان أمّه؟! فإن كان مستحقاً لذلك سقطت «عدالة الصحابة» لأنه منهم، وإن لم يكن مستحقاً سقطت «عدالة الصحابة» أيضاً لأن طلحة والزبير منهم! ولا يخفى أن عثمان (رحمة الله عليه) لم يكن مستحقاً لذلك، فإنما جاء إليهما ناصحاً ولم يشتمهما كما لم يذكر أمّ أحدٍ منهما بسوء، لكنهما (لعنة الله عليهما) قابلاه بهذا لانعدام حجتهما في الردّ عليه.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 9 ص318.

غير أن هذه الحملة الثانية انتهت إلى هدنة اتُّفق فيها على الكفّ عن القتال حتى يصل علي عليه السلام، ويبقى فيها ابن حنيف في دار الإمارة وله بيت المال كما يبقى إمام الصلاة في المسجد الجامع، مقابل أن تبقى عائشة وطلحة والزبير وشيعتهم في البصرة ينزلون حيث شاءوا ولا يتعرّض لهم أحدٌ بسوء. وقد كتب الطرفان كتاب الصلح بينهما وهذا نصّه: «هذا ما اصطلح عليه عثمان بن حُنيف الأنصاري ومَن معه من المؤمنين من شيعة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب؛ وطلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين من شيعتهما. إن لعثمان ابن حنيف دار الإمارة، والرحبة، والمسجد، وبيت المال، والمنبر. وإن لطلحة والزبير ومن معهما أن ينزلوا حيث شاءوا من البصرة ولا يُضارُّ بعضهم بعضاً في طريق، ولا فرضة ولا سوق، ولا شريعة ولا مرفق، حتى يقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فإن أحبّوا دخلوا في ما دخلت فيه الأمة، وإن أحبّوا لَحِقَ كلُّ قوم بهواهم وما أحبّوا من قتالٍ أو سلمٍ أو خروج أو إقامة، وعلى الفريقيْن بما كتبوا عهد الله وميثاقُه، وأشدّ ما أخذه على نبيٍّ من أنبيائه من عهدٍ وذمّة».[١]

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 9 ص318، ونحوه في تاريخ الذهبي ص٤٨٤.

غير أن ظنّ عثمان لم يكن في محله! فأين عائشة وأين طلحة وأين الزبير وأين أتباعهم من عهد الله وميثاقه وذمّته! فإنهم استغلّوا وضع عثمان وأصحابه للسلاح فانقلبوا عليهم بعد يومين فقط! فنكثوا عهدهم، وهجموا على المدينة، ووصلوا إلى بيت المال وانتهبوه، واعتقلوا عثمان وكادوا يقتلونه بفتوى من عائشة أهدرت فيها دمه!

وهكذا كانت الحملة الثالثة التي جرت فيها الفظائع ، والتي روى فيها ابن عبد البر عن المدائني عن شيوخه «أن عثمان بن حنيف لما كتب الكتاب بالصلح بينه وبين الزبير وطلحة وعائشة أن يكفّوا عن الحرب ويبقى هو في دار الإماره خليفة لعليٍّ على حاله حتى يقدم علي رضي الله عنه فيروْن رأيهم؛ قال عثمان بن حنيف لأصحابه: ارجعوا وضعوا سلاحكم. فلمّا كان بعد أيام جاء عبد الله بن الزبير في ليلة ذات ريح وظلمة وبرد شديد ومعه جماعة من عسكرهم فطرقوا عثمان بن حنيف في دار الإمارة فأخذوه»![1]

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ج 1 ص108.

وروى المسعودي أنه «لمّا كان في بعض الليالي بَيّتُوا عثمان بن حُنيف فأسروه وضربوه ونتفوا لحيته»![1]

وروى الطبري عن الزهري أنه «لم يلبث إلا يومين حتى وثبوا عليه فقاتلوه بالزابوقة عند مدينة الرزق فظهروا، وأخذوا عثمان فأرادوا قتله ثم خشوا غضب الأنصار فنالوه في شعره وجسده»![2]

وروى ابن الأثير أنه «لم يلبث إلا يومين أو ثلاثة حتى وثبوا على عثمان عند مدينة الرزق فظفروا به وأرادوا قتله! ثم خشوا غضب الأنصار فنتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه! وضربوه وحبسوه»![3]

وروى أبو مخنف الكوفي أنه «لمّا استوسق طلحة والزبير أمرهما؛ خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر ومعهما أصحابهما قد ألبسوهم

---

(١) تاريخ المسعودي ج 1 ص316.

(٢) تاريخ الطبري ج 3 ص486، وقوله: «ثم خشوا غضب الأنصار» باعتبار أن عثمان بن حُنيف أنصاري فإذا قُتِل فإن الأنصار سيغضبون ويثورون على عائشة وجماعتها فلا يتم لهم ما أرادوا. أي أن القوم خشوا غضب المخلوقين ولم يخشوا غضب الخالق جلّ وعلا إذ يهمّون بقتل أحد أصحاب رسول الله ﷺ ! ولو أن عثمان لم يكن أنصارياً أو لم تكن له عشيرة تغضب له لما تردّدوا في قتله ولما خشوا الله في ذلك!

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 3 ص216.

الدروع وظاهروا فوقها بالثياب،(١) فانتهوا إلى المسجد وقت صلاة الفجر وقد سبقهم عثمان بن حنيف إليه، وأُقيمت الصلاة فتقدّم عثمان ليصلّي بهم فأخّره أصحاب طلحة والزبير وقدّموا الزبير، فجاءت السبابجة وهم الشُّرَطُ حرس بيت المال، فأخّروا الزبير وقدّموا عثمان، فغلبهم أصحاب الزبير فقدّموا الزبير وأخّروا عثمان، ولم يزالوا كذلك حتى كادت الشمس أن تطلع ! وصاح بهم أهل المسجد: ألا تتّقون الله يا أصحاب محمد وقد طلعت الشمس؟! فغلب الزبير فصلّى بالناس، فلمّا انصرف من صلاته صاح بأصحابه المستسلحين: أن خُذوا عثمان بن حنيف! فأخذوه بعد أن تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفيهما، فلمّا أُسِر ضُرِب ضربَ الموت ونُتِف حاجباه وأشفار عينيه وكل شعرة في رأسه ووجهه»!(٢)

وروى البلاذري أن طلحة والزبير «عزما على تبييت ابن حُنيف وهو لا يشعر! وواطآ أصحابهما على ذلك، حتى إذا كانت ليلة ريح وظُلمة،

(١) أي أنهم أخفوا دروعهم تحت ثيابهم حتى يغدروا بابن حُنيف وقت الصلاة!

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 9 ص321 عن أبي مخنف.

جاءوا إلى ابن حُنيف وهو يصلّي بالناس العشاء الآخرة، فأخذوه وأمروا به فوُطِئَ وَطْئاً شديداً! ونتفوا لحيته وشاربيْه»![١]

وروى المفيد أن طلحة والزبير وأصحابهما لمّا هجموا على عثمان «أوثقوه رباطاً وعمدوا إلى لحيته - وكان شيخاً كثّ اللحية - فنتفوها حتى لم يبقَ منها شيء ولا شعرة واحدة! وقال طلحة: عذّبوا الفاسق وانتفوا شعر حاجبيْه وأشفار عينيه وأوثقوه بالحديد! فلمّا أصبحوا اجتمع الناس إليهم وأذّن مؤذّن المسجد لصلاة الغداة، فرام طلحة أن يتقدّم للصلاة بهم فدفعه الزبير وأراد أن يصلي بهم! فمنعه طلحة! فما زالا يتدافعان حتى كادت الشمس أن تطلع، فنادى أهل البصرة: الله الله يا أصحاب رسول الله في الصلاة نخاف فوتها»![٢]

وروى اليعقوبي أنه لمّا تمّ الصلح بين الطرفين وكتبوا كتاباً بذلك «افترقوا، فوضع عثمان ابن حنيف السلاح، فنتفوا لحيته وشاربه وأشفار عينيه وحاجبيه! وانتهبوا بيت المال وأخذوا ما فيه! فلما حضر وقت

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ص277.

(٢) الجمل للمفيد ص151.

الصلاة تنازع طلحة والزبير وجذب كل واحد منهما صاحبه حتى فات وقت الصلاة! وصاح الناس: الصلاة الصلاة يا أصحاب محمد! فقالت عائشة: يصلّي محمد بن طلحة يوماً وعبد الله بن الزبير يوماً»!(١)

ولكن ما الذي جرى بعدما أخذوا عثمان حتى عدلوا عن قتله إلى حبسه وتعذيبه ونتف لحيته وشاربه وأشفار عينيه؟

يجيب على ذلك المؤرّخون فقد روى الطبري عن سهل بن سعد قال: «لمّا أخذوا عثمان ابن حُنيف أرسلوا أبان بن عثمان(٢) إلى عائشة يستشيرونها في أمره، قالت: اقتلوه! فقالت لها امرأة: نشدتكِ بالله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله ﷺ! قالت: رُدّوا أباناً، فردّوه، فقالت: احبسوه ولا تقتلوه! قال: لو علمتُ أنكِ تدعينني لهذا لم أرجع! فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيته! فضربوه أربعين سوطاً ونتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيْه وأشفار عينيه وحبسوه»!(٣)

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج 1 ص179، وليس يعنينا تحديد أي التفاصيل أصح ، فالمهم هو مجموع الروايات وإن اختلفت بعض تفاصيلها كما هو حال معظم الروايات التاريخية بل الحديثية أيضاً لم تسلم من ذلك.

(٢) هو أبان بن عثمان بن عفان، وكان أحد المجرمين في جيش عائشة.

(٣) تاريخ الطبري ج 3 ص485.

وروى سبط ابن الجوزي «ثم إن طلحة والزبير اغتالا عثمان بن حُنيف في ليلة مظلمة وكان في المسجد في جماعة، فأوطأوه الأرجل ونتفوا شعر وجهه فما أبقوا فيه شعرة! وأرسلوا إلى عائشة ليستشيروها فيه، فقالت: اقتلوه! فقالت لها امرأة: ناشدتك الله في عثمان فإنه صاحب رسول الله ﷺ ، فقالت: احبسوه واضربوه أربعين سوطاً وانتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيْه وأشفار عينيه! ففعلوا»!(١)

وروى ابن عبد البر أنهم ذهبوا «إلى عائشة يستشيرونها في عثمان وكان الرسول إليها أبان ابن عثمان، فقالت عائشة: اقتلوا عثمان بن حنيف! فقالت لها امرأة: نشدتكِ الله يا أم المؤمنين في عثمان بن حنيف وصحبته لرسول الله ﷺ ! فقالت: رُدّوا أباناً، فردّوه، فقالت: احبسوه ولا تقتلوه! فقال أبان: لو أعلم أنكِ رددتني لهذا لم أرجع !وجاء فأخبرهم، فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيته! فضربوه أربعين سوطاً ونتفوا شعر لحيته وحاجبه وأشفار عينه»!(٢)

---

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص67.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ج 1 ص109.

وروى ابن الأثير أنه «لمّا أُخِذ عثمان أرسلوا إلى عائشة يستشيرونها في أمره، فقالت: اقتلوه! فقالت لها امرأة: نشدتكِ الله في عثمان وصحبته لرسول الله ﷺ ! فقالت لهم: احبسوه! فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا لحيته وحاجبيْه وأشفار عينيه! فضربوه أربعين سوطاً ونتفوا لحيته وحاجبيْه وأشفار عينيه وحبسوه ثم أطلقوه! وجعلوا على بيت المال عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق»!(١)

وروى أبو مخنف الكوفي أنهم لمّا انطلقوا بعثمان بن حُنيف إلى عائشة «قالت لأبان ابن عثمان: اخرُج إليه فاضرب عنقه فإن الأنصار قتلت أباك وأعانت على قتله»!(٢)

هكذا تعاملت عائشة مع عثمان بن حُنيف (رضوان الله تعالى عليه) الذي لم تقدّر له صحبته لرسول الله ﷺ وصلاحه وجهاده، بل ولم تقدّر شيخوخته، فأفتت أولاً بإهدار دمه قائلة: «اقتلوه! اقتلوا عثمان بن حُنيف! اخرُج إليه فاضرب عنقه»! ثم لمّا ناشدتها امرأة وخيف غضب

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 3 ص215، وذيله يشهد بأن الذي تولّى أمر الاستيلاء على بيت المال هو أخو عائشة وابن أبي بكر! إنها عائلة القتلة والمجرمين والسُرّاق اللصوص!

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 9 ص321 عن أبي مخنف.

الأنصار عدلت عن ذلك فقالت: «احبسوه»! فحبسوه وعذّبوه بضرب السياط وبنتف شعره «حتى لم يبق في وجهه شعرة إلا نتفوها»!(١)

وكم كان ذلك مؤلماً لقلب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ولقلوب الأخيار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإنه لمّا بلغه وهو في الرّبذة خبر ما صنعته عائشة وطلحة والزبير في عامله عثمان؛ قام على الغرائر فقال: «إنه أتاني خبر متفظّع ونبأ جليل؛ أن طلحة والزبير وردا البصرة فوثبا على عاملي فضرباه ضرباً مبرّحاً وتُرِكَ لا يُدرى أَحيٌّ هو أم ميّت! (...) فبكى الناس بكاءً شديداً، ورفع أمير المؤمنين عليه السلام يديه يدعو ويقول: اللهم اجزِ طلحة والزبير جزاء الظالم الفاجر والخفور الغادر»!(٢)

وكان المشهد الأكثر إيلاماً وبكاءً هو رؤية أمير المؤمنين عليه السلام لصاحبه وخليفته عثمان وقد نُتف شعر وجهه وأشفار عينيه وبدت آثار التعذيب عليه ظاهرة! فقد روى أبو مخنف الكوفي عن الصقعب بن زهير أن القوم «خيّروا عثمان بن حُنيف بين أن يقيم أو يلحق

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج 7 ص260.

(٢) الكافئة للمفيد ص17.

بعلي، فاختار الرحيل فخلّوا سبيله، فلحق بعلي عليه السلام ، فلمّا رآه بكى وقال له: فارقتك شيخاً وجئتك أمرد! فقال علي: إنا لله و إنا إليه راجعون. قالها ثلاثا».[١]

وروى الطبري عن محمد بن الحنفية قال: «قَدِمَ عثمان بن حُنيف على عليٍّ بالرّبذة وقد نتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيْه! فقال: يا أمير المؤمنين! بعثتني ذا لحية وجئتك أمرد! قال: أصبت أجراً وخيراً» ثم دعا على طلحة والزبير بقوله: «اللهم فاحلُلْ ما عقدا ولا تُبرم ما قد أحكما في أنفسهما وأَرِهما المساءة في ما قد عَمِلا».[٢]

وكذا دعا عليه السلام على عائشة وطلحة والزبير وجميع مَن عاونهم على جرائمهم في البصرة بقوله: «اللهم إنك تعلم أنهم اجترؤوا عليك واستحلّوا حرماتك، اللهم اقتلهم بمن قتلوا من شيعتي، وعجّل لهم النقمة بما صنعوا بخليفتي».[٣]

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 9 ص321 عن أبي مخنف.

(٢) تاريخ الطبري ج 3 ص495 ونحوه في الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 3 ص226.

(٣) الجمل للمفيد ص154.

هذا وقد انتفض الرجل الصالح [١] حُكَيْم بن جبلة العبدي (رضوان الله تعالى عليه) على أثر الذي أجرمته عائشة وبنوها في حق عثمان بن حُنيف، وقد مرّ ذكره في الفصل الثاني مفصّلاً فلا نعيد،[٢] وكانت الإشارة إليه لازمة ههنا لتسجيل أنه قُتِل دفاعاً عن عثمان والمظلومين في البصرة ضد عائشة وبنيها الظالمين المعتدين في ما عُرف بيوم الجمل الأصغر!

هكذا يتكشّف لنا الوجه الإجرامي لعائشة التي كانت زعيمة الناكثين وقائدة المجرمين الإرهابيين! وهي التي لا تتورّع عن الفتوى بقتل الأبرياء وكبار المؤمنين الأجلاء كابن حُنيف، مع أنه لم يرتكب ذنباً بل التزم بحفظ أمانته التي استأمنه عليها خليفة المسلمين، فالرجل إنما كان يحفظ بيت مال البصرة ويؤدي واجباته المنوطة به باعتباره والياً عليها. وعائشة وطلحة والزبير ومَن والاهم هم الذين هجموا على مدينته وأحدثوا فيها الفساد وأرادوا نهب بيت المال فمنعهم عن ذلك بعد النصيحة التي لم تنفع. ثم بعد هذا قام الرجل ووادعهم وعقدوا صلحاً

---

(١) قال فيه ابن عبد البر في الاستيعاب ج 1 ص108: «كان رجلاً صالحاً له دين، مُطاعاً في قومه، وهو الذي بعثه عثمان إلى السند فنزلها». وكذا قال فيه ابن الأثير في أُسد الغابة ج 2 ص40.

(٢) راجع ص267 من كتاب الفاحشة وما بعدها متناً وهامشاً.

أشهدوا عليه الله تبارك وتعالى، فنكثت عائشة وبنوها ذلك أيضاً وغدروا وقتلوا ونهبوا وعذّبوا عثمان ذلك التعذيب الوحشي!

ترى أي ذنب أذنبه عثمان بن حُنيف حتى تُهدر عائشة دمه؟! وأي جرم أجرمه حتى تأمر رجالها بحبسه فيجلدونه أربعين سوطاً ثم ينتفون شعر لحيته وحاجبيْه وأشفار عينيه؟!

ثم بأي وجه تقول عائشة لأبان بن عثمان بن عفان: «اخرُج إليه فاضرب عنقه فإن الأنصار قتلت أباك وأعانت على قتله»؟! فإنّه حتى لو صحّ كلامها في أن الأنصار قتلت ابن عفّان وأعانت على قتله؛ فهل يُجوِّز شرع الإسلام قتل رجل بريء لمجرّد أنه ينتمي إلى القتلة نسباً؟! فابن حُنيف لم يشترك في قتل عثمان ولم يُعن عليه!

سبحان الله! إنه منطق أهل الجاهلية وحكمهم، فإنهم كانوا يقتلون الإنسان البريء ويأخذونه بجريرة غيره من قومه، وقد جاء الإسلام فأبطل حكم الجاهلية هذا في قوله تعالى: «وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ».(١) فلو قتل رجل رجلاً، لم يجز في شرع

---

(١) الأنعام: 165

الإسلام لأولياء المقتول قتل أخ القاتل أو ابن عمّه، غير أنه في شرع عائشة يجوز! وما ذلك إلا لأنها تحكم بحكم الجاهلية في واقع الأمر، وقد قال تعالى: «أَفَحُكْمَ الجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ؟ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ»؟(١) و إعراضها عن حكم الإسلام بابتغاء حكم الجاهلية يرتّب عليها كونها: ضالة، ظالمة، فاسقة، كافرة، مخلدة في النار، ولها عذاب أليم! وذلك لما تقدّم من آيات بيّنات في حكم من لم يحكم بما أنزل الله تعالى.(٢)

إن هذا يوضّح أي قلبٍ ينضح بالإجرام والإرهاب والتعطش لسفك الدماء تحمله هذه المرأة! ولو أنّا أعرضنا أصلاً عن فتوى عائشة بقتل ابن حُنيف لكان مجرّد غدرها وأصحابها به بعد العهد والميثاق موجباً للعنها ولعنهم وتبوّئها وتبوّئهم سوء الدار، إذ يقول عزّ من قائل: «وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ».(٣)

---

(١) المائدة: 51

(٢) راجع ص549 - 548 من كتاب الفاحشة.

(٣) الرعد: 26

لقد حرّم الله تبارك وتعالى نقض العهد حتى مع المشركين، فقال سبحانه: «إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ».(١) فلا يجوز شرعاً نقض العهد قبل انقضاء مدّته. والعهد الذي كان بين عثمان بن حُنيف وبين عائشة وطلحة والزبير ينصّ على أنه يمتدّ ويسري حتى مجيء الإمام علي (صلوات الله عليه) ووصوله إلى البصرة، فكان الواجب الالتزام به وإتمامه إلى مدّته. فكيف استحلّت عائشة وأصحابها نقضه قبل مدّته فأغاروا على عثمان وأصحابه في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر؟! هذا مع أن عثمان لم يكن من المشركين بل كان من المسلمين المؤمنين ومن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الخيّرين! ولو كان من المشركين لما جاز لعائشة نقض عهدها معه فكيف وهو مَن هو؟!

ثم بِمَ استحلّت عائشة وأصحابها التمثيل بعثمان وتعذيبه هكذا وقد حرّم رسول الله صلى الله عليه وآله المُثْلَة حتى بالكلب العقور!(٢) وبأي حق تأمر بتقييد حريّته وسجنه قائلة: «احبسوه»!

---

(١) التوبة: 4

(٢) معجم الطبراني ج 1 ص100 وحديث النهي عن المُثلة مستفيض مشهور.

أَهذه «أم المؤمنين» أم هي «أم المجرمين»؟!

وإني لأحسب أن عائشة «شرّفت» تنظيم القاعدة وغيرها من التنظيمات الإرهابية بأفعالها الإرهابية الإجرامية! وما أفراد هذه التنظيمات إلا أبناء برَرَة لها!

فتوى عائشة بذبح حراس بيت مال المسلمين!

ذكرنا في ما تقدّم أن عين عائشة وطلحة والزبير كانت على بيت مال البصرة في خروجهم على أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وأنهم أرادوا انتهابه بأية وسيلة.

وكان يحرس بيت مال البصرة جماعة من صلحاء المسلمين يُقال لهم: «السيابجة أو السبابجة» ويُقال لهم أيضا: «الزُّط»، وأصلهم من السند، وكانوا من ذوي الجلادة والقوة ولذا استُعين بهم على حماية مال ومصالح الولاية. وكان لهم رئيس يُدعى «أبو سلمة الزُّطّي» وكان عبداً صالحاً.

فما الذي جرى لهؤلاء بسبب عائشة؟ لندع الجواب للمؤرّخين:

روى أبـو مخـنف الـكوفي أن عـائـشة أرسـلت إلى الـزبير: «أن اقـتل السبابجة! فإنه قد بلغني الذي صنعوا بك.[١] قال: فذبحهم والله الزبير كما يُذبح الغنم! وَلِيَ ذلك منهم عبد الله ابنُه، وهم سبعون رجلاً! وبَقِيَت منهم طائفة مستمسكين ببيت المال، قالوا: لن ندفعه إليكم حتى يقدُمَ أمير المؤمنين. فسار إليهم الزبير في جيش ليلاً، فأوقع بهم وأخذ منهم خمسين أسيراً، فقتلهم صبراً! قال أبو مخنف: فحدّثنا الصقعب بن زهير قال: كانت السبابجة القتلى يومئذ أربعمئة رجل! قال: فكان غدر طلحة والزبير بعثمان بن حُنيف أول غدر كان في الإسلام! وكان السبابجة أول قومٍ ضُرِبَت أعناقهم من المسلمين صبراً»![٢]

وروى المسعودي أنهم «أرادوا بيت المال فمانعهم الخزّان والموكّلون به وهم السيابجة، فقُتل منهم سبعون رجلاً غير مَن جُرِح ! وخمسون من

---

(١) قد مرّ في ص22 أن هؤلاء دافعوا عن عثمان بن حُنيف حين أراد الزبير بن العوّام إزاحته عن الصلاة بالناس قهراً خلافاً للاتفاق بين الطرفين، فأثار ذلك حنق عائشة، وهذا ما تعنيه في قولها: «**فإنه قد بلغني الذي صنعوا بك**».

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 9 ص321 عن أبي مخنف.

السبعين ضُرِبت رقابهم صبراً من بعد الأسر! وهؤلاء أوّل من قُتِل ظلماً في الإسلام وصبراً»![١]

وروى سبط ابن الجوزي أنهم «نهبوا بيت مال البصرة! وقتلوا سبعين رجلاً من المسلمين بغير جرم! فهم أول من قُتِل في الإسلام ظُلماً»![٢]

وروى الطبري وابن الأثير «فشهر الزُّطُّ والسيابجة السلاح ثم وضعوه فيهم، فأقبلوا عليهم فاقتتلوا في المسجد فقُتِلوا وهم أربعون رجلاً»![٣]

وروى ابن عبد البرّ أنه «لمّا غدر ابن الزبير بعثمان بن حُنيف بعد الصلح الذي كان عقده عثمان بن حنيف مع طلحة والزبير؛ أتاه ابن الزبير ليلاً في القصر فقتل نحو أربعين رجلاً من الزُّطِّ على باب القصر وفتح بيت المال! (...) ثم انتهوا به إلى بيت المال فوجدوا أُناساً من الزُّطِّ يحرسونه، فقتلوا منهم أربعين رجلاً»![٤]

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ج 2 ص377.

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص67.

(٣) تاريخ الطبري ج 3 ص485 والكامل في التاريخ لابن الأثير ج 3 ص215 واللفظ للأخير.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البرّ ج 1 ص108.

وروى ابن قتيبة «فمكث عثمان بن حُنيف في الدار أياماً، ثم إن طلحة والزبير ومروان ابن الحكم أتوه نصف الليل في جماعة منهم في ليلة مظلمة سوداء مطيرة وعثمان نائم، فقتلوا أربعين رجلاً من الحرس! فخرج عثمان بن حُنيف، فشدّ عليه مروان فأسره وقتل أصحابه!

فأخذه مروان فنتف لحيته ورأسه وحاجبيْه! فنظر عثمان بن حُنيف إلى مروان فقال: أما إنك إنْ تَفُتني بها في الدنيا؛ لم تَفُتْني بها في الآخرة»![١]

وروى أبو الفداء «فقُتل من أصحاب عثمان بن حُنيف أربعون رجلاً»![٢]

وروى الذهبي «ثم كانت ليلةً ذات ريح وظلمة، فأقبل أصحاب طلحة فقتلوا حرس عثمان بن حُنيف! ودخلوا عليه فنتفوا لحيته وجفون عينيْه»![٣]

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص89.

(٢) تاريخ أبي الفداء ج 1 ص266.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ج 2 ص322.

وروى البلاذري «وكانت جماعة من السيابجة موكَّلين ببيت مال البصرة، يُقال: إنهم أربعون، ويُقال: أربعمئة. فلمّا قَدِمَ طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوّام البصرة؛ وعليها من قِبَلِ علي بن أبي طالب عثمان بن حُنيف الأنصاري؛ أبوْا أن يسلّموا بيت المال إلى قدوم علي رضي الله عنه، فأتوْهم في السَّحَر فقتلوهم! وكان عبد الله بن الزبير المتولّي لأمرهم في جماعة تسرّعوا إليهم معه! وكان على السيابجة يومئذ أبو سلمة الزُّطّي، وكان رجلاً صالحاً»!(١)

وروى المفيد «وطلب طلحة والزبير وأصحابهما عثمان حتى أتوْا دار الإمارة وعثمان ابن حُنيف غافل عنهم، وعلى باب الدار السبابجة يحرسون بيوت الأموال، وكانوا قوماً من الزُّطِّ، فوضعوا فيهم السيف من أربع جوانبهم فقتلوا أربعين رجلاً منهم صبراً! يتولّى منهم ذلك الزبير خاصةً»!(٢)

(١) فتوح البلدان للبلاذري ج 2 ص462 ونحوه في كتابه الآخر أنساب الأشراف ص227.

(٢) الجمل للمفيد ص151.

بالغدر، بالغيلة، بنكث العهود والمواثيق، بسفك الدماء التي حرّم الله.. هكذا انتصرت عائشة! وهكذا استولى طلحة والزبير على بيت مال البصرة! وكم كان ذلك مفرحاً لهما فإنهما «لمّا دخلا بيت المال في البصرة ورأوْا ما فيه من الأموال؛ قال الزبير: وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هٰذِهِ! فنحن أحقُّ بها من أهل البصرة! فأخذا ذلك المال كلّه»![1]

ولم يكن مهمّاً عند هؤلاء القتلة المجرمين سفك دماء نحو أربعمئة مسلم صالح من السبابجة حرّاس بيت مال المسلمين ما دام ما كان في ذلك البيت قد غدا في حوزتهم الآن!

الله أكبر! أيُّ جرائم وجنايات أباحتها عائشة بفتاواها! وكم نفساً بريئة أزهقتها ظلماً وعدواناً من أجل سرقة أموال المسلمين!

وقد قال الله تعالى: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً»[2] وعليه فإن عائشة

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 9 ص322 عن أبي مخنف.

(٢) النساء: 94

جزاؤها جهنّم خالدة فيها، وعليها غضب الله ولعنته، فكيف لا يُراد لعنها والبراءة منها وهي التي أعدّ الله لها عذاباً عظيماً لقتلها العمدي للمؤمنين!

وقد قال تعالى: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا»(١) فلو أن عائشة تسبّبت بقتل نفس واحدة بريئة لحملت وزر قتل الناس جميعاً، فكيف وقد بذبح نحو أربعمئة من المسلمين الصالحين «كما يُذبح الغنم» بفتواها للزبير: «أن اقتل السبابجة»!

أَفهل ينفعها عند الله تعالى كونها زوجة سابقة لرسول الله ﷺ في الدنيا؟ كلاّ وحاشا! فإن رسول الله ﷺ بريء منها بعد أفعالها الإجرامية وهو القائل: «من خرج على أمتي يضرب برّها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهدٍ عهده فليس مني ولستُ منه»!(٢) وعائشة مصداق واضح لهذا الحديث الشريف، فإنها خرجت تحرّض على قتل المؤمنين

(١) المائدة: 33

(٢) صحيح مسلم ج 6 ص21.

الأبرار، ولم تفِ بعهدها لعثمان بن حُنيف، فليست من النبي ﷺ وليس منها!

وهل يظنّ أحدٌ بأن عائشة السفّاحة يمكن أن يُغفر لها بعد الذي ارتكبته؟ كلاّ وحاشا! فإن رسول الله ﷺ قال: «كل ذنبٍ عسى الله أن يغفره؛ إلا من مات مشركاً، أو مؤمنٌ قتل مؤمناً متعمِّداً»!(١) وهل بعد قولها: «اقتلوا عثمان بن حنيف! اقتلوا السبابجة»! تعمّد أظهر وأصرح منه؟!

ألا لعنة الله على عائشة والراضين بأفعالها إلى يوم يقوم الأشهاد! «وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ»!(٢)

---

(١) سنن أبي داود ج 2 ص307.

(٢) هود عليه السلام: 19

تسبّب عائشة بقتل العبّاد أصحاب الثفنات!

قد أُشير في ما سبق إلى أن حُكيم بن جبلة العبدي (رضوان الله تعالى عليه) ثار دفاعاً عن عثمان بن حُنيف الأنصاري وانتقاماً للسبابجة المؤمنين الذين قُتلوا ظلماً رحمة الله عليهم. غير أن من اللازم استدراك أن حُكيماً لم يُقتل لوحده، فقد قُتل معه أخوته الثلاثة، وابنه، وجمع غفير من العبديّين وُلد عبد القيس بن أفصي؛ والبكريّين وُلد بكر بن وائل، وقد كان هؤلاء يُعرفون بأصحاب الثفنات لأن جبهاتهم كانت تشبه ثفنات الإبل من كثرة السجود والخضوع لله عز وجل.

هؤلاء الذين ناهز عددهم ثلاثمئة رجل من صلحاء وأخيار وعُبّاد المؤمنين؛ استشهدوا جميعاً بسبب عائشة وأوامرها الإرهابية ومخططاتها الإجرامية!

روى المفيد أنه لمّا «بلغ حُكَيْم بن جبلة العبدي ما صنع القوم بعثمان بن حنيف وقتلهم السبابجة الصالحين خُزّان بيت مال المسلمين؛ نادى في قومه: يا قوم انفروا إلى هؤلاء الضالّين الظالمين الذين سفكوا الدم لحرام وفعلوا بالعبد الصالح واستحلّوا ما حرّم الله عزّ وجل! فأجابه سبعمئة رجل من عبد قيس وأتوا المسجد واجتمع الناس إلى حُكَيْم بن جبلة فقال للقوم: أما ترَوْنَ ما صنعوا بأخي عثمان بن حُنيف ما صنعوا؟! لستُ بأخيه إنْ لم أنصره. ثم رفع يديه إلى السماء فقال: اللهم إن طلحة والزبير لم يريدا بما عَمِلا القربة منك وما أرادا إلا الدنيا، اللهم اقتلهما بمن قتلا ولا تعطهما ما أمّلا. ثم ركب فرسه وأخذ بيده الرمح واتّبعه أصحابه، وأقبل طلحة والزبير ومَن معهما وهم في كثرة من الناس قد انضمّ إليهم الجمهور، واقتتلوا قتالاً شديداً حتى كَثُرت بينهم الجرحى والقتلى»![١]

وروى المسعودي أن جُند عائشة «قتلوا حُكيم بن جبلة العبدي، وكان من سادات عبد القيس وزُهّاد ربيعة ونُسّاكها»![٢]

---

(١) الجمل للمفيد ص151.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ج 2 ص377.

وروى ابن الأثير أن حُكيم بن جبلة خرج «في سبعمئة من عبد القيس وبكر بن وائل، فلَقِيَ طلحة والزبير بالزابوقة قرب البصرة، فقاتلهم قتالاً شديداً فقُتِل»![١]

وروى أبو مخنف الكوفي «فلما بلغ حُكيم بن جبلة ما صنع القوم بعثمان بن حنيف خرج في ثلاثمئة من عبد القيس مخالفاً لهم ومنابذاً، فخرجوا إليه وحملوا عائشة على جمل! فسُمِّيَ ذلك اليوم يوم الجمل الأصغر، ويوم عليٍّ يوم الجمل الأكبر. وتجالد الفريقان بالسيوف، فشدَّ رجلٌ من الأزد من عسكر عائشة على حُكيم بن جبلة فضرب رِجْله فقطعها! ووقع الأزدي عن فرسه، فجثا حُكيم فأخذ رِجْله فرَما بها الأزدي فصرعه، ثم دبَّ إليه فقتله مُتّكئاً عليه خانقاً له حتى زهقت نفسه، فمرَّ بحُكيم إنسان وهو يجود بنفسه فقال: مَن فعل بك؟ قال: وسادي! فنظر فإذا الأزدي تحته! وكان حُكيم شجاعاً مذكوراً. قال: وقُتِلَ مع حُكيم إخوةٌ له ثلاثة؛ وقُتِلَ أصحابُه كلهم وهم ثلاثمئة من عبد القيس، والقليل منهم من بكر بن وائل»![٢]

---

(١) أُسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ج 2 ص39.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 9 ص322 عن أبي مخنف.

وروى خليفة بن خياط عن سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي: «جاء حُكيم بن جبلة العبدي في سبعمئة من عبد القيس وبكر بن وائل، فاقتتلوا، فقُتِلَ حُكيم بن جبلة وأخوه الزّعل بن جبلة وابنه الأشرف بن حُكيم»!(١)

وروى البلاذري «وركب حُكيم بن جبلة العبدي حتى انتهى إلى الزابوقة، وهو في ثلاثمئة، منهم من قومه سبعون، وقال إخوة له وهم الأشرف والحكيم والرِّعل، فسار إليهم طلحة والزبير فقالا: يا حُكيم ما تريد؟ قال: أريد أن تخلّوا عثمان بن حُنيف وتقرّوه في دار الإمارة وتسلّموا إليه بيت المال، وأن ترجعا إلى قدوم علي. فأبوا ذلك واقتتلوا، فجعل حُكيم يقول:

أَضرِبُهُمْ باليابسِ ضَرْبَ غُلامٍ عابسِ

مــنَ الحيَـــــاةِ آيِـــــسِ

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص137

فضُربت رجله فتقطّعت! فحبا وأخذها فرمى بها ضاربَه فصرعه! وجعل يقول:

يا نَفسُ لا تُراعي إنْ قَطَعوا كُراعي

إنّ مَعـــــي ذِراعـــــي

وجعل يقول أيضاً:

ليسَ عَليَّ في المماتِ عارُ والعارُ في الحَرْبِ هو الفِرارُ

والمجدُ أن لا يُفضَحَ الذِّمارُ

فقُتِلَ حُكيم في سبعين من قومه وقُتِلَ إخوته الثلاثة»!(١)

وروى الطبري «وبلغ حُكَيْم بن جبلة ما صُنِع بعثمان بن حنيف فقال: لست أخاف الله إنْ لم أنصره. فجاء في جماعة من عبد القيس وبكر بن وائل وأكثرهم عبد القيس، فأتى ابن الزبير مدينة الرزق فقال: مالَك يا حُكيم؟ قال: نريد أن نرتزق من هذا الطعام وأن تخلوا عثمان فيقيم في دار

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ص228، والكُراع : ما دون الركبة إلى الكعب.

الإمارة على ما كتبتم بينكم حتى يَقدُمَ عليّ، والله لو أجد أعوانا عليكم أخبطكم بهم ما رضيت بهذه منكم حتى أقتلكم بمن قتلتم، ولقد أصبحتم و إن دماء كم لنا حلال بمن قتلتم من إخواننا، أما تخافون الله عز وجل؟! بمَ تستحلون سفك الدماء؟! قال: بدم عثمان بن عفان رضي الله عنه! قال: فالذين قتلتموهم قتلوا عثمان؟! أما تخافون مقت الله؟! فقال له عبد الله بن الزبير: لا نرزقكم من هذا الطعام ولا نخلّي سبيل عثمان بن حنيف حتى يخلع عليا! قال حُكيم: اللهم إنك حكمٌ عدلٌ فاشهد! وقال لأصحابه: إني لست في شك من قتال هؤلاء فمن كان في شك فلينصرف. وقاتلهم قتالا شديدا، وضرب رجلٌ ساق حُكيم فقطعها، فأخذ حُكيم ساقه فرماه بها فأصاب عنقه فصرعه ووقذه، ثم حبا إليه فقتله واتكأ عليه، فمرّ به رجلٌ فقال: من قتلك؟ قال: وسادتي! وقُتِلَ سبعون رجلاً من عبد القيس! قال عامر ومسلمة: قُتِلَ مع حُكيم ابنه الأشرف وأخوه الرِّعل بن جبلة»![1]

---

(١) تاريخ الطبري ج 3 ص491.

وروى ابن عبد البر «وبلغ حُكيم بن جبلة ما صُنِعَ بعثمان بن حُنيف فقال: لست أخاه إن لم أنصره! فجاء في سبعمئة من عبد القيس وبكر بن وائل وأكثرهم عبد القيس؛ فأتى ابن الزبير في مدينة الرزق فقال: مالَك يا حُكيم؟ قال: نريد أن نُرزق من هذا الطعام وأن تخلّوا عثمان بن حنيف فيقيم في دار الإمارة على ما كنتم كتبتم بينكم وبينه حتى يَقْدِمَ عليٌّ على ما تراضيتم عليه، وأيَّمُ الله لو أجد أعوانا عليكم ما رضيتُ بهذا منكم حتى أقتلكم بمن قتلتم! ولقد أصبحتم وإن دماء كم لحلال بمن قتلتم من إخواننا! أما تخافون الله؟! بِمَ تستحلّون الدماء؟! قالوا: بدم عثمان! قال: فالذين قتلتموهم قتلوا عثمان أو حضروا قتله؟! أما تخافون الله؟! فقال ابن الزبير: لا نرزقكم من هذا الطعام ولا نخلّي عثمان حتى يخلع عليّاً! فقال حُكيم: اللهم اشهد! اللهم اشهد! وقال لأصحابه: إني لستُ في شك من قتال هؤلاء فمن كان في شك فلينصرف. فقاتلهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وضرب رجلٌ ساق حُكيم فقطعها! فأخذ حُكيم الساق فرماه بها فأصاب عنقه فصرعه ووقذه، ثم حَجَلَ إليه فقتله. وقُتِل يومئذ سبعون رجلاً من عبد القيس»![1]

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ج 1 ص109.

وروى ابن الأثير «قُطعت رِجْلُه فأخذها وضرب بها الذي قطعها فقتله ولم يزل يقاتل ورجله مقطوعة وهو يقول:

يا ساقِ لن تُراعي　　　إنّ معي ذِراعي

أَحمــــــي بها كُراعــــــي

حتى نزفه الدم فاتكأ على الرجل الذي قطع رجله وهو قتيل، فقال له قائل: من فعل بك هذا؟ قال: وسادتي! فما رُؤِيَ أشجع منه. ثم قتله سُحيم الحُداني. قال أبو عبيدة معمّر ابن المثنى: ليس يُعرف في جاهلية ولا إسلام رجلٌ فعل مثل فعله»!(١)

وكيفية قتل سُحيم أو ضُخيم الحُداني (لعنه الله) لابن جبلة (رحمه الله) كانت بشعة، ولعلّه كان يقصد التمثيل به أيضاً، ذلك لأن حُكيماً بعدما قطع الأزدي رِجْله بقي ينزف ويجود بنفسه، أي أنه كان جريحاً على وشك الموت فلا يجوز شرعاً الإجهاز عليه لأن النبي ﷺ حرّم الإجهاز على جريح ، إلا أن هذا القاتل اللعين جاء وضرب عنق حُكيم عمداً بطريقة

---

(١) أسد الغابة لابن الأثير ج 2 ص40.

بشعة! فقد روى الطبري عن عامر بن حفص عن أشياخه قال: «ضرب عنق حُكيم بن جبلة رجل من الحدّان يُقال له ضخيم، فمال رأسه فتعلّق بجلده فصار وجهه في قفاه»![١]

ثم بعدما استشهد حُكيم تشجّع القوم لقتل عثمان بن حُنيف لأنه بقتل حُكيم فقد خير ظهر وسند له ولم يبقَ له في البصرة من الشجعان من يدافع عنه، غير أنهم تراجعوا عن ذلك خوفاً من أخيه سهل بن حُنيف (رضوان الله تعالى عليه) الذي كان آنذاك خليفة الإمام عليه السلام على المدينة. روى الطبري عن أبي المليح قال: «لمّا قُتِلَ حُكيم بن جبلة أرادوا أن يقتلوا عثمان بن حُنيف! فقال: ما شئتم! أما إن سهل بن حُنيف والٍ على المدينة، و إنْ قتلتموني انتصر! فخلّوا سبيله».[٢]

هذه المجزرة الدامية التي تُعرف بيوم الجمل الأصغر والتي راح ضحيتها من المسلمين المؤمنين ما بين سبعين إلى ستمئة قتيل - على اختلاف الروايات - ناهيك عن الجرحى من السبعمئة؛ وقعت بينما كانت عائشة

(١) تاريخ الطبري ج 3 ص490.

(٢) المصدر نفسه.

راكبة على جملها الملعون تشرف دون أن يهتزّ لها جفن أو ترتعش لها يد! فأي قلبٍ من حجر تحمله هذه المرأة؟!

وبأي ذنب سُفكت دماء هؤلاء الأبرياء؟! أَ لأنهم غضبوا للغدر بعثمان ونقض العهد؟! أم لأنهم غضبوا لقتل السبابجة وحرّاس دار الإمارة وبيت المال؟! أم لأنهم طالبوا بطعامهم ورزقهم الذي استولى عليه ابن الزبير وحرمهم منه؟!

أَمَا أخذت عائشة وجُندها ذرة شفقة أو رأفة بهؤلاء المسلمين الذين ذنب لهم إلا أنهم غضبوا لما حلّ في بلادهم من فساد وسفك للدماء بغير وجه حق؟!

لقد كان أهل البصرة قبل قدوم عائشة وجُندها إليها يعيشون آمنين مطمئنين تحت ظل حكومة أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا وصلت الحميراء إذا بها توقع بينهم الفتنة والعداوة ثم لا تستكفي بذلك بل تتعدّاه إلى الإفتاء والأمر بقتل الناس وحبسهم وتعذيبهم ونهب أموالهم وحرمانهم من أرزاقهم وتجويعهم ومنعهم طعامهم! فبالله هل أخرج لنا التاريخ نموذجاً لامرأة إرهابية أعظم شراً من عائشة؟!

حقاً إنه قرن الشيطان الذي خرج من مسكن عائشة! ذلك المسكن الذي أُمرت أن تقرّ فيه فإذا بها تتركه لتقود الجيوش ولتضرب رقاب الناس ممن لم يخضع لها! ولله دَرُّ مَن قال[١]:

أُمِرَتْ بجرِّ ذُيولها في بَيتها — فَهَوتْ لحملِ النَّبلِ والأَسيافِ!

---

(١) روى سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص67 عن سيف بن عمر قال: خرج شاب من بني سعد فقال: يا طلحة يا زبير! أرى معكما أمّكما فهل جئتما بنسائكما؟ قالا: لا! فأنشد:

صِنْتُمْ حَلائِلَكُمْ وقَدَّمتم أُمَّكمْ — هذا لعَمْري قِلّةُ الإِنصافِ

أُمِرَتْ بجرِّ ذُيولها في بَيتها — فَهَوتْ لحملِ النَّبلِ والأَسيافِ!

شيخ أهل البصرة
يُقتل خنقاً على يد جُند عائشة!

من جملة أولئك المقتولين ظلماً شيخ أهل البصرة يزيد بن الحارث اليشكري (رحمه الله) الذي أحرج طلحة بن عبيد الله بكتابه الذي كان أرسله إليه يؤلّبه فيه على عثمان ويحرّض على قتله! فكان أن واجهه وصاحبه الزبير بكتابه هذا في قضية رواها ابن قتيبة بقوله: «فبينما هم كذلك؛ أتاهم رجل من أشراف البصرة بكتاب كان كتبه طلحة في التأليب على قتل عثمان، فقال لطلحة: هل تعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم. قال: فما ردَّكَ على ما كنتَ عليه وكنتَ أمس تكتب إلينا تؤلّبُنا على قتل عثمان وأنت اليوم تدعونا إلى الطلب بدمه؟! وقد زعمتما أن علياً دعاكما

إلى أن تكون البيعة لكما قبله إذ كنتما أسنَّ منه، فأبيتما إلا أن تقدّماه لقرابته وسابقته، فبايعتماه، فكيف تنكثان بيعتكما بعد الذي عرض عليكما؟ قال طلحة: دعانا إلى البيعة بعد أن اغتصبها وبايعه الناس! فعلمنا حين عرض علينا أنه غير فاعل، ولو فعل أبى ذلك المهاجرون والأنصار، وخفنا أن نردّ بيعته فنُقتل! فبايعناه كارهين! قال: فما بدا لكما في عثمان؟ قالا: ذكرنا ما كان من طعننا عليه وخذلاننا إياه فلم نجد من ذلك مخرجاً إلا الطلب بدمه! قال: فما تأمرانني به؟ قالا: بايعنا على قتال علي ونقض بيعته! قال: أَ رأيتما إنْ أتانا بعدكما مَن يدعونا إلى ما تدعوان إليه؛ ما نصنع ؟ قالا: لا تبايعه! قال: ما أنصفتما! أَ تأمرانني أن أقاتل علياً وأنقض بيعته وهي في أعناقكما وتنهياني عن بيعة مَن لا بيعة له عليكما! أَما إننا قد بايعنا عليّاً، فإن شئتما بايعناكما بيسار أيدينا»!(١)

قد أفحم شيخ أهل البصرة طلحةَ بجوابه هذا وكسره، فما الذي حلّ به بعده؟ هذا ما يجيبنا عليه مولانا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص88.

كتابه الذي كتبه بعد منصرفه من النهروان وأمر أن يُقرأ على المسلمين كل جمعة، وفيه تعداد بعض جرائم عائشة وجُندها في البصرة.

وقد روى نص الكتاب الطبري الإمامي والسيد ابن طاووس عن محمد بن يعقوب الكليني عن علي بن إبراهيم بإسناده، وجاء فيه قوله عليه السلام: «ثم أتوا البصرة وأهلها مجتمعون على بيعتي وطاعتي، وبها شيعتي خُزّان بيت مال الله ومال المسلمين، فدعوا الناس إلى معصيتي وإلى نقض بيعتي وطاعتي، فمَن أطاعهم أكفروه ومَن عصاهم قتلوه! فناجزهم حُكيم بن جبلة فقتلوه في سبعين رجلاً من عُبّاد أهل البصرة وكانوا يسمّون أصحاب الثفنات كأن جبهاتهم مثل ثفنات الإبل. وأبى أن يبايعهم يزيد بن الحارث اليشكري وهو شيخ أهل البصرة يومئذ فقال: اتقيا الله! إن أولكم قادنا إلى الجنة فلا يقودنا آخركم إلى النار، فلا تكلّفونا أن نصدّق المدّعي ونقضي على الغائب، أمّا يميني فشغلها علي بن أبي طالب ببيعتي إياه، وهذه شِمالي فارغة فخذاها إن شئتما! فخُنِقَ حتى مات رحمه الله! وقام عبد الله بن حكيم التميمي فقال: يا طلحة! مَن يعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم هذا كتابي إليك. قال: هل تدري ما فيه؟ قال: اقرأه عليَّ. فإذا فيه عيب عثمان

ودعاؤه إلى قتله! فسيّروه من البصرة![1] وأخذوا عاملي عثمان بن حُنيف الأنصاري غدراً، فمثّلوا به كل المُثلة ونتفوا كل شعرة في رأسه ووجهه! وقتلوا شيعتي طائفةً صبراً وطائفةً غدراً وطائفةً عضّوا بأسيافهم حتى لقوا الله، فوالله لو لم يقتلوا منهم إلا رجلاً واحداً لحلّ لي به دماؤهم ودماء ذلك الجيش لرضاهم بقتل من قُتِل، دع أنهم قد قتلوا أكثر من العدّة التي دخلوا بها عليهم! وقد أدال الله منهم فبُعداً للقوم الظالمين»![2]

هكذا إذن؛ يأتيهم هذا الشيخ الجليل قائلاً: «اتقوا الله»! فيكون جواب أتباع عائشة له أن «خنقوه حتى مات»! فكم قتيلاً بغير جرم وقع يوم الجمل الأصغر ودمه في رقبة عائشة؟! و إذا كان كل هؤلاء قُتِلوا في الأصغر فلك أن تتخيّل كم قتيلاً قُتِل في الأكبر!

---

(١) جاء ذكر أمر عبد الله بن حكيم التميمي ومواجهته لطلحة في رواية أبي مخنف الكوفي في شرح النهج ج 9 ص318 ورواية البلاذري في أنساب الأشراف ص230، وكان جواب القوم لهذا الرجل أن سيّروه أي نفوه من البصرة!

(٢) المسترشد للطبري الإمامي ص421 وكشف المحجة للسيد ابن طاووس ص182 عن الكليني عن علي بن إبراهيم القمي بسنده.

هـذا ومـا دام الـكلام قـد وصـل إلى عـرض شيء مـن كـتاب أمير المؤمنين عليه السلام الذي عدّد فيه جرائم عائشة وطلحة والزبير في البصرة؛ فلا بأس بعرض شيء من خطبته التي رواها المتقي الهندي عن عبد الله بن الحسن وفيها ذكره عليه السلام أيضاً لبعض تلك الجرائم.

الخطبة مطوّلة وكان عليه السلام يجيب فيها على أسئلة متعددة «فقام إليه رجلٌ فقال: يا أمير المؤمنين؛ أخبرنا على ما قاتلت طلحة والزبير؟ قال: قاتلتهم على نقضهم بيعتي، وقتلهم شيعتي من المؤمنين حُكيم بن جبلة العبدي من عبد القيس، والسبابجة، والأساورة، بلا حق استوجبوه منهما، ولا كان ذلك لهما دون الإمام، ولو أنهما فعلا ذلك بأبي بكر وعمر لقاتلاهما، ولقد عَلِمَ من ههنا من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أن أبا بكر وعمر لم يرضيا عمّن امتنع من بيعة أبي بكر حتى بايع وهو كاره ولم يكونوا بايعوه بعدُ الأنصار! فما بالي وقد بايعاني طائعيْن غير مُكرَهيْن؟! ولكنهما طمعا مني في ولاية البصرة واليمن، فلمّا لم أولّهما وجاءهما الذي غلب من حبّهما للدنيا وحرصهما عليها خفتُ أن يتّخذا عباد الله خَوَلاً ومال

المسلمين لأنفسهما! فزويتُ ذلك عنهما وذلك بعد أن جرّبتهما واحتججتُ عليهما». [١]

وفي كلامه عليه السلام ذكرٌ للأساورة وتمييز لهم عن السبابجة، وقد نصّ عليه السلام أن هؤلاء كانوا قد قُتلوا ظلماً أيضاً! وإنّا لم نجد أحداً من المؤرخين ذكر عدد المقتولين منهم، فالله العالم كم كانوا!

والأساورة قوم من العجم سكنوا البصرة من قديم، كما ذكره ابن منظور في لسان العرب، بخلاف السبابجة الذين هم من الهند أو السند. ومهما يكن فإن الإسلام يحقن دم المسلم أيّاً كان أصله وفصله، فما أوقعته عائشة وجُندها من قتلٍ فيهم يكون كما هو معلوم من أكبر الكبائر وأعظم الجنايات.

هذا وقد نصّ أمير المؤمنين عليه السلام على أن عائشة وجُندها قتلوا نحواً من ألف رجل من شيعته في البصرة! وذلك في كلام يقرب من كلامه السالف جواباً على السؤال نفسه من أحد العثمانية الذين تخلّفوا عنه وهو أبو بردة بن عوف الأزدي، فقد روى نصر بن مزاحم المنقري أنه عليه السلام حين دخل

---

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج 16 ص191.

الكوفة قام خطيباً فقال: «الحمد لله الذي نصر وليّه، وخذل عدوّه، وأعزّ الصادق المحق، وأذلَّ الناكث المبطل![١] عليكم بتقوى الله وطاعة مَن أطاع الله من أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وآله الذين هم أولى بطاعتكم في ما أطاعوا الله فيه من المنتحلين المقابلين إلينا،[٢] يتفضّلون بفضلنا، ويجاحدونا أمرنا، وينازعونا حقّنا ويدافعونا عنه، فقد ذاقوا وبال ما اجترحوا فسوف يلقوْن غيّا! (...) فقام إليه أبو بردة بن عوف الأزدي وكان ممن تخلّف عنه فقال: يا أمير المؤمنين؛ أَ رأيتَ القتلى حول عائشة والزبير وطلحة، بِمَ قُتِلوا؟ قال: قتلوا شيعتي وعمّالي، وقتلوا أخا ربيعة العبدي رحمة الله عليه[٣] في عصابة من المسلمين قالوا: لا ننكث كما نكثتم ولا نغدر كما غدرتم. فوثبوا عليهم فقتلوهم! فسألتهم أن يدفعوا إليَّ قتلة إخواني أقتلهم بهم، ثم كتاب الله حكمٌ بيني وبينهم، فأبوا عليَّ، فقاتلوني وفي أعناقهم بيعتي! ودماء قريب من ألف رجل من شيعتي! فقتلتهم بهم. أَ في شكٍّ أنتَ من

---

(١) يعني عليه السلام بالعدو الذي خذله الله والناكث الذي أذلّه الله عائشة وطلحة والزبير وأتباعهم الناكثين.

(٢) ههنا إشارة منه عليه السلام إلى أن الإمرة تكون لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله دون المنتحلين المنازعين الذين جعلوا أنفسهم في قِبالهم كأبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية ومن أشبه عليهم لعائن الله.

(٣) هو حُكيم بن جبلة العبدي رضوان الله تعالى عليه.

ذلك؟ قال: قد كنتُ في شكٍّ فأما الآن فقد عرفت، واستبان لي خطأ القوم، و إنك أنت المهدي المصيب».[١]

ألف رجلٍ من الشيعة قُتِلوا بسبب الإرهابية المجرمة عائشة! وما أنكرت عليهم إلا أن أنهم أبوا النكث والغدر وخيانة مولاهم أمير المؤمنين عليه السلام والالتحاق بها كما فعل الآخرون ممن لا مروءة لهم!

---

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري ص4 وعنه شرح النهج لابن أبي الحديد ج 3 ص104.

عائشة تقود حرب إبادة طائفية ضد الشيعة!

قد أشار أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في خطبة أخرى إلى أن جُند عائشة كانوا يتتبّعون الشيعة فيأخذونهم ويضربون أعناقهم صبراً! أي لم يكونوا يقتصرون على المحاربين لهم بل كانوا يقصدون إفناء شيعة أهل البيت عليهم السلام حتى من غير المحاربين والمقاتلين ممن كانوا في بيوتهم! فكان ما وقع في البصرة أقلّ ما يُقال عنه أنه حرب إبادة طائفية!

الخطبة رواها المفيد وقد خطب عليه السلام بها أصحابه حين دخل البصرة داعياً إياهم إلى الجهاد فكان مما قال: «عباد الله! انهدوا[1] إلى هؤلاء القوم منشرحةً صدوركم بقتالهم، فإنهم نكثوا بيعتي، ونكّلوا بعاملي وأخرجوه من البصرة بعد أن ألّموه بالضرب المبرّح والعقوبة الشديدة! وهو شيخ من

(١) انهدوا: اشرعوا.

وجوه الأنصار والفضلاء ولم يرعوْا له حُرمة! وقتلوا السبابجة رجالاً صالحين، وقتلوا حُكيم بن جبلة ظُلماً وعدواناً لغضبه لله تعالى! ثم تتبّعوا شيعتي بعد أن ضربوهم وأخذوهم في كل عابية وتحت كل رابية[١] يضربون أعناقهم صبراً! ما لهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون»![٢]

أجل.. هكذا كانت المجازر تقع بحق شيعة أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وهكذا أسست عائشة لذلك وعبّدت طريق إبادة الشيعة منذ ذلك اليوم، فكل مَن يحمل في قلبه ولاية أبي الحسن عليه السلام يجب أن يُتتبّع في كل عابية وتحت كل رابية ويؤخذ ثم تُضرب عنقه صبراً! هذا هو قانون عائشة! ولا يشفع للشيعي أن يكون بريئاً، فإن تشيّعه نفسه جريمة! فقد مضى قولها جواباً على اعتراض أبي الأسود: «إنه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحد! قالت: صدقتَ؛ ولكنهم مع علي بن أبي طالب بالمدينة»!

أن تكون مع علي؛ فذلك يوجب قتلك في حكومة وعُرف عائشة! وغني عن الذكر أن طغاة بني أمية وبني العباس ومَن تلاهم التزموا التزاماً

---

(١) العابية: الأرض المستوية. والرابية: الأرض المرتفعة. والمعنى أنهم كانوا يعتقلونهم في كل مكان.

(٢) الجمل للمفيد ص178 ونحوه في بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 32 ص171 والجمل لضامن ابن شدقم المدني ص120.

كاملاً بقانون عائشة هذا، فتتبّعوا الشيعة في كل مكان واستباحوا حرماتهم وقتلوا صغارهم وكبارهم وحرقوا دورهم ومحالّهم ولم يرحموا أحداً منهم!

وظلّت عائشة وجملها رمزاً وشعاراً للحرب على شيعة علي عليه السلام عبر الزمان! حتى أن المخالفين من أهل بغداد استباحوا دماء الشيعة بعد أكثر من ثلاث قرون بهذا الرمز نفسه! ويؤرّخ لذلك ويعترف به أحد كبار علمائهم وهو ابن كثير في حوادث سنة ثلاث وستين وثلاثمئة حيث قال: «ووقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أهل السنة والرافضة، وكِلا الفريقيْن قليل عقل أو عديمه! بعيد عن السداد، وذلك أن جماعة من أهل السنة أركبوا امرأة وسمّوها عائشة! وتسمّى بعضهم بطلحة! وبعضهم بالزبير! وقالوا: نقاتل أصحاب علي! فقُتِلَ بسبب ذلك من الفريقيْن خلقٌ كثير! وعاث العيّارون في البلد فساداً! ونُهِبَت الأموال! ثم أُخِذ جماعة منهم فقُتِلوا وصُلبوا فسكنت الفتنة»![1] وما أشبه الليلة بالبارحة!

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج 11 ص312، والعيّارون هـهنا بمعنى النشطاء الذين يكثرون الرواح والمجيء.

هكذا ربّت عائشة أبناءها على شنّ حروب الإبادة الطائفية ضد شيعة آل محمد ﷺ ! وعلى خطاها تمضي التنظيمات الإرهابية الوهابية اليوم في قتل الشيعة وتفجير عتباتهم المقدسة ومساجدهم وحسينيّاتهم ودورهم! ولمَ لا؟! أليسوا أبناءها وهي أمهم؟!

عائشة تأمر بقتل فتى مؤمن يدعو إلى كتاب الله!

لم ترعوِ عائشة بعد كل الذي جرى في يوم الجمل الأصغر من مجازر، فمضت إلى يوم الجمل الأكبر متعطشة إلى مزيد من الدماء هادفةً إلى الإطاحة بالخليفة الشرعي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

وحينما قَدِمَ أمير المؤمنين عليه السلام البصرة؛ لم تنفع كل محاولاته مع عائشة للجنوح للسَّلْم، فقد كانت تجيب رسائله بتعنّت وعناد و إصرار على النكث والبغي والحرب!

كانت المحاولة الأولى حينما أرسل عليه السلام إليها كتاباً هذا نصّه: «أما بعد؛ فإنك قد خرجتِ من بيتكِ عاصيةً لله تعالى ولرسوله محمد صلى الله عليه وآله ، تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً، ثم تزعمين أنكِ تريدين الإصلاح بين

المسلمين! فأخبريني ما للنساء وقَوْد العساكر والإصلاح بين الناس؟! فطلبتِ زعمتِ بدم عثمان، وعثمان رجلٌ من بني أمية وأنت امرأة من بني تَيْم بن مُرّة! ولعمري أن الذي عرَّضك للبلاء وحملكِ على المعصية لأعظم إليك ذنباً من قَتَلةِ عثمان! وما غضبتِ حتى أُغضِبتِ! ولا هِجتِ حتى هُيِّجْتِ! فاتّقي الله يا عائشة وارجعي إلى منزلكِ واسبُلي عليكِ بستركِ، والسلام».[١] ولم يكن جواب عائشة إلا أن كتبت له: «يابن أبي طالب! جلّ الأمر عن العتاب! ولن ندخل في طاعتك أبداً! فاقضِ ما أنت قاض! والسلام».[٢]

وكانت المحاولة الثانية حين أرسل عليه السلام إليها زيد بن صوحان وعبد الله ابن عباس فقال لهما: «امضيا إلى عائشة فقولا لها: ألم يأمرك الله تبارك وتعالى أن تقرّي في بيتك؟! فخُدِعتِ وانخدعتِ واستُنْفِرتِ فنفرتِ! فاتّقي الله الذي إليه مرجعكِ ومعادكِ، وتوبي إليه فإنه يقبل التوبة من عباده، ولا يحملنّك قرابة طلحة وحبّ عبد الله بن الزبير على الأعمال التي تسعى بكِ إلى النار! قال ابن أعثم: فانطلقا إليها وبلّغاها رسالة علي رضي الله عنه،

(١) الفتوح لابن أعثم ج 2 ص465 ونحوه في الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص90.

(٢) كشف الغمة للإربلي ج 1 ص240 ونحوه في الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص70.

فقالت عائشة: ما أنا برادّةٍ عليكم شيئاً فإني أعلم أني لا طاقة لي بحجج علي بن أبي طالب»!(١)

وكانت المحاولة الثالثة قُبيل نشوب الحرب حينما اصطف الفريقان للقتال وركبت عائشة في هودجها على جملها، فأرسل أمير المؤمنين عليه السلام إليها ابن عباس إلا أنها ما إن رأته حتى طردته! قال ابن عباس: «انصرفت إلى عائشة وهي في هودج وقد دُفِّفَ بالدروع على جملها عسكر، وكعب بن شور القاضي آخذ بخطامه وحولها الأزد وضبّة، فلمّا رأتني قالت: ما الذي جاء بك يابن عباس؟ والله لا سمعتُ منك شيئاً! ارجع إلى صاحبك وقُل له: ما بيننا وبينك إلا السيف! وصاح مَن حولها: ارجع يابن عباس لئلاّ يُسفك دمك»!(٢)

إلا أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) حرص رغم ذلك على أن يتقدّم بالوعظ والنصيحة بدعوة عائشة وأتباعها إلى النزول على حكم القرآن والعمل بما فيه لتُحقَنَ الدماء ويُتجنَّبَ الشر، وما ذاك بغريب على

(١) الفتوح لابن أعثم ج 2 ص467.

(٢) الجمل للمفيد ص181.

أهل بيت الرحمة (صلوات الله عليهم) الذين لا يحرصون في مثل هذه المواقف إلا على حفظ السلام ودرء الحروب، وما دعوتهم إلى حكم القرآن إلا لأنهم أعداله وشركاؤه مصداقاً لحديث رسول الله ﷺ المتواتر الذي قال فيه: «إني قد تركتُ فيكم الثَّقَلَيْن أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله عز وجل حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ألا إنهما لن يفترقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض».[١] فأهل البيت يدعون إلى القرآن؛ والقرآن يدعو إلى أهل البيت عليهم السلام، فكان لازماً أن يتقدّم علي عليه السلام بالإعذار ولو للمرة الأخيرة قبل نشوب الحرب فيدعو إلى حكم القرآن، وحكمه ههنا الإصلاح أولاً ما أمكن بين الفئتيْن المتنازعتيْن، فإن أصرّت إحداهما على البغي كان لا بدّ من قتالها، وذلك قوله عزّ من قائل: «وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ».[٢]

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج 3 ص26 ونحوه في صحيح مسلم ج 7 ص123 ومستدرك الحاكم ج 3 ص109 وغيرها كثير.

(٢) الحجرات: 10

طلب أمير المؤمنين عليه السلام أحداً يتكفّل بأن يحمل المصحف الشريف ويتقدّم إلى عسكر عائشة داعياً إليه، غير أنه كشف - بعلمه الغيبي - عن أن مَن سيتكفّل بذلك سيُقتل قطعاً وعليه أن يقبل التضحية بنفسه في سبيل القرآن! فما تقدّم إليه إلا شاب مؤمن يُقال له: مسلم بن عبد الله العبدي فأعرض عنه أمير المؤمنين عليه السلام غير مرّة لحداثة سنّه، إلا أنه اضطر أخيراً إلى تحميله هذه المهمّة الصعبة بعدما لم يقم أحد، وبشّره بأنه يضمن له على الله تعالى الجنة.

فما الذي جرى لهذا الشاب الحامل للمصحف على يد راكبة الجمل وأتباعها؟!

روى الطبري عن الزهري قال: «قال علي لأصحابه: أيُّكُم يعرض عليهم هذا المصحف وما فيه فإنْ قُطِعَتْ يده أخذه بيده الأخرى، وإنْ قُطِعَتْ أخذه بأسنانه؟ قال فتىً شاب: أنا. فطاف عليٌّ على أصحابه يعرض ذلك عليهم فلم يقبله إلا ذلك الفتى، فقال له علي: اعرِضْ عليهم هذا وقل:

هو بيننا وبينكم من أوّله إلى آخره، والله في دمائنا ودمائكم! فحُمِلَ على الفتى وفي يده المصحف فقُطِعَتْ يداه! فأخذه بأسنانه حتى قُتِل»! [١]

وروى الطبري أيضاً عن عمار بن معاوية الدهني قال: «أخذ علي مصحفاً يوم الجمل فطاف به في أصحابه وقال: من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول؟ فقام إليه فتى من أهل الكوفة عليه قباء أبيض محشو، فقال: أنا. فأعرضَ عنه، ثم قال: من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول؟ فقال الفتى: أنا. فأعرضَ عنه، ثم قال: من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول؟ فقال الفتى: أنا! فدفعه إليه. فدعاهم، فقطعوا يده اليمنى! فأخذه بيده اليسرى فدعاهم، فقطعوا يده اليسرى! فأخذه بصدره والدماء تسيل على قبائه فقُتِل رضي الله عنه! فقال علي: الآن حلَّ قتالهم!

فقالت أم الفتى بعد ذلك في ما ترثي [٢]:

لا هُمَّ إنَّ مُسلماً دَعاهُمْ ... يَتلو كِتابَ الله لا يَخْشاهمْ

(١) تاريخ الطبري ج 3 ص520.

(٢) تاريخ الطبري ج 3 ص521.

وأُمُّـــهمْ قائمـةٌ تَـراهُمْ   يَأمرونَ الغيَّ لا تَنهاهُمْ!

قد خُضِبَتْ مِــن عَلَــقٍ لِحـــاهُمْ»!

وروى المـــسعودي أنهـــم لمّـــا نـــزلـــوا ســـاحـــة الـــقتال قـــام أمير المؤمنين عليه السلام «فصلّى أربع ركعات وعفّر خدّيْه على التراب وقد خالط ذلك دموعه! ثم رفع يديه يدعو: اللهم ربَّ السموات وما أظلَّتْ، والأرضين وما أقلَّتْ، وربَّ العرش العظيم، هذه البصرة أسألك من خيرها، وأعوذ بك من شرِّها، اللهم أنزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين، اللهم إن هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي! وَبَغَوْا عليَّ ونكثوا بيعتي! اللهم احقن دماء المسلمين. وبعثَ إليهم من يناشدهم الله في الدماء، وقال: على مَ تقاتلونني؟ فأبوْا إلا الحرب! فبعث إليهم رجلاً من أصحابه يُقال له مسلم معه مصحفٌ يدعوهم إلى الله، فرموْهُ بسهم فقتلوه!

فحُمِلَ إلى عليٍّ وقالت أمه[١]:

يا ربِّ إنَّ مُسلماً أتاهُمْ   يَتلو كِتابَ الله لا يَخْشاهمْ

---

(١) تاريخ المسعودي ج 2 ص399.

فَخضَّبُوا مِن دَمِهِ لِحاهُمْ وأُمُّـهـمْ قـائمةٌ تَراهُمْ»!

وروى ابن أعثم قال: «ثم دعا عليٌّ بالدّرع فأفرغه عليه، وتقلّد بسيفه واعتجر بعمامته واستوى على بغلة رسول الله ﷺ، ثم دعا بالمصحف فأخذه بيده ثم قال: أيها الناس! مَن يأخذ هذا المصحف فيدعو هؤلاء القوم إلى ما فيه؟ قال: فوثب غلامٌ من مجاشع يُقال له: مسلم، عليه قباء أبيض فقال: أنا آخذه يا أمير المؤمنين. فقال له علي: يا فتى! إن يدك اليُمنى تُقطع ! فتأخذه باليسرى فتُقطع ! ثم تُضرَبُ عليه بالسيف حتى تُقتَل! فقال الفتى: لا صبر لي على ذلك! قال: فنادى عليٌّ الثانية والمصحف في يده، فقام إليه الفتى وقال: أنا آخذه يا أمير المؤمنين، فهذا قليل في ذات الله! ثم أخذ الفتى المصحف وانطلق به إليهم فقال: يا هؤلاء! هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم! قال: فضرب رجلٌ من أصحاب الجمل يده اليمنى فقطعها! فأخذ المصحف بشماله فقطعها! فاحتضن المصحف بصدره، فضُرِبَ على صدره حتى قُتِل رحمه الله! قال: فنظرت إليه أمّه وقد قُتِلَ، فأنشأت تقول أبياتاً مطلعها:

يا ربِّ إنَّ مُسلماً أتاهُمْ بمُحكَمِ التنزيلِ إذ دَعاهُمْ

إلى آخرها. قال: وأنشأ ابن عمٍّ له يرثيه ويقول أبياتاً مطلعها:

تَناوَلَهُ شَقِيٌّ منهم بضَربةٍ أَبانَ بها يَمناهُ حتى تُصوَّبُ

إلى آخرها».(١)

وروى أبو مخنف الكوفي قال: «وطاف علي عليه السلام على أصحابه وهو يقرأ: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ.(٢) ثم قال: أفرغ الله علينا وعليكم الصبر، وأعزّ لنا ولكم النصر، وكان لنا ولكم ظهيراً في كل أمر. ثم رفع مصحفاً بيده فقال: من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إلى ما فيه وله الجنة؟ فقام غلام شاب اسمه مسلم، عليه قباء أبيض، فقال: أنا آخذه. فنظر إليه علي وقال: يا فتى إنْ أخذته فإن يدك اليمنى تُقطع ! فتأخذه بيدك اليسرى فتُقطع ! ثم تُضربُ بالسيف حتى تُقتل! فقال الغلام: لا صبر لي على ذلك! فنادى عليٌّ الثانية، فقام الغلام، وأعاد عليه القول وأعاد الغلام القول

(١) الفتوح لابن أعثم ج 2 ص472.

(٢) البقرة: 215

مراراً، حتى قال الغلام: أنا آخذه، وهذا الذي ذكرتَ في الله قليل! فأخذه وانطلق، فلمّا خالطهم ناداهم: هذا كتاب الله بيننا وبينكم! فضربوه بأسيافهم حتى قُتِلَ! فقالت أم ذريح العبدية في ذلك:

يا ربِّ إنَّ مُسلماً أتاهُمْ — بمُصحفٍ أرسَلَهُ مَوْلاهُمْ

للعَدلِ والإيمانِ قدْ دَعاهُمْ — يَتلو كِتابَ الله لا يَخْشاهمْ

فَخضَّبُوا مِن دَمِهِ ظُباهُمْ — وأُمُّهمْ واقفةٌ تَراهُمْ!

تأمُرهُمْ بالغَيِّ لا تَنْهاهُمْ»!

وروى ابن الأثير قال: «فلمّا أبوْا إلا القتال؛ قال علي: أيُّكُم يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه فإنْ قُطِعَتْ يده أخذه بيده الأخرى فإنْ قُطِعَتْ أخذه بأسنانه وهو مقتول؟ فقال شابٌّ: أنا. فطاف به على أصحابه، فلم يجبه إلا ذلك الشاب، ثلاث مرات، فسلّمه إليه، فدعاهم، فقُطِعَتْ يده اليمنى! فأخذه باليسرى فقُطعت، فأخذه بصدره والدماء تسيل على قبائه فقُتِل! فقال علي: الآن حلَّ قتالهم!

فقالت أمّ الفتى(١):

لا هُمَّ إنَّ مُسلماً أتاهُمْ   يَتلو كِتابَ الله لا يَخْشاهمْ

وأُمُّـهـمْ قـائمَةٌ تَـراهُمْ   تأمُـرُهـمْ بالقَتلِ لا تَنهاهُمْ!

قد خُضِبَتْ مِـن عَلَـقٍ لِحـاهُمْ»!

وروى ضامن بن شدقم المدني قال: «ثم إنه عليه السلام بعث إليهم يناشدهم، فأبوْا إلا الحرب لقتاله! فبعث إليهم مرة ثانية رجلاً من أصحابه يُقال لهم مسلم بمصحف يدعوهم إلى كتاب الله عز وجل، فرموه بالسهام حتى قتلوه! فحملوه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قتيلاً، فقالت أمُّهُ فيه هذه الأبيات شعراً:

يا ربِّ إنَّ مُسلماً أتاهُـمْ   يَتلو كِتابَ الله لا يَخْشاهمْ

فَخضَّبُوا مِن دَمِهِ لِحاهُمْ   وأُمُّهـمْ قـائـمـةٌ تَراهُـمْ!

---

(١) تاريخ ابن الأثير ج 3 ص261.

ثم جاء عبد الله بن مدمَّل بأخيه مقتولاً! وجيء برجل آخر من الميسرة مذبوحاً فيه سهم! فقال عليه السلام: اللهم اشهد غدر القوم»!(١)

وروى القاضي النعمان المغربي عن أبي البختري أنه لمّا عبّأ أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه «أخذ المصحف وبدأ بالصفّ الأول فقال: أيُّكُم يتقدّمُ إلى هؤلاء ويدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول؟ فخرج إليه شابٌّ يُقال له: مسلم، فقال: أنا يا أمير المؤمنين. فتركه ومال إلى الصف الثاني فقال: مَن منكم يأخذ هذا المصحف ويمضي إلى هؤلاء القوم ويدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول؟ فلم يجبه أحد، وجاءه مسلم فقال: أنا أخرج إليهم به يا أمير المؤمنين. فأعرض عنه وتقدّم إلى الصف الثالث وقال لهم مثل ذلك، فلم يخرج منهم أحد، وعرض له مسلم فقال: أنا يا أمير المؤمنين! فلمّا رأى أنه لم يخرج إليه أحد من الجميع غيره؛ دفع إليه المصحف، فمضى نحو القوم، فلمّا رأوْه رشقوه بالنبل! وقرأه عليهم ودعاهم إلى ما فيه، ثم خرج إليه رجلٌ منهم فضربه بالسيف على حبل عاتقه من يده اليمنى التي فيها المصحف! فأخذ المصحف بيده اليسرى، فضربه الرجل حتى قتله»!(٢)

---

(١) الجمل لضامن بن شدقم المدني ص128.

(٢) شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ج 1 ص394.

وروى المفيد عن ابن عباس أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «مَن يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إليه وهو مقتول وأنا ضامن له على الله الجنة؟ فلم يقم أحد إلا غلام عليه قباء أبيض حدث السن من عبد القيس يُقال له: مسلم، كأني أراه، فقال: أنا أعرضه يا أمير المؤمنين عليهم وقد احتسبتُ نفسي عند الله. فأعرض عنه إشفاقاً ونادى الثانية: مَن يأخذ هذا المصحف ويعرضه على القوم وليعلم أنه مقتول وله الجنة؟ فقام مسلم بعينه وقال: أنا أعرضه. ونادى الثالثة ولم يقم غير الفتى، فدفع المصحف إليه وقال: امضِ إليهم واعرضه عليهم وادعُهُم إلى ما فيه. فأقبل الغلام حتى وقف بإزاء الصفوف ونشر المصحف وقال: هذا كتاب الله وأمير المؤمنين يدعوكم إلى ما فيه. فقالت عائشة: اشجروه بالرماح قبّحه الله! فتبادروا إليه بالرماح فطعنوه من كل جانب! وكانت أمُّهُ حاضرةً فصاحت! وطرحت نفسها عليه وجرّته من موضعه، ولَحِقَها جماعةٌ من عسكر أمير المؤمنين عليه السلام أعانوها على حمله حتى طرحتْهُ بين يدي أمير المؤمنين وهي تبكي وتقول:

يا ربِّ إنَّ مُسلماً دعاهُمْ — يَتلو كِتابَ الله لا يَخْشاهمْ

فَخضَّبُوا مِن دَمِهِ قَناهُمْ وأُمُّهمْ قـائمـةٌ تَـراهُمْ

تأمُرهُـمْ بالقتلِ لا تَنْهـاهُمْ!

فلمّا رأى أمير المؤمنين ما قَدِمَ عليه القوم من العناد واستحلّوه من سفك الدم الحرام؛ رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إليك شخصت الأبصار وبسطت الأيدي وأفضت القلوب وتقرّبت إليك بالأعمال، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين».[1]

إن هذا الموقف البطولي الذي قام به هذا الشاب (أعلى الله درجاته) لم يأتِ انطلاقاً من حماسة عابرة، بل له مقدّمات تربوية حيث كان هذا الشاب تلميذاً لحذيفة بن اليمان (رضوان الله عليه) وقد تعلّم منه الولاء والإخلاص لأمير المؤمنين عليه السلام، فقد روى الديلمي خبراً طويلاً عمّا تلقّاه هذا الشاب من حذيفة إبان فترة ولايته على المدائن من علم بما أحدثه أهل السقيفة (عليهم لعائن الله) قبل وبعد استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله من مؤامرات ومخططات انقلابية حتى اغتصبوا مقام الخلافة وخانوا العهد وغدروا بأهل بيت نبيّهم صلوات الله عليهم، فعقد الشاب العزم من حينها

(١) الجمل للمفيد ص181.

على نصرة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وخرج إلى المدينة المنورة للقائه، ومن هناك شَخَصَ معه إلى البصرة لقتال عائشة، فحاز بذلك شرف أن يكون أول شهيد في معركة الجمل بين يدي مولاه عليه السلام، كما حاز شرف أن يكون شهيد القرآن الذي ضمن له أمير المؤمنين عليه السلام الجنة وبشّره بها.

وقد جاء في آخر الخبر الذي رواه الديلمي: «فلمّا التقى أمير المؤمنين عليه السلام مع أصحاب الجمل كان ذلك الفتى أوّل من قُتل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك لمّا صافَّ القوم واجتمعوا على الحرب، فأحبَّ أمير المؤمنين عليه السلام أن يستظهر عليهم بدعائهم إلى القرآن وحكمه، فدعا بمصحف وقال: مَن يأخذ هذا المصحف يعرضه عليهم ويدعوهم إلى ما فيه فيحيي ما أحياه ويميت ما أماته؟ قال: وقد شرعتْ الرماح في العسكريْن حتّى لو أراد امرء أن يمشي عليها لمشى! قال: فقال الفتى: يا أمير المؤمنين أنا آخذه وأعرضه عليهم وأدعوهم إلى ما فيه. قال: فأعرض عنه أمير المؤمنين عليه السلام ثم نادى الثانية: من يأخذ هذا المصحف فيعرضه عليهم ويدعوهم إلى ما فيه؟ فلم يقم إليه أحد. فقام الفتى وقال: يا أمير المؤمنين أنا آخذه وأعرضه عليهم وأدعوهم إلى ما فيه. قال: فأعرض عنه

أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ نادى الثالثة فلم يقم أحد من الناس إلاّ الفتى، فقال: أنا آخذه وأعرضه عليهم وأدعوهم إلى ما فيه. فقال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّك إنْ فعلتَ ذلك فأنت مقتول! فقال: والله يا أمير المؤمنين ما شيءٌ أحبُّ إليَّ من أن أُرزق الشهادة بين يديْك وأن أُقتل في طاعتك! فأعطاه أمير المؤمنين المصحف فتوجّه به نحو عسكرهم، فنظر إليه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: إن الفتى ممَّن حشى الله قلبه نوراً و إيماناً وهو مقتول، ولقد أشفقتُ عليه من ذلك، ولن يفلح القوم بعد قتلهم إيّاه. فمضى الفتى بالمصحف حتى وقف بازاء عسكر عائشة، وطلحة والزبير حينئذ عن يمين الهودج وشِماله، وكان له صوتٌ فنادى بأعلى صوته: معاشر الناس! هذا كتاب الله و إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام يدعوكم إلى كتاب الله والحكم بما أنزل الله فيه، فأنيبوا إلى طاعة الله والعمل بكتابه. قال: وكانت عائشة وطلحة والزبير يسمعون قوله فأمسكوا، فلمّا رأى ذلك أهل عسكرهم بادروا إلى الفتى والمصحفُ في يمينه فقطعوا يده اليمنى! فتناول المصحف بيده اليسرى وناداهم بأعلى صوته مثل ندائه أوّل مرّة، فبادروا إليه وقطعوا يده اليسرى! فتناول المصحف واحتضنه ودماؤه تجري عليه وناداهم مثل ذلك، فشدّوا عليه فقتلوه! ووقع ميّتاً فقطّعوه إرباً إرباً! ولقد رأينا شحم

بطنه أصفر! قال: وأمير المؤمنين عليه السلام واقف يراهم، فأقبل على أصحابه وقال: إنّي والله ما كنتُ في شكٍّ ولا لَبْسٍ من ضلالة القوم وباطلهم، ولكن أحببتُ أن يتبيَّنَ لكم جميعاً ذلك من بعد قتلهم الرجل الصالح حُكيم بن جبلة العبدي في رجال صالحين معه، وتضاعف ذنوبهم بهذا الفتى وهو يدعوهم إلى كتاب الله والحكم به والعمل بموجبه، فثاروا إليه فقتلوه! ولا يرتابُ بقتلهم مسلم. ووقدت الحرب واشتدّت، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: احملوا عليهم، بِسْمِ اللهِ حم لا يُنْصَرُونَ، وحمل هو بنفسه والحَسَنان وأصحابُ رسول الله صلى الله عليه وآله (...) قال عبد الله بن سلمة: كنتُ ممّن شهد حرب أهل الجمل، فلمّا وضعت الحرب أوزارها رأيت أُمَّ ذلك الفتى واقفةً عليه، فجعلتْ تبكي عليه وتقبّله،

ثمّ أنشأت تقول(١):

يا ربِّ إنَّ مُسلماً أتاهُمْ ... يَتلو كِتابَ الله لا يَخْشاهمْ

يأمُرُهُمْ بالأمرِ مِنْ مولاهُمْ ... فَخَضَّبُوا مِن دَمِهِ قَناهُمْ

(١) إرشاد القلوب للديلمي ص427 وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 28 ص114.

وأُمُّــهــمْ قــائِمــةٌ تَراهُمْ   تأمرُهُمْ بالغَيِّ لا تَنْهاهُمْ»!

هكذا تعاملت عائشة بوحشيتها المعهودة مع هذا الشاب المظلوم الذي كان كلّ جُرمه عندها أنه دعاها وأصحابها إلى كتاب الله تعالى! فأمرت جُندها قائلة: «اشجروه بالرّماح قبّحه الله»! و إذا بهؤلاء الأوغاد يمتثلون للأمر فيرمونه أولاً بالسهام ثم يشجرونه بالرماح ثم يبترون يديه ويقطعّونه إرباً إرباً ودماؤه تسيل على المصحف الشريف الذي أخذه بأسنانه واحتضنه!

«وأمّهم قائمة تراهم تأمرهم بالقتل لا تنهاهم»! هكذا عبّرت أم الفتى المقتول وهي ترى فلذة كبدها يُقتل أمام ناظريْها دون أن تحرّك عائشة ساكناً أو يرهف لها فؤاد! فيا عجباً كيف لم تغضب لمقتل هذا الشاب المؤمن البريء على أيدي جنودها الباغين وغضبت لمقتل عثمان ابن عفان على أيدي المسلمين المبغيّ عليهم؟! أليست خرجت ناقمة على سفك دمه فما بالها لم تكترث بسفك دم هذا الشاب ولم تصرخ بجيشها أن اتّقوا الله فقد سفكتم الدم الحرام وأدخلتمونا في ما أردنا الخروج منه؟! أم أن باء عثمان بن عفان تجرّ وباء مسلم العبدي لا تجرّ؟!

إن هذا الموقف الإجرامي الذي وقفته عائشة في بداية معركة الجمل يكشف في جملة ما يكشفه عن أنها وجُندها ما كانوا يعيرون كتاب الله تعالى اهتماماً واحتراماً، فإنهم تقدّموا صوب هذا الشاب وقتلوه وهو يحمل المصحف الشريف فسال دمه عليه! لم يأخذوا منه المصحف مثلاً ولم يتحاشوا قطع يده التي كان يحمله بها لئلاّ يسقط على الأرض ويصيبه الدم فيكون ذلك هتكاً لكلام المولى عزّ وجل!

وليس مجدياً أن يُعتذر عن عائشة بأنها لم تعلم بذلك، فإن كل هذه الروايات التاريخية المدوّنة في مصادر الفريقين نصّت على قول أم الفتى: «وأمهم قائمة تراهم»! أي أن عائشة كانت ترى ما يجري أمامها وتراقبه عن كثب، وهذا أمر بدهيّ إذ إن المعركة لم تبدأ بعدُ والأنفاس تكون حينئذ محبوسة بطبيعة الحال والجميع يكون في طور الترقّب والمعاينة، ويبعد أن لا تكون عائشة معاينة لأولى مشاهد الاحتكاك على الأقل وإلا فكيف يزعم أبناؤها اليوم أنها خرجت للإصلاح بين الناس إذا كان حضورها في ساحة تلك المعركة كعدمه من حيث أنها لا ترى ولا تسمع ولا تتكلم؟!

وماذا يسع عائشة أن تعتذر به وهي تردّ دعوة الداعي إلى حكم القرآن الكريم وقد زعمت أنها خرجت للإصلاح ؟! أفلا يكون الإصلاح بالعودة إلى حكم القرآن الكريم وتجنيب العباد وبال الحرب والقتال؟! ألا رحمت هذا الفتى وأمّه على أقل تقدير؟! ألا أنكرت على من قتله ظلماً وعدوناً؟!

كلا! إن عائشة جعلت لنفسها هدفاً محدّداً هو الإطاحة بأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) مهما كلّف الأمر! فليُقتل الأبرياء ولتُسفك الدماء ولتُشنَّ الحروب ولتوقَع المجازر..

كل ذلك يهون ما دام علي بن أبي طالب سيسقط ويخلو الأمر لعائشة تجعل من تشاء خليفة على المسلمين يأتمر بأوامرها ويلبّي طلباتها!

وبعد هذا؛ لو كان الإجرام والطغيان امرأة.. لكانت عائشة!

دماء آلاف القتلى في رقبة عائشة!

يظن بعض الناس أن حرب الجمل الكبرى لم تَطُلْ إلا سويعات من نهار يوم واحد، وأن اندلاعها وقع فلتة ثم خرجت الأمور عن السيطرة فتقاتل الفريقان إلى أن أفنى أحدهما الآخر. وهذا الظن خاطئ، فإن هذه الحرب امتدّت إلى سبعة أيام بتمامها! وذلك بدءاً من يوم الخميس العاشر من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين.[١]

روى ابن قتيبة أنه في اليوم الأول من الحرب «اقتتل الناس ذلك اليوم قتالاً شديداً حتى كانت الواقعة والضرب على الرّكب (...) وأقبل علي وعمار والأشتر والأنصار معهم يريدون الجمل، فاقتتل القوم حوله، حتى

(١) ذكر هذا التأريخ لوقعة الجمل البلاذري في التنبيه والإشراف ص256 عن المسعودي.

حال بينهم الليل، وكانوا كذلك يروحون ويغدون على القتال سبعة أيام! وإن عليّاً خرج إليهم بعد سبعة أيام فهزمهم».(١)

إذن؛ فالحرب دامت بين الجانبيْن سبعة أيام، وفي اليوم السابع هُزِم جيش عائشة حين خرج أمير المؤمنين عليه السلام إليهم وهزمهم. وطوال هذه السبعة أيام؛ كانت القتلى تتساقط أمام ناظريَّ عائشة وهي راكبة على جملها دون أن ينكسر لها قلب فتعود عن غيّها وتعلن وقف الحرب حقناً للدماء! بل على النقيض من ذلك؛ كانت تستمرّ بتحريض أتباعها على القتال وتستخدم لذلك فنون الكلام مما له أثر في إشعال النفوس!

لقد كانت تقوم بدور التعبئة الحربيّة لأصحابها وكأنها قائد عسكري! بل إنّ مَن يقول إنها كذلك صدقاً لا يكون مجانباً للصواب إذا ما وقف على دورها في حرب الجمل منذ بدايتها وحتى نهايتها، فإنه لولاها ولولا أنها كانت تركب جملها الملعون كل يوم من أيام هذه الحرب لما اقتتل الناس، إذ كان جملها هو لواء ذلك الجيش الذي يحارب جيش أمير المؤمنين

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص96.

عليه السلام، وببقائه بقيت الحرب، أما حين عُقِر فقد انتهت، تماماً كما لو سقط لواء أي جيش من الجيوش.

في اليوم الأول من الحرب «برز علي رضي الله عنه فعبّى أصحابه»، وفي المقابل «برزت يومئذ عائشة على جملها عسكر، وهو الجمل الذي اشتراه لها يعلى بن منية بمئتي دينار! وعلى الجمل يومئذ هودج من خشب وقد غُشي بجلود الإبل وسُمِّرَ بالمسامير وأُلبس فوق ذلك الحديد»!(١)

ها هي عائشة قد خرجت في حصن عسكري محمول على جملها الذي أضحى «راية عسكر البصرة، قُتلوا دونه كما تُقتل الرجال تحت راياتها»!(٢)

وفي اليوم الثاني من الحرب «دنا القوم من بعضهم بعضا، وتقدّمت عائشة على جملها عسكر حتى وقفت أمام الناس، والناس من ورائها وعن يمينها وشمالها، وصفَّ عليٌّ رضي الله عنه أصحابَه وعبّاهم كالتعبية الأولى،

(١) الفتوح لابن أعثم ج 2 ص468.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 1 ص252.

وعزم القوم على المناجزة، وتقدّم كعب بن سور الأزدي حتى أخذ بخطام الجمل وجعل يرتجز ويقول أبياتاً مطلعها:

يا معشَرَ النّاسِ عَليْكُم أُمُّكم　　　فإنّها صَلاتُكُمْ وصَوْمُكُم!

فحمل عليه الأشتر فقتله (...) فلم تزل القوم كذلك؛ يتقدّم رجلٌ بعد رجل حتى قُطع على الخطام يومئذ ثمان وتسعون يداً! فنادت عائشة رضي الله عنها بأعلى صوتها: أيها الناس! عليكم بالصبر فإنما تصبر الأحرار! (...) فاقتتل القوم قتالاً شديداً لم يُسمع بمثله، وصار الهودج الذي فيه عائشة كأنه القنفذ مما فيه من النَّبل والسِّهام»![١]

وبدءاً من اليوم الثالث استعرت الملحمة واشتدّت، وبدأت فِرَق جيش عائشة تُفنى واحدة تلو الأخرى حول جملها الذي صار بالنسبة إليهم كالصنم يحفّون به! وكلّما كانت فرقة تُقتَل كانت تأتي أختها وتأخذ بخطام الجمل فتثني عليها عائشة وتحضّها على القتال!

(١) الفتوح لابن أعثم ج 2 ص479.

الفرقة الأولى كانت من قريش حيث «أخذ خطام الجمل سبعون من قريش، قُتِلوا كلّهم! ولم يكن يأخذ بخطام الجمل أحدٌ إلا سالت نفسه! أو قُطِعت يده»![1]

والفرقة الثانية كانت من بني ناجية - وبعضهم نصارى - وقد غازلتهم عائشة ودغدغت مشاعرهم حين زعمت أن سيوفهم قرشية وأن فيهم شمائل قريش وهم الذين لم تعترف قريش بنَسَبهم إليها! فاستمالتهم وحرّضتهم بهذه الكلمة حتى يمضوا على القتال! وذلك لمّا أقبلت عائشة «على كتيبة بين يديها فقالت: مَن القوم؟ قالوا: بنو ناجية. قالت: بخٍ بخٍ! سيوف أبطحية وسيوف قرشية! فجالدوا جِلاداً يُتفادى منه»[2] ثم قالت لهم: «صبراً يا بني ناجية فإني أعرف فيكم شمائل قريش! قالوا: وبنو

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 1 ص265 عن أبي مخنف، ونحوه في الكامل لابن الأثير ج 3 ص249.

(٢) تاريخ الطبري ج 3 ص525 عن سيف بن عمر الضبّي، والكامل لابن الأثير ج 3 ص247.

ناجية مطعون في نسبهم إلى قريش! فقُتِلوا حولها جميعاً»![1]

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 1 ص265 عن أبي مخنف الكوفي. وقصة بني ناجية هي أنه كانت أمهم ناجية امرأة سامة بن لؤي بن غالب القرشي وهو أخو الجدّ السابع للنبي ﷺ، فمات من لدغة أفعى فتزوّجت امرأته رجلاً من أهل البحرين فولدت له الحارث ثم مات الرجل، فطمعت أمه في أن تلحقه بقريش فرحلت به إلى مكة ونزلت على كعب أخي زوجها الأول سامة وزعمت له أن الحارث هو ابن أخيه فصدّقها وأقامهما عنده مدة إلى أن جاء ركب من البحرين فاكتشف أنه مخدوع وأن الحارث ابن رجل منهم! فنفاه كعب ونفى أمّه ناجية إلى البحرين، فرجعا إلى هناك حتى شبّ الحارث فتزوّج امرأة وأعقب هذا العقب المعروف ببني ناجية. ولم تعترف قريش بنسبهم إليها ولذا قال قائلها:

وسامَةُ منّا فأمّا بنوه فَأَمْرُهُمْ عندنا مُظلمُ!

راجع الجمهرة لابن حزم ص162 والأغاني لأبي الفرج ج 10 ص203، وفي جمهرة النسب لهشام الكلبي ص114 أن الحارث كان ابن سامة ولم تكن ناجية أمّه بل امرأة أبيه، فنكحها نكاح مقت! ولم يعقّب منها، فجاء قوم من بني امرأة أخرى يُقال لها ناجية وادّعوا أنهم أبناء هذه من الحارث بن سامة، فردّتهم قريش. ومهما يكن فإن المخالفين رووا عن النبي ﷺ أنه نفى نسبة بني ناجية إلى قريش من سامة ابن لؤي، فقال: «عمّي سامة لم يعقِّبْ» رواه أبو الفرج في الأغاني ج 9 ص100 وابن أبي الحديد في شرح النهج ج 3 ص121، وكذا رووا أن أمير المؤمنين عليه السلام نفاهم قائلاً: «ما أعقب عمّي سامة» كما في تاج العروس للزبيدي ج 8 ص351 عن أبي الفرج بسنده. ويبدو أن بني ناجية كان لهم نفوذ قوي في ما بعد بحيث أن محدّثي المخالفين وضعوا لهم حديثاً على لسان رسول الله ﷺ يومئ إلى كونهم من قريش بل من أهل البيت! إذ رووا كما في مجمع الزوائد للهيثمي ج 10 ص50 ومسند أحمد بن حنبل ج 1 ص169 أن النبي ﷺ قال عنهم: «هم مني وأنا منهم»!

ولا يعزب عنك أن فِعل عائشة ههنا في إلحاقهم يضاهي فِعلها في إلحاق زياد بن أبيه بأبي سفيان كما مرّ عليك في ص532 من هذا الكتاب، خلافاً لحكم رسول الله ﷺ القاضي بأن الولد للفراش. غير أن كل حكم عند عائشة هو تحت قدميها إذا كان لا يوافق هواها ومراميها! =

وبلغ مجموع قتلاهم كما ذكره ابن أعثم: «أربعمئة رجل»!

= هذا واعلم أن بني ناجية الذين كانوا من خُلَّص أنصار عائشة انقسم الناجون منهم بعد معركة الجمل إلى ثلاث فِرَق، أولاها قالت إنّا مسلمون ونتوب الآن فنبايع أمير المؤمنين عليه السلام، والثانية قالت إنّا نصارى على ديننا الأول ولم نُسلم لكن عائشة وأتباعها أخرجونا معهم قهرا فحاربنا مضطرين ونحن الآن ننزل على حكم أمير المؤمنين عليه السلام ونعطى الجزية، والثالثة قالت إنا كنا نصارى فأسلمنا ولكننا الآن نرتدّ بعد هذه الفتنة ونعود إلى ديننا الأول فهو خير لنا من هذا الدين الذي لم يعجبنا حيث يقاتل بعض أهله بعضاً! وهذه الأخيرة استتابها موفد أمير المؤمنين عليه السلام ثلاث مرات فلم يتوبوا ولم يرجعوا إلى الإسلام فأجرى عليهم حكم الردّة. وكان ذلك مثار حقدهم عليه حتى صار أبناؤهم بعد ذلك من أشد مبغضيه ومبغضي شيعته! ولا عجب فهم أبناء الأدعياء!

روى ابن هلال الثقفي في الغارات ج 1 ص330: «لمّا بايع أهل البصرة علياً عليه السلام بعد الهزيمة؛ دخلوا في الطاعة غير بني ناجية فإنهم عسكروا، فبعث إليهم علي عليه السلام رجلاً من أصحابه في خيلٍ ليقاتلهم، فأتاهم فقال: ما بالكم عسكرتم وقد دخل الناس في الطاعة غيركم؟ فافترقوا ثلاث فرق، فرقة قالوا: كنا نصارى فأسلمنا ودخلنا في ما دخل فيه الناس من الفتنة ونحن نبايع كما بايع الناس. فأمرهم فاعتزلوا. وفرقة قالوا: كنا نصارى ولم نُسلم فخرجنا مع القوم الذين كانوا خرجوا، قهرونا فأخرجونا كرهاً! فخرجنا معهم فهُزموا! فنحن ندخل في ما دخل فيه الناس ونعطيكم الجزية كما أعطيناهم. فقال لهم: اعتزلوا. وفرقة قالوا: إنّا كنا نصارى فأسلمنا فلم يعجبنا الإسلام! فرجعنا إلى النصرانية، فنحن نعطيكم الجزية كما أعطاكم النصارى. فقال لهم: توبوا وارجعوا إلى الإسلام. فأبوا! فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم فقَدِمَ بهم على علي عليه السلام». ونحوه في سنن البيهقي ج 8 ص208

ويبدو أن المخالفين إذ رأوا أن بني ناجية كانوا من مبغضي أمير المؤمنين عليه السلام فإنهم استمرؤوا نسبتهم إلى سامة بن لؤي حتى أثبتوا ذلك في مؤلفاتهم وجعلوا بعضاً منهم شيوخاً لهم في الرواية! قال ابن كثير في السيرة النبوية ج 1 ص91: «وقال الزبير: وِلْدُ سامة بن لؤي غالباً والنبيت والحارث. قالوا: وكانت له ذرية بالعراق يبغضون علياً! ومنهم علي بن الجعد، كان يشتم أباه لكونه سمّاه علياً! ومن بني سامة بن لؤي محمد ابن عرعرة بن اليزيد شيخ البخاري»!

وكانت الفرقة الثالثة من بني بكر بن وائل الذين جاءوا عن يمين عائشة فقالت: «مَن القوم؟ قالوا: بكر بن وائل» فخاطبتهم ببيت شعر استهضتهم به بمدح بسالة قبيلتهم وثبات رجالها، ثم حرّضتهم على قتال مَن بإزائهم من بني عبد القيس؛ قائلةً: «لكم يقول القائل:

وجاءُوا إلينا في الحديدِ كأنَّهمْ   مِن العِزَّةِ القَعْساءِ بَكْر بن وائلِ!

إنما بإزائكم عبد القيس! فاقتتلوا أشدّ القتال من قتالهم قبل ذلك».[١]

وقُتل منهم يومئذ «ثمانمئة رجل»![٢]

وكانت الفرقة الرابعة التي تحلَّقَت حول عائشة من بني ضُبّة، واستقبلتهم عائشة بمحفّزاتها الكلامية، فإنها «لمّا أطافت بها بنو ضبّة؛ قالت: وَيْهاً جمرة الجمرات»![٣] إلا أن الرياح جاءت بما لا تشتهيه عائشة

(١) تاريخ الطبري ج 3 ص525، والقعساء: أهل العزّة والثبات والمَنَعة.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج 2 ص488.

(٣) تاريخ الطبري ج 3 ص526، والكامل لابن الأثير ج 3 ص247. وويْهاً: كلمة إغراء وتحريض، فمعنى «ويهاً جمرة الجمرات» أنْ هلمّوا يا بني ضبّة إلى القتال فأنتم في الحرب جمرة الجمرات حرارةً واشتعالاً!

فجرى السيف على هؤلاء «حتى قُتل منهم على الخطام أربعون رجلاً»!(١) وبلغ مجموع قتلاهم «ألف رجل»!(٢) وانكسرت عائشة بمقتلهم انكساراً كبيراً ولاحت أمامها أعلام الهزيمة بترنّح جملها! حتى قالت: «ما زال جملي معتدلاً حتى فقدتُ أصوات بني ضُبّة»!(٣)

وكانت الفرقة الخامسة من بني عَدِي الذين جاءوا وأحدقوا بجمل عائشة «فقالت: مَن أنتم؟ قالوا: بني عَدِيٍّ خالَطْنا إخواننا» فاستثارت عائشة حميّتهم بمدح الذين قُتِلوا من قبلهم من بني ضبة وأنها حيث فقدتهم الآن فقد اختلّ توازن جملها! «فقالت: ما زال رأس الجمل معتدلاً حتى قُتِلَتْ بنو ضبّة حولي»! فغار بنو عدي وأرادوا أن يثبتوا لعائشة أنهم ليسوا بأقل من بني ضبّة «فأقاموا رأس الجمل ثم ضربوا ضرباً شديداً ليس بالتعذير ولا يُعدَلون بالتطريف».(٤) ثم قُتِلَ منهم «تسعون رجلاً»!(٥)

(١) تاريخ الطبري ج 3 ص527، والكامل لابن الأثير ج 3 ص249.

(٢) تاريخ الطبري ج 3 ص542.

(٣) تاريخ الطبري ج 3 ص527، والكامل لابن الأثير ج 3 ص249.

(٤) تاريخ الطبري ج 3 ص526، والكامل لابن الأثير ج 3 ص247، والتعذير: التقصير، والتطريف: قطع الأيدي والأرجل، والمراد أنهم لم يقصّروا في قتالهم ولم يكن مثلهم في قطع أيدي وأرجل مقاتليهم.

(٥) الفتوح لابن أعثم ج 2 ص488.

وكانت الفرقة السادسة من بني أزد غسّان الذين جاءوا عن يسار عائشة فقالت: «مَن القوم؟ قال صَبْرة بن شَيْمان: بَنوك الأزد» فبعثت الحميّة فيهم بدعوتهم لأن يُثبتوا جدارتهم التي كان الناس يسمعون بها في القتال، فقالت: «يا آل غسّان حافظوا اليوم جِلادكم الذي كنّا نسمع به! وتمثّلتْ[١]:

وجالَدَ من غسّانَ أهلُ حِفاظِها   وهِنْبٌ وأَوْسٌ جالدتْ وشبيبُ»

وصبّرتهم قائلة: «صبراً! فإنما يصبر الأحرار» ثم عمدت إلى استثارة نخوتهم بالأسلوب الذي اتبعته مع بني عدي بذكر بلاء بني ضبّة، فقالت: «مازلتُ أرى النصر مع بني ضبّة، فلمّا فقدتُهم أنكرتُه! فحرَّضتْ الأزد بذلك، فقاتلوا قتالاً شديداً».[٢] ثم ثنّت بذكر بلاء بني عدي وأنهم أقاموا رأس جملها فقالت: «ما أنكرتُ رأس جملي حتى فقدتُ أصوات بني

(١) تاريخ الطبري ج 3 ص525 والكامل لابن الأثير ج 3 ص247.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 6 ص228.

عَدي»![1] فغاروا وقاتلوا بين يديها على أشد ما يكون حتى قُتل منهم «أربعة آلاف رجل»![2]

وتوالى تساقط القتلى حول جمل عائشة بالآلاف، فكلُّ مَن كان يأخذ بخطام الجمل كان يُقتل أو تُقطع يده، إلى أن جاء عبد الله بن الزبير «فقبض على خطام الجمل، فصرخت به عائشة رضي الله عنها: خلِّ عن الخطام ودونك القوم! فخلّاه والتقى بمالك النخعي الأشتر، فاعتركا مليّاً حتى سقطا إلى الأرض، فعلاه مالك بالسيف فلم يجد له سبيلاً إلى قتله، وعبد الله ينادي من تحته:

اقتُلوني ومالكاً واقتُلوا مالِكاً معي

فلم يُجبه أحد، ولا أحد يعلم من الذي يعنيه لشدة اختلاط الناس ببعضهم وثور النَّقْع،[3] فلو قال: اقتُلوني ومالك الأشتر لقُتِلا جميعاً.

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص143.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج 2 ص487.

(٣) ثور النقع : هيجان الغبار الساطع بفعل شدة المعركة وهو ما حجب الرؤية بوضوح .

فقال مالكٌ هذه الأبيات[١]:

أَ عايِشُ لولا أنني كنتُ طاوياً ... ثلاثاً لألفَيْتِ ابن أختِكِ هالكا

غَداةَ يُنــادي والرِّماحُ تنوشُهُ ... كَوقْعِ الضَّياحي اقتُلوني ومالِكا

فـنـجّـاهُ مِـنّي أكـلُـهُ وشَبابهُ ... وأنّي شـيـخٌ لـم أَكُنْ متماسِكا»

هكذا صار ما حول عائشة وجملها مذبحةً لا مثيل لها، إلا أنها لم تُثِرْ فيها أدنى شفقة أو رحمة ولم تُرجعها عن الزجّ بالنفوس في هذه المهلكة!

---

(١) الجمل لضامن بن شدقم المدني ص144، وقد كان مالك الأشتر (رضوان الله تعالى عليه) قبل وقعة الجمل صائماً ثلاثة أيام بلا إفطار أي كان طاوياً، ولذا ضعفت قواه ولم يتمكن من قتل ابن الزبير لعنهما الله، فخاطب عائشة (لعنها الله) بهذه الأبيات.

وكان للأشتر (عليه الرحمة) موقف آخر مع عائشة بخصوص عبد الله بن الزبير، وذلك ما رواه أبو مخنف كما في شرح النهج لابن أبي الحديد ج 1 ص263 عن الأصبغ بن نباتة قال: «دخل عمار بن ياسر ومالك ابن الحارث الأشتر على عائشة بعد انقضاء أمر الجمل، فقالت عائشة: يا عمّار مَن معك؟ قال: الأشتر. فقالت: يا مالك؛ أنت الذي صنعت بابن أختي ما صنعت؟ قال: نعم، ولولا أني كنت طاوياً ثلاثة أيام لأرحتُ أمة محمد منه»!

والحق ما قال مالك، فإنه لم تمضِ إلا سنوات حتى أعلن ابن الزبير نفسَه خليفةً في مكة فأذاق أمة محمد ﷺ ويلات العذاب وبلغ من نُصبه أنه لم يكن يصلّي على النبي ﷺ لئلّا يرتفع بذلك ذكر أهل البيت وبني هاشم!

فمضت تحرّض أبناءها على الحرب والقتال وسفك الدماء حتى لَقِيَ هؤلاء حتوفهم واحداً تلو الآخر!

وكان بعض المسلمين يخاطبها أملاً في أن توقف القتال قائلاً ما معناه: ألا تريْن كم رجلاً يُقتل؟! ألا ترحمين أبناءك يا من صارت أعقَّ الأمّهات؟!

ومن هؤلاء الحارث بن زهير الأزدي الذي مشى إليها وقال لها[١]:

«يا أُمَّنا أَعَقَّ أمٍّ نعلمُ! والأمُّ تغذو وِلْدَها وتَرحمُ

أَما تَرَيْنَ كم شُجاعٍ يُكلَمُ؟! وتُختلى هامَتُهُ والمِعْصَمُ»؟!

فتصدّى إليه عمرو بن الأشرف العكبي فتقاتلا حتى قتل كل واحد منهما صاحبه! وأما عائشة فلم تتأثر ولم تتراجع بل ظلّت على عنادها حتى آخر نفس أملاً في أن تنتصر في هذه الحرب وتعود إلى موقعها الذي كانت فيه أيام حكومة أبيها وصاحبه.. موقع السيدة الأولى، أو «أميرة المؤمنين»! بحسب تعبير أحد المخدوعين بها وهو عمير بن الأهلب

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 1 ص264 وتاريخ الطبري ج 3 ص526 غير أنه منسوب إلى ربيعة العقيلي أو عمرة بن بحرة العدوي.

الضبّي، وقد تقدّمت في الفصل الأول أبياته التي نطق بها ساعة احتضاره،[١] وبقي أن تعلم ما الذي قاله وصنعه بعدها.

روى المسعودي عن المدائني «أنه رأى بالبصرة رجلاً مصطلم الأذن[٢] فسأله عن قصته، فذكر أنه خرج يوم الجمل ينظر إلى القتلى، فنظر إلى رجل منهم يخفض رأسه ويرفعه وهو يقول:

لقدْ أوردَتْنا حَوْمَةَ الموتِ أُمُّنا ... فَلَمْ تَنصرفْ إلاّ ونحنُ رِواءُ!

أَطَعْنا بني تَيْمٍ لشَقْوَةِ جَدِّنا ... وما تَيْمٌ إلاّ أَعْبُدٌ و إِماءُ!

فقلت: سبحان الله! أتقول هذا عند الموت! قل: لا إله إلا الله، فقال: يا ابن اللَّخْنَاء! إياي تأمر بالجزع عند الموت! فولَّيْتُ عنه متعجّباً منه، فصاح بي: ادْنُ منّي ولقّني الشهادة. فصرتُ إليه، فلمّا قَرُبْتُ منه استدناني؛ ثم التقم أذني فذهب بها! فجعلت ألعنه وأدعو عليه، فقال: إذا صرتَ إلى

(١) راجع ص106 من كتاب الفاحشة.

(٢) أي مقطوع الأذن.

أمّك فقالت: مَن فعل هذا بك؟ فقل: عمير بن الأهلب الضبّي؛ مخدوع المرأة التي أرادت أن تكون أميرة المؤمنين»![1]

إنه طموح عائشة في أن تغدو إمبراطورة على هذه الأمة! هذا ما اكتشفه هذا الرجل بعدما عاين الموت فندم على كونه مخدوع هذه المرأة التي ساقته إليها كما تُساق الإبل! ولله دَرُّ الفضل بن العباس الذي تهكّم على هؤلاء الحمقى الذين انساقوا وراءها، فقال[2]:

آضَتْ أمورُ الوَرى إلى امرأة ... وليْتَها لم تَكُنْ إذا آضَتْ!

مُبَشِّرٌ جاءنا يبشُّرُنا: ... أميرةُ المؤمنينَ قد باضَتْ!

هَبْها تصلِّي بنا إذا طَهُرَتْ ... فَمَنْ يُصلّي بنا إذا حاضَتْ؟!

لقد كانت حرباً مدمّرة وقودها طموح عائشة الشخصي، وقد خلّفت بعد فشلها في تحقيق هذا الطموح آلاف القتلى فضلاً عن الجرحى والمُعاقين ممّن فقدوا عيونهم أو أيديهم أو أرجلهم! وجُلُّهم من أبنائها أي

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ج 2 ص379، ونحوه في تاريخ الطبري ج 3 ص532 والكامل لابن الأثير ج 3 ص252.

(٢) الصراط المستقيم للنباطي العاملي ج 3 ص163

الذين اعتقدوا فيها أُمّاً لهم تستحق أن تُبرَّ، فإذا بها تعقُّهم وترمي بهم في هذه التهلكة وكأنها «هرّة تريد أن تأكل أولادها»! على حدّ قول السيد الحِمْيري الذي رواه الجاحظ والزمخشري والنباطي. قال الزمخشري: «قال السيد الحِمْيَري في عائشة رضي الله عنها حين نصبت الحرب يوم الجمل[١]:

جاءَتْ مع الأَشْقَيْنِ في هَوْدَجٍ ... تُزْجِي إلى البَصْرةِ أَجْنادَها

كأنها في فِعْلها هِرَّةٌ ... تُريد أنْ تأكُلَ أَولادَها»!

فكم رجلاً أكلتهم عائشة في هذه الحرب الطائشة الدامية بعدما «كانت الرؤوس تُندَرُ عن الكواهل! والأيدي تطيح من المعاصم! وأقتاب البطن تندلق من الأجواف! وهم حول الجمل كالجراد لا تتحلحل ولا تتزلزل»؟![٢]

قد تراوحت روايات المؤرخين في أعداد قتلى حرب الجمل ما بين سبعة آلاف إلى ما يزيد على ثلاثين ألف قتيل!

(١) المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ص17 والحيوان للجاحظ ج 1 ص91 والصراط المستقيم للنباطي العاملي ج 3 ص163، ويريد بالأشقيْن طلحة والزبير.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 1 ص253 عن المدائني والواقدي. وتُندر: تُقطع . والأقتاب: الأمعاء.

فمن الذين ذكروا السبعة آلاف؛ خليفة بن خياط في روايته عن علي بن زيد قال: «قُتِلَ يوم الجمل سبعة آلاف»![1]

ومن الذين ذكروا العشرة آلاف؛ الطبري في روايته عن سيف بن عمر عن محمد وطلحة قالا: «كان قتلى الجمل حول الجمل عشرة آلاف! نصفهم من أصحاب علي ونصفهم من أصحاب عائشة»![2] غير أنه عاد وروى أن المجموع مع ضمّ المعركة الأولى يزيد على ذلك بخمسة آلاف قتيل من أهل الكوفة حيث قال: «وقيل: قُتِلَ من أهل البصرة في المعركة الأولى خمسة آلاف، وقُتِلَ من أهل البصرة في المعركة الثانية خمسة آلاف، فذلك عشرة آلاف قتيل من أهل البصرة، ومن أهل الكوفة خمسة آلاف»![3] فيكون المجموع خمسة عشر ألفاً!

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص140.

(٢) تاريخ الطبري ج 3 ص542.

(٣) المصدر نفسه.

ومن الذين ذكروا الثلاثة عشر ألفاً؛ خليفة بن خياط في روايته عن خالد بن العاص عن أبيه قال: «قُتِلَ ثلاثة عشر ألفاً، من أصحاب علي ما بين الأربعمئة إلى الخمسئة»![١]

ومن الذين ذكروا الثمانية عشر ألفاً؛ المسعودي حيث قال: «قُتِل من أصحاب علي في ذلك اليوم خمسة آلاف نفس، ومن أصحاب الجمل وغيرهم من أهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفاً»![٢]

ومن الذين ذكروا العشرين ألفاً؛ خليفة بن خياط في روايته عن قتادة قال: «قُتِلَ يوم الجمل عشرون ألفاً»![٣] وروى أيضاً عن أبي حاتم قال: «حدّثتني جدّتي قالت: خرجنا إلى قتلى الجمل فعددناهم بالقصب عشرين ألفاً»![٤]

وزاد ابن عبد ربّه الأندلسي على هذا العدد خمسمئة من الشيعة في روايته عن قتادة حيث قال: «قُتِلَ يوم الجمل مع عائشة عشرون ألفاً (...)

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص140.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ج 1 ص322.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ص139.

(٤) المصدر نفسه ص140.

وقُتِل من أصحاب علي خمسمئة رجل»!(١) فيكون المجموع عشرون ألفاً وخمسمئة قتيل! أما اليعقوبي واليافعي فقد رويا أن عدد القتلى زاد على الثلاثين ألفاً! حيث قال اليعقوبي: «روى بعضهم أنه قُتِلَ في ذلك اليوم نيِّفٌ وثلاثون ألفاً»! وقال اليافعي: «وبلغت القتلى يومئذ ثلاثة وثلاثين ألفاً على ما ذكر أهل التواريخ »!(٢)

وأما أسماء أبرز المقتولين في تلك الحرب الضّروس من وجوه القبائل والبطون فقد دوّنها خليفة بن خياط في تاريخه وبدأ بأصحاب عائشة ثم أصحاب علي عليه السلام، ونحن نوردها كما جاءت. قال: «تسمية من حُفِظَ لنا ممن قُتِلَ يوم الجمل. من بني أمية: عبد الرحمن عتاب بن أسيد. ومن بني حبيب بن عبد شمس: عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر. ومن بني عبد العزى بن عبد شمس: علي بن عدي بن محرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزى. ومن بني أسد بن عبد العزى: الزبير بن العوام قتله عمير بن جرموز، وعبد الله بن حكيم بن حزام. ومن بني عبد الدار بن قصي: عبد الله بن مسافع بن طلحة بن أبي صالحة. ومن بني عبد ابن قصي: عبد الله

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ج 2 ص106.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج 2 ص183 ومرآة الجنان لليافعي ص45.

مولى الحارث بن نقيد. ومن بني زهرة بن كلاب: الأسود بن عوف، وعبد الله ابن المغيرة بن الأخنس ابن شريق، وعبد الله بن أبي عثمان بن الأخنس بن شريق، حليفان لهم من ثقيف، ومعبد بن المقداد بن الأسود، حليف لهم من بهراء. ومن بني مخزوم بن يقظة: عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس وعبد الله بن أبي بردة بن معبد بن وهب بن عائذ، ومعبد ابن زهير بن أبي أمية. ومن بني تيم بن مرة: طلحة بن عبيد الله، وابنه محمد بن طلحة وعبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان، وعبد الرحمن بن أبي سلمة بن الحارث. ومن بني جمح : صفوان مولى مطيع ، وعبد الرحمن بن وهب بن أسيد، وعبد الله بن أبي بن خلف، وابن لعميرة ابن وهب، ومسلم بن عامر بن حميل، ونعيم بن الصلت حليف لهم من كندة، وعبد الله ابن هانئ مولى عبد الله بن أبي سلمة. ومن بني سهم بن عمرو: ابن لقيس بن عدي. ومن بني عامر بن لؤي: عمرو بن عبد الله بن أبي قيس، وأبو سفيان بن حويطب، وأبو الأخنس مولى لهم. ومن بني الحارث بن فهر: رجل. ومن بني تميم: هلال بن وكيع الدارمي، وأبو الجرباء الغيلاني. ومن بني غيلان بن مالك: أخوة مازن بن مالك بن عمرو بن تميم. قال أبو اليقظان: وقتل السجف بن سعد بن عوف العجيفي، وفرافصة، وعمار رجلان. ومن

بلهجيم: حنظلة ابن ضرار الضبي. ومن قيس بن عيلان ثم من بني سليم: عاصم بن قيس بن الصلت وابنه عمرو بن عاصم، وشبيب بن الهيثم، ومعوض بن أسماء بن الصلت، ومعوض بن علاط أخو الحجاج بن علاط، وقُتِل من باهلة: كليب بن عمرو عم قتيبة بن مسلم. ومن اليمن: كعب ابن سور اللقيطي، وابن لصبرة بن شيمان الحداني. قال أبو اليقظان: وقتل من طاحية ثلاثون رجلاً دُفِنوا عند مسجد نافع بن خالد الطاحي. وقُتِل من الجهاضم ثلاثون رجلاً منهم: قيس ابن صهبان، وجودان بن عائذ أبو عبد الله بن جودان. وقُتِل عمرو بن الأشرف وهو أبو زياد ابن عمرو وهو آخذ بخطام الجمل قتله الحارث بن عبد الشارق الغامدي، وقتله عمرو ابن الأشرف، قتل كل واحد منهما صاحبه.

وقُتِل من أصحاب علي ممّن حُفِظ لنا: زيد وسيحان ابنا صوحان، وعلباء بن الحارث السدوسي، وهند الجملي، والصقعب وعبد الله ابنا سليم أخوا مخنف بن سليم».[١]

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص140 وما تلاها.

فكل هؤلاء دماؤهم في رقبة عائشة! سواء كانوا ممن حاربها وقاوم حركتها الانقلابية الإرهابية؛ أو ممن حارب معها من الذين غرّرت بهم وخدعتهم! فكلُّهم قتلتهم عائشة! واللهُ وحده العالِم أيُّ عذابٍ تتلقّاه عائشة اليوم في جهنّم بسبب هذه المجازر الدموية التي وقعت بين المسلمين بسببها! وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «عائشة كبير جُرمها! عظيم إثمها! ما أُهرِقَت محجمة من دم إلا و إثم ذلك في عنقها وعنق صاحبيها»![١]

ولا يرتاب مؤمن في أن هذه المرأة وجبت لها النار بعد الذي ارتكبته وأحدثته في الإسلام، فإن يدها ملطّخة بدماء آلاف الضحايا، ولو أنها قتلت واحداً صغيراً منهم لوجبت لها النار؛ فكيف وقد قتلت آلاف الأكابر منهم في صعيد واحد؟!

ومن الحريِّ ههنا ذكر ما دار بين عائشة و إحدى الأمهات الثكلى ممن فقدن أبناءهنّ في يوم الجمل، حيث ألزمتها تلك الأمّ حكمها على نفسها بأنها تستوجب النار!

(١) دلائل الإمامة للطبري الإمامي ص260.

روى ابن عبد ربّه الأندلسي وابن قتيبة الدينوري عن ابن أبي شيبة قال: «دخلت أم أوفى العبدية على عائشة بعد وقعة الجمل، فقالت لها: يا أم المؤمنين؛ ما تقولين في امرأة قتلت ابناً لها صغيراً؟ قالت: وجبتْ لها النار. قالت: فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفاً في صعيد واحد؟! قالت: خذوا بيد عدوة الله»![١] وفي رواية ابن الدمشقي الشافعي قولها: «خذوا بيد عدوة الله وأخروجها عن محضري»![٢]

إن هذه المحاروة تبيّن لنا كيف أن عائشة لم تأبه بكل تلك الدماء التي سُفكت بسببها! كما تبيّن لنا كيف أنها ظلت على عنجهيّتها حتى بعد انتهاء الحرب الطاحنة حيث أمرت بطرد تلك المرأة المسكينة ونعتتها بعدوة الله! مع أن المرأة لم تفعل شيئاً سوى أنها ألزمتها بحكمها على نفسها، فإنها حيث حكمت بأن المرأة التي تقتل ابناً لها صغيراً تستوجب النار؛ فيكون من باب أولى أن تحكم على نفسها بالحكم ذاته وقد قتلت في صعيد واحد عشرين ألفاً من أولادها الأكابر! بيْد أن عائشة حيث لم

(١) العقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسي ج 2 ص109 عن أبي بكر بن أبي شيبة، وعيون الأخبار لابن قتيبة ج 1 ص202.

(٢) جواهر المطالب لابن الدمشقي الشافعي ج 2 ص28.

تكن تملك جواباً ولا حجة فقد أمرت بطرد المرأة من محضرها! وهذا هو ديدن جميع الكفار والمجرمين الذين يلجأون إلى مثل ذلك حين يعجزهم ردّ الحجة بالحجة.

وهذه المحاورة تُنبئنا أيضاً أن ما يتناقله المخالفون من ندمها وتوبتها وبكائها بعد سنوات من حرب الجمل؛ ما هو إلا ضرب من ضروب تصنّعها أو أنه حسرة على خيبة أملها، فإن المرأة لم تهتزّ ولم تخشع حين أذكرتها أم أوفى العبدية بأنها السبب في مقتل كل هؤلاء الناس! بل أظهرت على العكس من ذلك رباطة جأشها وبقاءها على موقفها وكأن قلبها من حجر! وسيوافيك إن شاء الله تعالى ردّ دعوى أنها خرجت لطلب الإصلاح ثم ندمت وردُّ ما يتصّل بذلك مما تشبّث به المخالفون أو اعتذرت به هي وحزبها لأجل تبرئة ساحتها وغسل عارها!

سقوط صنم عائشة وجملها!

لم يُفتتن بامرأة في الإسلام كما افتُتِنَ بعائشة، فقد أُشرِبَت في قلوب عشاقها المغفّلين حتى ذابوا فيها تقديساً وحبّاً! وبلغ تقديسهم لها مبلغاً أشبه بأسطورة خيالية لا يمكن تصديقها، إلا أن الواقع أثبت أنها حقيقة! فقد اتُّخذَت هذه الحميراء الملعونة عند أنصارها ربّاً يُعبد من دون الله تعالى جرياً على عادة الأقوام السابقة التي وصفها الله تعالى بقوله: «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ»!(١)

ولا يُظَنُّ بأن في هذا الكلام مبالغة أو تهويلاً، فإنه الواقع بعينه الذي كشفت عنه الشواهد التي لم يُرَ لها في تاريخ الإسلام والمسلمين

---

(١) التوبة: 31، ولاحظ أن الله تعالى وصفهم بذلك مع أنهم ما اتخذوا أحبارهم أرباباً اعتقاداً، وإنما عملاً من حيث أنهم أطاعوهم وعصوا الله تعالى، فكذلك حال أتباع عائشة والمفتونين بها.

نظيراً. فأيُّ امرأة في تاريخ الإسلام صارت الآلاف المؤلّفة من الرجال الصناديد يتبعونها اتّباع الماشية لراعيها ويأتمرون بأمرها ائتمار العبيد لمالكها ويُتلفون أنفسهم وأرواحهم في الحرب دونها ودون دابّتها التي تركبها؟!

وأيُّ امرأة في تاريخ الإسلام قيل فيها:[١]

يا معشَرَ النّاسِ عَليْكُم أُمُّكم   فإنّها صَلاتُكُمْ وصَوْمُكُم!

فاختُزل فيها الدين وانتهت إليها الشريعة وحلّت محلّ الصلاة والصوم وسائر العبادات التي لله عز وجل لكنها صارت لعائشة وفي عائشة؟!

وأيُّ امرأة في تاريخ الإسلام قيل فيها:[٢] «هذه أمُّكم نصرها دين وخذلانها عقوق»؟! فصارت نُصرتها مقياساً للدين وكأن وحياً أو حديثاً

---

(١) والقائل كعب بن سور الأزدي قُبيل مقتله كما تقدّم في ص84 من هذا الكتاب.

(٢) والقائل عمرو بن يثربي كما في شرح النهج لابن أبي الحديد ج 1 ص260.

ورد فيها يقول: عائشة مع الحق، والحق مع عائشة، يدور معها الحق حيثما دارت!

وأي امرأة في تاريخ الإسلام بلغ تعظيم أتباعها لها مبلغ تبرّكهم بالخُرْء الذي يخرج من دبر الجمل الذي تركبه! فقد روى الطبري وابن الأثير وغيرهما عن أبي البختري الطائي قال: «أطافت ضبّة والأزد بعائشة يوم الجمل، و إذا رجالٌ من الأزد يأخذون بَعْرَ الجمل فيفتّونه و يشمّونه و يقولون: بَعْرُ جملِ أُمِّنا ريحه ريح المسك»![1]

قد علمنا مثلاً بقصة سجاح التميمية المتنبّية المعروفة، وأوقفنا التاريخ على ما كان لها من تعظيم وتبجيل عند أصحابها الذين آمنوا بها

---

(١) تاريخ الطبري ج 3 ص530 والكامل لابن الأثير ج 3 ص247 و إمتاع الأسماع للمقريزي ج 13 ص245 ونحوه في الفتوح لابن أعثم ج 2 ص481. والبَعْر هو الخُرْء أو النَّجْو والرَّوْث. والمعتذر القائل: إن هذا الفعل القبيح صنعه أُناس جهلة من ضبّة والأزد بلا أمر من عائشة فلا تُعاب هي عليه؛ يُجاب عليه بالقول: إنهم كما في الرواية «أطافوا بها» أي أنها كانت تراهم وهي على جملها وهم يفعلون ذلك، فعدم نهيها إياهم يكشف عن أنها كانت تستحسن ما يصنعون و إلا فلماذا لم توقفهم؟! وألا حَكَم عليها السلفيّون والوهابيون المعاصرون بالشرك أو البدعة لرضاها بتبرّك أصحابها بخُرْءٍ لا يضرّ ولا ينفع ؟!
ولسنا ندري لو أن هؤلاء حصلوا لا على روث الجمل فحسب بل على ما يخرج من دبر عائشة من غائط فماذا كانوا سيصنعون وقتئذ من آيات التبرّك والتقديس؟! وكيف سيكون ريحه عندهم حينما يشمّونه؟! وماذا سيقولون؟! خُرْء أمّنا ريحه كريح الياسمين؟! غائط أمّنا ريحه كريح الريحان؟!

واتبّعوها، غير أنّا لم نجدهم يوماً وصفوها بأنها «صلاتهم وصومهم»! بل كان غاية ما يقولونه فيها(١):

أمستْ نَبيَّتُنا أُنثى نَطيفُ بها ... وأصبَحتْ أنبياءُ الناس ذُكرانا!

ولم نجدهم يتبرّكون بعَذِرَتها فضلاً عن عَذِرَة الدواب التي تركبها! فلا قياس إذن بين عائشة وسجاح من حيث ما أصاب الأتباع من افتتان وما بلغ بهم الحال من تقديس، ولئن كانت سجاح نبيّة في عيون أصحابها؛ فعائشة إلهة في قلوب أتباعها! بل إن جملها الذي كانت تركبه أضحى إلهاً كعجل بني إسرائيل وصار قبلةً للقوم!

ويرسم لنا هذه الصورة المرعبة مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، عندما أمر عمار ابن ياسر والأشتر النخعي (رضوان الله عليهما) بعقر الجمل قائلاً: «اذهبا فاعقرا هذا الجمل، فإن الحرب لا يبوخ ضرامها ما دام حياً، إنهم اتخذوه قبلة»!(٢)

(١) أُسد الغابة لابن الأثير ج 3 ص411 والقائل عطارد التميمي أحد أصحاب سجاح .

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 6 ص228 عن أبي مخنف، ولا يبوخ ضرامها: لا يخمد اشتعالها.

ثم لما عُقِرَ الجمل وانتهت الحرب؛ أمر عليه السلام أن يُحرَق ثم يُذَرَّى في الريح ، وقال حينئذ: «لعنه الله من دابة فما أشبهه بعجل بني إسرائيل! ثم قرأ: وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا»![١]

وسبب قيامه عليه السلام بذلك يرجع إلى أن هذا الجمل الذي سُمِّيَ «عسكراً» لم يكن أصلاً جملاً طبيعياً، بل كان مسكوناً بشيطان أو هو شيطان تمثّل به، وهذا ما وصفه عليه السلام به حين صرخ بأعلى صوته في الحرب: «ويلكم! اعقروا الجمل فإنه شيطان! اعقروه و إلا فُنِيَت العرب»![٢] وقد أثبت هذه الحقيقة أيضاً الإمام الباقر عليه السلام إذ قال: «اشتروا عسكراً بسبعمئة درهم وكان شيطاناً»![٣]

ولهذا كان سلمان (رضوان الله تعالى عليه) إذا ما رأى هذا الجمل يضربه! وذلك قبل وقوع حرب الناكثين بمدة طويلة إذ كان يعلم بسرّه مما علّمه إياه الرسول الأعظم ووصيه (عليهما وآلهما السلام) من علم المنايا

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 1 ص266.

(٢) المصدر نفسه ج 1 ص253.

(٣) رجال الكشي ج 1 ص58.

والبلاء، فقد روى الكشي بسنده عن الحسن بن حمّاد بلغ به قال: «كان سلمان إذا رأى الجمل الذي يُقال له: عسكر؛ يضربه. فيُقال: يا أبا عبد الله ما تُريدُ من هذه البيهمة؟ فيقول: ما هذا بهيمة! ولكن هذا عسكر بن كنعان الجنّي! يا أعرابي؛ لا ينفق جملك ههنا، ولكن اذهب به إلى الحوأب فإنك تُعطى به ما تريد»![١]

وقد كانت عائشة عالمةً بأن الجمل الذي تركبه إنما هو شيطان في الحقيقة، وذلك لأن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله كان قد أنبأها بذلك وحذّرها منه، فقد روى الطبرسي عن الصادق عليه السلام في حديث أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعائشة: «يا عائشة؛ إنك لتقاتلين علياً، ويصحبك ويدعوكِ إلى هذا نفرٌ من أهل بيتي وأصحابي، فيحملونك عليه، وليكوننّ في قتالك له أمر يتحدث به الأولون والآخرون! وعلامة ذلك أنك تركبين الشيطان»![٢]

---

(١) رجال الكشي ج 1 ص57، ومعلوم أن الجنّي المقصود ههنا شيطان من شياطين الجنّ.

(٢) الاحتجاج للطبرسي ج 1 ص293، ومراده صلى الله عليه وآله من أهل بيته الذين ينصرونها المعنى العام لا الخاص، أي أنه أراد العشيرة والأقارب لا أهل الكساء الخمسة صلوات الله عليهم، وقد كان الزبير ابن العوّام من أقاربه إذ هو ابن عمّته.

إنها حقاً صورة مرعبة، شيطانة ركبت شيطاناً! فصار المجموع صنماً يُعبد من دون الله تعالى كعجل السامري، وعكف عليه المخدوعون يفدونه بأرواحهم ويقاتلون به وصيّ رسول الله ﷺ ويسفكون به دماء المسلمين.

وصار جمل عائشة قبلةً، وصارت هي ملاذاً لأهل البغي، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى قرظة بن كعب الأنصاري خليفته على الكوفة: «ولاذ أهل البغي بعائشة»![1]

ولم يكن من شيء في الحرب يحرص عليه أهل البغي هؤلاء إلا بقاء أمّهم عائشة راكبة على جملها معتدلاً، فإنه الرمز بل الصنم الذي ينبغي أن لا يسقط! فلمّا بلغت الحرب أوجها «استدار الجمل كما تدور الرحاة، وتكاثف الرجال حوله، واشتدّ رغاؤه، واشتدّ زحام الناس عليه، ونادى الحتّات المجاشعي: أيها الناس! أمكم! أمكم! واختلط الناس وضرب بعضهم بعضاً، وتقصّد أهل الكوفة قصد الجمل، ودونه كالجبال كلّما خفّ قومٌ جاء أضعافهم، فنادى علي: ويحكم! ارشقوه بالنّبل، اعقروه لعنه الله!

---

(١) الكافئة للمفيد ص28 وجواهر المطالب لابن الدمشقي الشافعي ج 1 ص369.

فرُشِقَ بالسّهام فلم يبقَ فيه موضع إلا أصابه النّبل، وكان متجفجفاً فتعلَّقتْ السّهام به فصارت كالقنفذ! ونادت الأزد وضُبّة: يا لثارات عثمان! فأخذوها شعاراً، ونادى أصحاب علي: يا محمد! فاتخذوها شعاراً، واختلط الفريقان، ونادى علي بشعار رسول الله ﷺ: يا منصور أَمِتْ»![1]

لم يكن - بعد أسبوع كامل من القتال - من بُدٍّ عند أمير المؤمنين عليه السلام إلا أن يتوجّه لإسقاط هذا الصنم وكسره فإنه بذلك تنكسر جبهة الباطل وينقطع دابر هذه الفتنة. ولم يكن أمامه بعد ظهور هذا العناد المتواصل من عائشة وأصحابها و إصرارهم على القتال إلا أن يعمل

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 1 ص262، وما أعظم الفرق بين الفريقين، بين مَن شعاره: «يا لثارات عثمان»! وبين من شِعاره: «يا محمد»! وشعار إمامه وقائده: «يا منصور أمت»!

أما الحتّات المجاشعي (لعنه الله) صاحب النداء: «أيها الناس! أمكم! أمكم»! فيكفيك للوقوف على دناءته أن تعلم أنه كان عثماني الهوى، فلمّا وفد على معاوية أيام ملكه أنقص معاوية جائزته حيث أعطاه سبعين ألفاً وأعطى غيره من الباقين مئة ألف، فقال لمعاوية: «ما بالك خسست بي دون القوم؟ فقال: إني اشتريت من القوم دينهم ووكلتُكَ إلى دينك ورأيك في عثمان بن عفان! فقال: وأنا فاشترْ منّي ديني! فأمر له بتمام جائزة القوم»! راجع تاريخ الطبري ج 4 ص180 وأسد الغابة لابن الأثير ج 1 ص379. ورجلٌ يعرض دينه للبيع ماذا تنتظر منه في يوم الجمل غير أن يتمسّك بذيل عائشة ويحضّ على نصرتها عسى أن تشتري منه دينه! هذا إنْ لم تكن قد اشترته من قبلُ بعدما استولت على بيت مال البصرة وفرّقت ما فيه على جُندها!

بوصية أخيه النبي صلى الله عليه وآله التي أمره فيها بقتال عائشة وأصحابها قائلاً: «يا علي؛ إذا أدركتها فاضربها واضرب أصحابها»![1]

كان لا بدّ في هذه الحرب الشيطانية من أن يتدخّل أمير المؤمنين عليه السلام بنفسه لإنهائها، وكان لا بدّ من أن يفصل فيها سيفه ذو الفقار، وهذا هو ما وقع .

قال ابن أعثم: «وضرب علي رضي الله عنه بيده إلى سيفه فاستلّه، ثم حمل على القوم فضرب فيهم يميناً وشِمالاً، ثم رجع وقد انحنى سيفه! فجعل يسوّيه بركبته! فقال له أصحابه: نحن نكفيك ذلك يا أمير المؤمنين! فلم يُجِبْ أحداً حتى سوّاه، ثم حمل ثانيةً حتى اختلط بهم، فجعل يضرب فيهم قدماً قدماً حتى انحنى سيفه! ثم رجع إلى أصحابه ووقف يسوّي السيف بركبته وهو يقول: والله ما أريد بذلك إلا وجه الله والدار الآخرة»![2]

وقال زيد بن حساس: «سمعتُ محمد بن الحنفية يقول: دفع إليَّ أبي الراية يوم الجمل وقال: تقدّم. فتقدّمتُ حتى لم أجد متقدَّماً إلا على رمح !

---

(١) الكافئة للمفيد ص38 عن يوسف بن كليب المسعودي.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج 2 ص474.

قال: تقدّم لا أمَّ لك! فتكأ كأتُ وقلتُ: لا أجد متقدَّماً إلا على سنان رمح ! فتناول الراية من يدي متناولٌ لا أدري من هو، فنظرتُ فإذا أبي بين يديَّ وهو يقول[١]:

أنتِ التي غَرِّكِ منيّ الحُسنى　　　يا عَيْشُ إن القوم قومٌ أعدا

الخفضُ خيرٌ من قتالِ الأبْنا»!

وقال المدائني والواقدي: «وأخذتْ عائشة كفّاً من حصى فحصبتْ به أصحاب علي عليه السلام وصاحت بأعلى صوتها: شاهت الوجوه! كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم حنين. فقال لها قائل: وما رميتِ إذ رميتِ ولكن الشيطان رمى! وزحف علي عليه السلام نحو الجمل بنفسه في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار وحوله بنوه حسن وحسين ومحمد عليهم السلام، ودفع الراية إلى محمد وقال: أَقْدِمْ بها حتى تركزها في عين الجمل ولا تَقِفَنَّ دونه. فتقدّم

---

(١) تاريخ الطبري ج 3 ص524، ومحمد بن الحنفية هو ابن أمير المؤمنين عليه السلام غير أنه غلبت عليه النسبة إلى أمّه خولة الحنفية لمكان التمييز. وقوله عليه السلام: «لا أمّ لك» يريد به أنك لم تتلقَّ تربية جيّدة من أمّك وكأنه لا أمّ لك. وتكأكأتُ: نكصتُ وتراجعتُ. والأبيات موجّهة إلى عائشة (لعنها لله) حيث فيها: «يا عيشُ..» وأما الخفض فهو الدّعة.

محمد فرشقته السهام فقال لأصحابه: رويداً حتى تنفد سهامهم، فلم يبقَ لهم إلا رشقة أو رشقتان فأنفذ إليه علي عليه السلام يستحثُّه و يأمره بالمناجزة، فلمّا أبطأ عليه جاء بنفسه من خلفه فوضع يده اليسرى على منكبه الأيمن وقال له: أَقْدِمْ لا أُمَّ لك! فكان محمد رضي الله عنه إذا ذكر ذلك بعدُ يبكي ويقول: لكأنّي أجدُ ريح نَفَسِهِ في قفاي! والله لا أنسى ذلك أبداً! ثم أدركتْ عليا عليه السلام رقّةٌ على ولده فتناول الراية منه بيده اليسرى وذو الفقار مشهور في يمنى يديه، ثم حمل فغاص في عسكر الجمل ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبته! فقال له أصحابه وبنوه والأشتر وعمار: نحن نكفيك يا أمير المؤمنين! فلم يجب أحداً منهم و لا ردَّ إليهم بصره وظلَّ ينحط[1] ويزأر زئير الأسد حتى فرق مَن حوله وتبادروه و إنه لطامح ببصره نحو عسكر البصرة لا يُبصر مَن حوله ولا يردُّ حواراً! ثم دفع الراية إلى ابنه محمد ثم حمل حملة ثانية وحدَه فدخل وسطهم فضربهم بالسيف قُدُماً قُدُماً و الرجال تفرُّ من بين يديه وتنحاز عنه يمنة ويسرة حتى خضَّبَ الأرض بدماء القتلى! ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه

(١) ينحط: يزفر.

بركبته! فاعصوصب به أصحابه[١] و ناشدوه اللهَ في نفسه وفي الإسلام وقالوا: إنك إن تُصَبْ يذهب الدين! فأمسِكْ ونحن نكفيك. فقال: والله ما أريد بما ترونَ إلا وجه الله والدارالآخرة. ثم قال لمحمد ابنه: هكذا تصنع يابن الحنفية! فقال الناس: مَن الذي يستطيع ما تستطيعه يا أمير المؤمنين»؟![٢]

وقال حبّة العرني: «لمّا رأى علي عليه السلام أن الموت عند الجمل وأنه ما دام قائماً فالحرب لا تُطفأ؛ وضع سيفه على عاتقه وعطف نحوه وأمر أصحابه بذلك، ومشى نحوه والخطام مع بني ضبّة، فاقتتلوا قتالاً شديداً واستحرّ القتال في بني ضبّة، فقُتِلَ منهم مقتلة عظيمة! وخَلُصَ عليٌّ في جماعة من النخع وهمدان إلى الجمل، وقال لرجلٍ من النخع اسمه بجير: دونك الجمل يا بجير! فضرب عجز الجمل بسيفه فوقع لجنبه، وضرب بجرانه الأرض وعجّ عجيجاً لم يُسمع بأشد منه، فما هو إلا أن صُرِعَ الجمل حتى فرّت الرجال كما يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب»![٣]

---

(١) اعصوصب به أصحابه: تجمّعوا حوله والتفّوا حوله.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 1 ص251.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 1 ص265 عن أبي مخنف.

وقال أبو رجاء: «لقد رأيتُ الجمل يومئذ كأنه قنفذ من النَّبْل! ورجلٌ آخذ بالخطام وهو يقول:

نحن بنو ضُبَّةَ أصحابُ الجمَلْ! نُنازِلُ الموتَ إذا الموتُ نزلْ!

والموتُ أحلى عندنا من العسلْ! ننعى ابن عفّانَ بأطرافِ الأسلْ!

قال: فأقسم بالله ما برح حتى بري قوائم البعير فسقط! فقالوا: أمّنا! أمّنا! فقال رجلٌ لأبي رجاء: ما صنعتَ يومئذٍ؟ قال: رميتُ بأسهمٍ فما أدري ما فعلنَ»![1]

وفي هذه اللحظة العصيبة بدأت عائشة تصرخ وتنادي أبناءها وتستغيث بهم ولا من مجيب! وحين رأت نفسها على وشك أن تُقتل بعدما رُمِيَ بها من الهودج صاحت صيحة تستعطف بها جُند أمير

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص142، وأطراف الأسل: أطراف الرّماح. وبري قوائم البعير: ذهب لحم قوائم البعير مما تلقّاه من ضرب السيوف.

وفي الفتوح لابن أعثم ج 2 ص475 أن أصحاب علي عليه السلام ردّوا على رجز بني ضبة هذا بقولهم:

يا قائلَ الزّورِ من أصحابِ الجملْ نحن قتلنا نعثلاً فيمن قتلْ!

وردّ عليهم بنو ضبة بقولهم:

نحن بنو ضبّةَ أعداءُ علي! ذاك الذي يُعرفُ فيكم بالوصي!

المؤمنين عليه السلام بالإبقاء على حياتها، فقد روى سبط ابن الجوزي: «لمّا عقروا الجمل ورموا عائشة من الهودج جعلت تنادي: يا بَنِيَّ! البقية البقية! اذكروا الله»![1]

الآن وقد هوت إلى الأرض وخيّم عليها شبح الهزيمة المرّة تقول: «اذكروا الله»! خشية أن تُقتَل ويُسفك دمها. أفلا ذكرت الله وذكَّرَت به قبل ذلك حين كانت تحرّض على الحرب والقتل وسفك الدماء؟! «آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ»؟![2]

ها هو الصنم يسقط إذ عُقِرَ الجمل ففرّ الرجال كالجراد في الريح الشديدة الهبوب إلا من قائل يقول: «أمُّنا! أمُّنا»! وآخر يرمي بأسهم عشواء بعد اليأس من النصر! ويسقط هودج عائشة وترتطم بالأرض فتذهب آمالها أدراج الرياح وتضيع أمنياتها في أن تغدو «أميرة المؤمنين»!

---

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص73.

(٢) يونس: 92

انتصر الخليفة الشرعي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام غير أنه لم تدفعه نشوة الانتصار إلا إلى مزيد من الرفق والحلم، فأعلن عفوه العام وأمر مناديه أن ينادي: «ألا لا يُجهَزُ على جريح ، ولا يُتبَعُ مُوَلٍّ، ولا يُطعَنُ في وجه مُدبر، ومَن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن. ثم آمَنَ الأسودَ والأحمر».[١]

إلا أنه عليه السلام رغم مَنِّه عليهم بالعفو فإنه لعنهم وأبان حقيقة أنه لم يكن بينهم مؤمن! فقد روى المفيد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «قال علي صلوات الله عليه: لُعِنَ أهلُ الجمل! فقال رجلٌ: يا أمير المؤمنين؛ إلا مَن كان منهم مؤمناً. فقال عليه السلام : ويلك ما كان فيهم مؤمن»![٢]

وتقدّم أمير المؤمنين عليه السلام صوب المهزومة الخائبة المدحورة ومعه عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر رضوان الله عليهما «فانتهى إلى الهودج وكأنه شوك القنفذ مما فيه من النَّبْل! فضربه بعصا ثم قال: هيه يا حميراء! أردتِ

(١) تاريخ اليعقوبي ج 2 ص183.

(٢) الكافئة للمفيد ص41 عن يوسف بن كليب المسعودي، وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 32 ص326.

أن تقتليني كما قتلتِ ابن عفّان؟! أَ بهذا أمركِ الله أو عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وآله ؟! قالت: ملكتَ فاسجح »!(١)

وفي رواية الطبري أنه عليه السلام وقف عليها وقال: «استفززتِ الناس وقد فزّوا! فألَّبْتِ بينهم حتى قتل بعضهم بعضاً! - في كلام كثير - فقالت عائشة: يابن أبي طالب؛ ملكتَ فاسجح »!(٢)

وفي رواية المسعودي أنه عليه السلام لمّا وقف عليها «ضرب الهودج بقضيب وقال: يا حميراء! رسول الله صلى الله عليه وآله أمركِ بهذا؟! ألم يأمركِ أن تقرّي في بيتك؟! والله ما أنصفكِ الذين أخرجوكِ إذ صانوا عقائلهم وأبرزوكِ»!(٣)

وفي رواية المفيد أنه عليه السلام عن الأصبغ بن نباتة قال: «لمّا عُقِرَ الجمل وقف علي عليه السلام على عائشة فقال: ما حملكِ على ما صنعتِ؟ قالت: ذَيْتَ وذَيْتَ!(٤) فقال: أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد ملأتِ أذنيْكِ من

(١) أمالي المفيد ص24، واسجح : أحسن العفو واصفح .

(٢) تاريخ الطبري ج 3 ص520، ولاحظ أن الطبري حجب «الكلام الكثير» لأنه يوهن سيدته! غير أن بعضه قد وصلنا من رواية المفيد الآتية.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ج 1 ص320.

(٤) كَيْتَ وكيْتَ، أي أشياء لا أريد التصريح بها الآن.

رسـول الله ﷺ وهـو يـلعن أصـحاب الجـمل وأصـحاب النهـروان! أمـا أحياؤهم فيُقتلون في الفتنة! وأما أمواتهم ففي النار على ملة اليهود»!(١)

وفي رواية الصدوق عن عوانة قال: «قال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه يوم الجمل لعائشة: كيف رأيتِ صُنعَ الله بكِ يا حميراء؟ فقالت له: ملكتَ فاسجَح »!(٢)

هكذا سقط الصنم! وفرّ الناس عن ربّة الجمل فرار الجراد! وأما هي فحيث انكسرت انكساراً لا ينجبر فقد اضطرت لأن تستسمح وتطلب العفو والصفح قائلةً: «ملكتَ فاسجح »! وما ذلك إلا لأنها خشيت أن تُقتل أو تُعاقب عقاباً مبرّحاً بعد الذي ارتكبته من فظائع . غير أن أمير المؤمنين عليه السلام كـان حـليماً حكيماً، لم يـوقـع عـليها عـقابـاً آنـذاك تـغليباً للمصلحة، وأخّر ذلك لحفيده الإمام المهدي المنتظر صلوات الله عليه. هذا في الدنيا، أما في الآخرة فويلاً لعائشة وأيُّ ويل من عدالة الله تعالى!

(١) الكافئة للمفيد ص34.

(٢) معاني الأخبار للصدوق ص304.

نعم؛ لو كانت عائشة حاربت غير علي عليه السلام ثم ظفر بها «لقتلها ومزّقها إرباً إرباً»! فهذا ابن أبي الحديد يقول: «ولو كانت فعلتْ بعمر (ابن الخطاب) ما فعلت به، وشقّت عصا الأمة عليه، ثم ظفر بها، لقتلها ومزّقها إرباً إرباً! ولكن عليّاً كان حليماً كريماً».[١]

هذا مع أن عائشة لم تكن لتقصِّرَ بعد ذلك في إيقاع الشر من جديد نظراً لطبيعتها الإجرامية! ولذا أصرّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) على إرجاعها قهراً إلى المدينة لتمكث في مسكنها. وحين أبت ذلك قال ابن عباس لأمير المؤمنين عليه السلام: «دعها في البصرة ولا ترحِّلْها. فقال عليه السلام: إنها لا تألو شرّاً! ولكنّي أردّها إلى بيتها».[٢] ومعنى «إنها لا تألو شراً» أنها لا تقصّر في إيقاع الشر والفساد، فلذا ينبغي إرجاعها إلى المدينة المنورة لأن بقاءها في البصرة سيؤدي إلى حرب جمل ثالثة!

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 17 ص254.

(٢) الاقتصاد للطوسي ص228، وقد تقدّم في ص273 من كتاب الفاحشة أن عائشة تثاقلت عن الرحيل عن البصرة رغم أمر أمير المؤمنين عليه السلام إياها بذلك غير مرّة، ولم ترحل إلا بعد أن جاءها الإمام الحسن عليه السلام برسالة تهديد من والده عليه السلام أنها إنْ لم تفعل فسيطلقها طلاقاً بائناً من النبي صلى الله عليه وآله ! فرحلت من فورها.

إنه لا بد من إخماد عائشة و إقعادها في مسكنها بالمدينة ولو بضربها على أم رأسها! و إلا لم يؤمَن أن تعود هذه الأمة في فتنة تتلوها فتن. وهذه حقيقة يدركها علماء المخالفين ومحققوهم وأدباؤهم؛ أن عائشة ربّة كل فتنة ولا تألو شرّاً، وهذا طه حسين حين سُئل عن رأيه عن عائشة أجاب: «كان أحد الأساتذة يقول: لو أدركتُ عائشة لأوجعتها ضرباً حتى أقعدتها في بيتها! لقوله تعالى: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ».[١]

لقد استحوذت عائشة على رجال البصرة فأنستهم ذكر الله، واقتادتهم وراء بهيمتها إلى حربين مدمّرتيْن ضد وصيّ رسول الله ﷺ وشيعته الأبرار، فيا للرجال - وأيُّ رجالٍ - الذين يجعلون أنفسهم جُنداً لمرأة وأتباعاً لبهيمة!

وما أبلغ كلام مولى الموحّدين (صلوات الله عليه) في ذمّ هؤلاء الذين تهابطوا في الوعي حتى غرّتهم عائشة، فقد روى أبو حنيفة الدينوري أنه عليه السلام قال لهم حين دخل البصرة وصعد المنبر وخطب: «أما بعد؛ فإن الله

(١) راجع كتاب «مع رجال الفكر في القاهرة» للسيد مرتضى الرضوي ص160

ذو رحمة واسعة وعقاب أليم، فما ظنكم بي يا أهل البصرة؛ جند المرأة وأتباع البهيمة! رغا فقاتلتم! وعُقِر فانهزمتم! أحلامكم دِقاق! وعهدكم شقاق! وماؤكم زُعاق! أرضكم قريبة من الماء، بعيدة من السماء! وأيمُ الله ليأتينَّ عليها زمان لا يُرى منها إلا شُرفات مسجدها في البحر مثل جؤجؤ السفينة! انصرفوا إلى منازلكم»![1]

وفي رواية الشريف الرضي في نهج البلاغة أنه عليه السلام قال: «كنتم جُندَ المرأة! وأتباع البهيمة! رغا فأجبتم! وعُقِرَ فهربتم! أخلاقكم دِقاق! وعهدكم شقاق! ودينكم نفاق! وماؤكم زُعاق! والمقيم بين أظهركم مرتَهَنٌ بذنبه! والشاخص عنكم متدارَكٌ برحمةٍ من ربّه. كأني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها! وغرق مَن

---

(١) الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ص151، ورغا الجمل: أصدر صوته المعروف. وأحلامكم دِقاق: عقولكم دنيئة. وماؤكم زعاق: ماؤكم مالح والمراد أنه أثّر في أخلاقكم وجعلكم متعنتين. وجؤجؤ السفينة: صدر السفينة الظاهر للأبصار من بعيد، والمراد أنه سيأتي على البصرة زمان تغرق فيه حتى لا يظهر فيها إلا ظهر مسجدها، وقد تحقّق هذا مرّتين كما أنبأ عليه السلام، مرّة في زمان القادر بالله ومرة في أيام القائم بأمر الله، كما نصّ عليه ابن أبي الحديد في شرح النهج ج 1 ص251 ولم يبقَ من البصرة في المرّتيْن إلا مسجدها الجامع بارزاً بعضه كجؤجؤ الطير، وهذا من جملة إخباراته عليه السلام بالغيب الكاشفة عن اتصاله بالوحي الإلهي وأنه حجة الله تعالى على خلقه.

في ضمنها! وفي رواية: وأيمُ الله لتغرقنَّ بلدتكم حتى كأني أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة أو نعامة جاثمة! وفي رواية: كجؤجؤ طير في لُجَّةِ بحر! وفي رواية أخرى: بلادكم أنتنُ بلاد الله تُربةً! أقربها من الماء وأبعدها من السماء! وبها تسعة أعشار الشر! المحتبَس فيها بذنبه! والخارج بعفو الله. كأني أنظر إلى قريتكم هذه قد طبَّقها الماء حتى ما يُرى منها إلى شُرَف المسجد كأنه جؤجؤ طير في لُجَّةِ بحر»![١]

وفي رواية علي بن إبراهيم القمي أنه عليه السلام قال: «يا أهل البصرة، ويا أهل المؤتفكة! ويا جُند المرأة وأتباع البهيمة! رغا فأجبتم! وعُقِر فهربتم! ماؤكم زُعاق! وأحلامكم رِقاق! وفيكم خُتِمَ النفاق! ولُعنتم على لسان سبعين نبيّاً! إن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني أن جبرئيل أخبره أنه طُوي له الأرض فرأى البصرة أقرب الأرضين من الماء وأبعدها من السماء! وفيها تسعة أعشار الشر والداء العضال! المقيم فيها مذنب! والخارج منها متدارَك برحمة. وقد ائتفكت بأهلها مرّتين، وعلى الله تمام الثالثة، وتمام الثالثة في الرجعة».[٢]

---

(١) نهج البلاغة: 13 ومن كلام له عليه السلام في ذم أهل البصرة.

(٢) تفسير القمي ج 2 ص339.

وفي رواية المفيد عن الحرث بن سريع قال: «لمّا ظهر أمير المؤمنين عليه السلام على أهل البصرة وقسّم ما حواه العسكر؛ قام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسول الله وقال: أيها الناس! إن الله عزّ وجل ذو رحمة واسعة ومغفرة دائمة لأهل طاعته، وقضى أن نقمته وعقابه على أهل معصيته. يا أهل البصرة! يا أهل المؤتفكة! و يا جند المرأة وأتباع البهيمة! رغا فرجفتم! وعُقِر فانهزمتم! أحلامكم دِقاق! وعهدكم شِقاق! دينكم نفاق! وأنتم فسقة مِراق! أرضكم قريبة من الماء بعيدة عن السماء! خفَّت عقولكم! وسفهت أحلامكم! شهرتم سيوفكم علينا! وسفكتم دماءكم! وخالفتم إمامكم! فأنتم أكلة الآكل! وفريسة الظافر! والنار لكم مدخر! والعار لكم مفخر! يا أهل البصرة! نكثتم بيعتي! وظاهرتم على ذوي عداوتي! فما ظنّكم يا أهل البصرة الآن؟ فقام إليه رجلٌ منهم فقال: نظنّ خيراً يا أمير المؤمنين ونرى أنك ظفرت وقدرت، فإن عاقبتَ فقد أجرمنا، و إن عفوتَ فالعفو أحبّ إلى رب العالمين. فقال عليه السلام: قد عفوتُ عنكم، فإياكم والفتنة! فإنكم أول من نكث البيعة وشقّ عصا الأمة، فارجعوا عن الحوبة، وأخلصوا في ما بينكم وبين الله بالتوبة».(١)

(١) الجمل للمفيد ص217.

وفي رواية الحموي: «إن عليا رضي الله عنه لمّا فرغ من وقعة الجمل؛ دخل البصرة فأتى مسجدها الجامع ، فاجتمع إليه الناس، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي صلى الله عليه وآله ، ثم قال: أما بعد؛ فإن الله ذو رحمة واسعة فما ظنكم يا أهل البصرة؟ يا أهل السبخة! يا أهل المؤتفكة! ائتفكت بأهلها ثلاثاً وعلى الله الرابعة! يا جُند المرأة! ثم ذكر الذي قبله ثم قال: انصرفوا إلى منازلكم وأطيعوا الله وسلطانكم».[1]

إن هذا الكلام الحادّ ما كان ليأتي من إمام المتقين (صلوات الله عليه) لولا عِظَم الجرم الذي أقدم عليه أهل البصرة، فإن الذي وقع كان حرباً أهلية ضروساً أثكلت النساء وأيتمت العيال وراح ضحيّتها ما علمتَ من الآلاف المؤلفة، فلا بدّ من وقفة توبيخية على أقلّ تقدير تسجّل في التاريخ درساً وعظةً وعبرةً.

غير أن من جملة ما يلفت الانتباه في كلام أمير المؤمنين عليه السلام هو مخاطبته أهل البصرة بقوله: «يا أهل المؤتفكة» وهو ما رُوي من طريقنا

(١) معجم البلدان للحموي ج 1 ص436، ومراده من قوله: «ثم ذكر الذي قبله» ما رواه قبله من نحو ما جاء في الروايات السابقة من قوله عليه السلام : «يا جند المرأة وأتباع البهيمة.. إلى آخره» غير أن فيه زيادة قوله عليه السلام : «يا بقايا ثمود».

وطريق أهل الخلاف على السواء، ولاستطلاع المغزى ينبغي أن نرجع إلى قوله تعالى: «وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ»(١) حيث ذكرت تفاسير أهل الخلاف أن المعنيّ بها قرية قوم لوط عليه السلام حيث ائتفكت بهم أي قُلبَت عليهم وخُسفت بهم، وكذلك ذكرتهم تلك التفاسير في المعنيّ بقوله تعالى: «وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ».(٢)

بيد أن الذي يتجلّى من كلام أمير المؤمنين عليه السلام أن البصرة كانت أرضاً مؤتفكة أيضاً إلى جانب قرية قوم لوط عليه السلام ، وقد نصّ عليه السلام على أنها ائتفكت مرّتين وبقيت الثالثة في زمان الرجعة وهو قوله عليه السلام : «وقد ائتفكت بأهلها مرّتين، وعلى الله تمام الثالثة، وتمام الثالثة في الرجعة». هذا على روايتنا، أما على رواية المخالفين التي ذكرها الحموي فإنها ائتفكت بأهلها ثلاثاً وبقيت الرابعة، وذلك قوله: «ائتفكت بأهلها ثلاثاً وعلى الله الرابعة».

(١) النجم: 54

(٢) التوبة: 70

والبلدة المعنيّة في الآية الأولى هي البصرة، أما المعنيّة في الآية الأخرى فهي بلدة قوم لوط عليه السلام ، وذلك بدلالة ما رواه الكليني عن أبي بصير أنه سأل الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل: «وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ؟ قال عليه السلام : هم أهل البصرة، هي المؤتفكة. قلتُ: وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ؟ قال عليه السلام : أولئك قوم لوط، ائتفكت عليهم، انقلبت عليهم».(١)

ويومئ قوله عليه السلام : «هم أهل البصرة» دون قوله: «هي البصرة» إلى أن الآية الكريمة تستبطن معنى الذمّ لأهل البصرة الذين خرجوا مع عائشة على أمير المؤمنين عليه السلام ، وأن الله تعالى سيهوي بهم إلى النار، أي أن الآية لا تقتصر دلالتها على بيان وقوع الانقلاب والخسف في أرض البصرة، بل تبيّن أيضاً ما سيُقدم عليه أهلها من عصيان يوجب الهوي في النار.

وينضمّ إلى ذلك ما رُوي عن الإمامين الباقرين الصادقين عليهما السلام في تأويل قوله تعالى: «وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ»(٢) فقد روى البرقي بسنده عن حمران قال: «سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقرأ:

---

(١) الكافي للكليني ج 8 ص180.

(٢) الحاقة: 10

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ. قال: وَجَاءَ فِرْعَوْنُ؛ يعني الثالث. وَمَنْ قَبْلَهُ؛ الأَوَّلَيْن. وَالْمُؤْتَفِكَاتُ؛ أهل البصرة. بِالْخَاطِئَةِ؛ الحميراء»!(١)

وكذا روى البرقي بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «وَجَاءَ فِرْعَوْنُ؛ يعني الثالث. وَمَنْ قَبْلَهُ؛ الأَوَّلَيْن. وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ؛ يعني عائشة»!(٢)

فعلى هذا يكون أبو بكر وعمر وعثمان وعائشة من المذمومين في هذه الآية الكريمة، فعثمان فرعون ومَن قبله أي أبو بكر وعمر حملا الوصف نفسه فهم جميعاً فراعنة! أما الحميراء عائشة فهي الخاطئة المذنبة! وقد جاء أولئك الثلاثة وأهل البصرة بهذه الخاطئة. أما الثلاثة فلأنهم بانقلابهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وتمرّدهم بعده على أهل بيته عليهم السلام فقد مهّدا الطريق لها لأن تحذو حذوهم في التمرّد والعصيان حتى وقع منها في يوم

(١) تأويل الآيات الباهرة لشرف الدين النجفي ج 2 ص714.

(٢) المصدر نفسه.

الجمل الدامي ما وقع ، وأما المؤتفكات أي أهل البصرة فهم مَن عاضدها وحارب دونها وصار تبعاً لبهيمتها!

ولئن جرّت عائشة القوم خلف بهيمتها؛ فقد جرّها طلحة والزبير وابنه عبد الله ومروان قبل ذلك « كما تُجرُّ الأَمَةُ عند شرائها»! وذلك تعبير أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له ذكر فيه أصحاب الجمل حيث قال: «فخرجوا يجرّون حُرمة رسول الله صلى الله عليه وآله كما تُجرُّ الأَمَة عند شرائها! متوجّهين بها إلى البصرة، فحبسا نساءهما في بيوتهما وأبرزا حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله لهما ولغيرهما! في جيش ما منهم رجلٌ إلا وقد أعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة طائعاً غير مُكرَه، فقَدِموا على عاملي بها وخُزّانِ بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها، فقتلوا طائفةً صبراً! وطائفةً غدراً! فوالله لو لمْ يصيبوا من المسلمين إلا رجلاً واحداً معتمدين لقتله بلا جُرمٍ جرّه لحلَّ لي قتل ذلك الجيش كلّه إذ حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا يد، دَعْ ما أنهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدّة التي دخلوا بها عليهم»![1]

---

(١) نهج البلاغة: 172 ومن كلام له عليه السلام في ذكر أصحاب الجمل.

ولا يفوت التأمل في قوله عليه السلام: «وأبرزا حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله لهما ولغيرهما»! فعائشة كانت حتى تلك اللحظة محبوسة بأمر الشرع في بيتها وراء الحجاب حفظاً لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يجوز لها الخروج من بيتها إلا لضرورة كالسفر إلى الحج أو العمرة، فأغوياها حتى أخرجاها من حجابها وأبرزاها «لهما ولغيرهما» فهتكا بذلك حجاب رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يحفظاه! وكان غرضهما من إبرازها كغرض المشركين في إبراز اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى! أن تغدو عائشة وجملها قبلةً يتوجّه إليها الناس وصنماً يقدّسونه فيُقادون بذلك إلى حرب ولي الله!

غير أن سنة الله تعالى قضت بأن ينتصر الحق على الباطل ولو بعد حين، وقد عجَّل سبحانه النصر لأمير المؤمنين عليه السلام وشيعته على عائشة وطلحة والزبير وشيعتهم، فكان ذلك سروراً للمؤمنين ونقمة على الكافرين.

وهكذا ردّ الله سبحانه عائشةَ خاسرة مدحورة بعدما قتل طلحة والزبير شرّ قتلة! ففي الكتاب الذي أرسله أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) إلى عمّاله في الآفاق لتبشيرهم بانتصاره وفتحه يوم الجمل

قال عليه السلام : «إن الله تعالى قتل طلحة والزبير على بغيهما وشِقاقهما ونكثهما، وهزم جمعهما، وردّ عائشة خاسرة»![1]

أما في كتابه الذي كتبه إلى أهل الكوفة بيد كاتبه ابن أبي رافع وأرسله بيد عمر بن سلمة الأرحبي فقد قال عليه السلام : «من عبد الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى قُرَضة بن كعب ومن قِبَلِه من المسلمين؛ سلامٌ عليكم. فإني أحمد الله الذي لا إله هو. أما بعد؛ فإنا لقينا القوم الناكثين لبيعتنا، المفرّقين لجماعتنا، الباغين علينا من أمتّنا، فحاججناهم إلى الله فنصرنا الله عليهم، وقتل طلحة والزبير، وقد تقدّمتُ إليهما بالنُّذُر، وأشهدتُ عليهما صُلحاء الأمة، ومكّنتهما في البيعة فما أطاعا المرشدين، ولا أجابا الناصحين. ولاذ أهل البغي بعائشة! فقُتِل حولها جمعٌ لا يُحصي عددهم إلا الله، ثم ضرب الله وجه بقيّتهم فأدبروا! فما كانت ناقة الحجر بأشأم منها على ذلك المصر مع ما جاءت به من الحوْب الكبير في معصيتها لربّها ونبيّها من الحرب! واغترار من اغترّ بها، وما صنعته من التفرقة بين المؤمنين وسفك دماء المسلمين، ولا بيّنة ولا معذرة ولا حجة لها! فلمّا

---

(١) الفصول المختارة للمفيد ص142.

هزمهم الله؛ أمرتُ أن لا يُقتل مدبر ولا يُجهَز على جريح ، ولا يُهتك ستر، ولا يُدخل دارٌ إلا بإذن أهلها. وقد آمنتُ الناس، واستشهد منا رجال صالحون ضاعف الله لهم الحسنات ورفع درجاتهم، وأثابهم ثواب الصابرين، وجزاهم من أهل مصرٍ عن أهل بيت نبيهم أحسن ما يجزي العاملين بطاعته، والشاكرين لنعمته، فقد سمعتم وأطعتم، ودُعيتم فأجبتم، فنعم الإخوان والأعوان على الحق أنتم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. كتب عبيد الله بن أبي رافع في رجب سنة ست وثلاثين».[١]

إن هذا الكتاب يشتمل على معاني جديرة بالتأمل، ومن أهمها أن عائشة جاءت بحوْبٍ كبير أي إثم كبير، وأنها كانت عاصية لربّها ونبيّها ﷺ ، وأنها فرّقت بين المؤمنين وسفكت دماء المسلمين، وقد اغترّ الناس بها. ثم إنها في هذا كلّه «لا بيّنة ولا معذرة ولا حجة لها» و إنما جاءت بما جاءت قاصدة للإثم والعدوان، عالمةً بعصيانها مُدركةً لإثمها، لا أنها مجتهدة وأخطأت! أو طالبة للإصلاح كما يزعم السفهاء والذين لا يعلمون! الحالمون بصورة مثالية خيالية عن مجتمع ما يسمى بالصحابة.

(١) الكافئة للمفيد ص27.

وإذ إن دعوى خروج عائشة للإصلاح هي الدعوى المتفشّية جهلاً اليوم بين أبناء الأمة؛ فقد ارتأينا أن نُفصّل في نقضها بما يأتي.

يا لله وللإصلاح !

كانت الحرب التي فجّرتها عائشة ضد أمير المؤمنين عليه السلام ولا تزال معضلة أمام الغارقين في وحل ما يسمى بعدالة الصحابة! ذلك لأنه بعد ثبوت وقوع هذه الحرب بين الطرفين فلا مناص من القول بأحد أمريْن: إما أن عائشة كانت على حق فيكون علي - والعياذ بالله - على باطل ويكون ظالماً! وإما أن علياً كان على حق فتكون عائشة على باطل وتكون ظالمة باغية! وعلى كِلا القولين ينتفي ما يُزعم من عدالة الصحابة وتذوب تلك الصورة البيضاء الخيالية المرسومة لأهل القرن الأول!

ولكي يخرج أهل الخلاف من هذا المأزق ابتدعوا قولاً سخيفاً مفاده أن عائشة لم تخرج لحرب أمير المؤمنين عليه السلام؛ بل اجتهدت وخرجت للإصلاح بين الناس ولطلب الثأر لعثمان بن عفان بالاقتصاص من قتلته!

ثم إنها حين ظهر لها أن اجتهادها كان خاطئاً تابت وندمت وكانت تبكي على ما وقع من الحرب حتى تبلَّ خمارها!

قال ابن العربي: «وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب، ولكن تعلّق الناس بها وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة وتهارج الناس، ورجوا بركتها في الإصلاح وطمعوا في الإستحياء منها إذا وقفت للخلق! وظنّت هي ذلك، فخرجتْ مقتديةً بالله في قوله: لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ، وبقوله: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا، والأمر بالإصلاح مخاطَبٌ به جميع الناس من ذكر أو أنثى؛ حُرٍّ أو عبد، فلم يُرِدِ الله بسابق قضائه ونافذ حكمه أن يقع إصلاح !

ولكن جرتْ مطاعنات وجراحات حتى كاد يفنى الفريقان! فعمد بعضهم إلى الجمل فعرقبه، فلمّا سقط الجمل لجنبه أدرك محمد بن أبي بكر عائشة فاحتملها إلى البصرة، وخرجت في ثلاثين امرأة قرنهنّ عليٌّ بها، حتى

أوصلوها إلى المدينة، برّةً تقيّةً مجتهدةً مصيبةً ثابتةً في ما تأوّلت مأجورةً في ما تأولت وفعلت! إذ كل مجتهد في الأحكام مصيب»![١]

وقال ابن تيمية: «إن عائشة لم تقاتل ولم تخرج لقتال؛ وإنما خرجت لقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنّت أن في خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبيّن لها في ما بعد أن ترك الخروج كان أولى، فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبلَّ خمارها! (...) وبهذا يُجاب عن خروج عائشة رضي الله عنها، وإذا كان المجتهد مخطئاً فالخطأ مغفور بالكتاب والسنة»![٢]

حسناً.. كيف وقعت تلك الحرب الدموية إذن بين علي عليه السلام من جانب وعائشة وطلحة والزبير من جانب آخر؟ يجيب ابن تيمية نيابةً عن أهل الخلاف: «لم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصدٌ في الاقتتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم! فإنه لمّا تراسل علي وطلحة والزبير وقصدوا الاتفاق على المصلحة وأنهم إذا تمكنوا طلبوا قتلة عثمان أهلَ الفتنة وكان

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ج 6 ص353.

(٢) منهاج السنة لابن تيمية ج 4 ص147 وص149.

علي غير راضٍ بقتل عثمان ولا معيناً عليه كما كان يحلف فيقول: والله ما قتلتُ عثمان ولا مالأتُ على قتله! وهو الصادق البار في يمينه، فخشيَ القتلةُ أن يتّفق علي معهم على إمساك القتلة، فحملوا على عسكر طلحة والزبير، فظنّ طلحة والزبير أن عليّاً حمل عليهم! فحملوا دفعاً عن أنفسهم! فظن علي أنهم حملوا عليه فحمل دفعاً عن نفسه! فوقعت الفتنة بغير اختيارهم! وعائشة رضي الله عنها راكبة لا قاتلت ولا أمرت بالقتال! هكذا ذكره غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار»![1]

هكذا يستحمق ابن العربي وابن تيمية وأضرابهما الناسَ! فيرمون بتبعة ما جرى على «قتلة عثمان أهل الفتنة»! فيما يبرئون ساحة طلحة والزبير ويصوّرون عائشة بصورة الحمل الوديع الذي جاء للإصلاح فحسب! أما المتهمون فهم هؤلاء الدخلاء من أهل الفتنة الذين أوقعوا الناس بعضهم ببعض مع مَن فيهم من «كبار الصحابة» على حدّ زعمهم!

وإنّا ههنا نورد على هذا القول السخيف نواقض وإيرادات على سبيل الإيجاز، إذ إن كل منصف عاقل وقف على أخبار التاريخ وما تقدّم آنفاً

(١) منهاج السنة لابن تيمية ج 4 ص147 وص149.

منها يدرك أن هذا القول ليس سوى تخرّص سمج جاء للتعمية على حقيقة النزاع الدموي الذي وقع بين الطرفين.

- الإيـراد الأول: إن قـول المـخالفين هـذا يـنقض أوله آخـرَه! فـإن عائشة لو كانت لم تخرج لحرب بل اجتهدت في خروجها للإصلاح ؛ فما بـالها تـتوب بـعد ذلـك وتـندم وتبكي! أَيـتوب المـرء مـن إرادتـه الإصلاح ؟! أم يندم ويبكي على أنه اجتهد ونال أجر المجتهدين؟! فإن قيل: إنما كان بكاؤها وندمها بسبب الدماء التي سُفِكت؛ قلنا: فهذا كاشف عن كونها ترى لنفسها ضلوعاً في هذه المجزرة وإلا فلا محلّ للبكاء والندم! ثم إنّا لم نعلم كيف يسوغ الاجتهاد في زجّ الأمة إلى الفتنة والقتال؟! كما لم نعلم هل أنها في اجتهادها المزعوم هذا كانت «مخطئة مغفور لها» كما قال ابن تيمية؛ أم «مصيبة برّة تقية مأجورة» كما قال ابن العربي؟! وإذا كان اجتهادها صائباً مع ما خلّفه من قتلى هم بالآلاف؛ فأيُّ اجتهاد يكون خاطئاً بالله عليكم؟!

- الإيراد الثاني: لو أن عائشة أرادت الإصلاح كما زُعم؛ فما بالها توجّهت من مكة إلى البصرة دون المدينة؟! أليس الخليفة الذي نقموا

عليه عدم القصاص من قتلة عثمان موجود في المدينة؟ ألا كان عليها إن رامت الإصلاح حقاً أن تتوجّه إليه وتحاوره في ذلك وتكون وسيطاً بينه وبين الذين طلبوا الثأر لعثمان؟! ثم أَ أهل البصرة قتلوا عثمان أم مَن كان لا يزال في المدينة ومنهم أخوها محمد بن أبي بكر وعمرو بن الحمق الخزاعي وعبد الرحمن بن عديس البلوي وكنانة بن بشر بن عتاب وسودان بن حمران ورومان اليمامي وعمير بن ضابئ وغيرهم.. فكل هؤلاء كانوا في المدينة وقد باشروا قتل عثمان، أما من مهّد وأجلب وسبّب فكان عامة المسلمين هنالك، فإذا كان هؤلاء مطلوب عائشة وحزبها فلماذا لم يتوجّهوا إليهم في المدينة وما الذي أمال وجهتهم إلى البصرة إلا أن يكون الدراهم التي في بيت مالها كما صرّح ابن العوّام؟!

وألم يكن من الأحرى بعائشة إنْ كانت تريد الإصلاح أن ترسل إلى الخليفة علي عليه السلام ولو رسالة واحدة تعرض فيها مطالبها ومطالب حزبها من قتل قتلة عثمان عسى أن يستجيب لها؟! فما الذي دعاها إلى أن تهيج

وتثور إلى البصرة إلا أن تكون الرغبة في الاستيلاء عليها وتشكيل حكومة معارضة لحكومة الخليفة الشرعي في المدينة؟!

ومتى كانت الأمور فوضى في الإسلام ليحق لجماعة أن تشكل جيشاً بدعوى القصاص قبل الاحتكام إلى الحاكم الشرعي وهو الموكّل بإقامة الحدود؟! أَفلا أصلحت عائشة بدعوة من التجأ إليها بالاحتكام إلى علي عليه السلام وهو الخليفة والحاكم الذي ينبغي الرجوع إليه في مثل هذه الموارد؟! فإنها لو فعلت ذلك وامتنعت عن السير مع هؤلاء الأراذل والسفهاء إلى البصرة لما وقع قتال ولا تناجز!

- الإيراد الثالث: كيف يُزعم أن عائشة إنما خرجت للإصلاح لا لقتال أمير المؤمنين عليه السلام وقد كان بيتها في مكة مركز التخطيط الحربي لذلك وكان المجتمعون فيه يعلنون هدفهم بصراحة فيقولون: «نسير إلى علي فنقاتله» وذلك على مرأى منها ومسمع ؟! روى الطبري بسنده عن الزهري قال: «ثم ظهرا - يعني طلحة والزبير - إلى مكة بعد قتل عثمان رضي الله عنه بأربعة أشهر، وابن عامر يجرّ الدنيا، وقَدِمَ يعلى بن أمية معه بمال كثير وزيادة على أربعمئة بعير، فاجتمعوا في بيت

عائشة رضي الله عنها، فأرادوا الرأي، فقالوا: نسير إلى علي فنقاتله! فقال بعضهم: ليس لكم طاقة بأهل المدينة ولكنّا نسير حتى ندخل البصرة والكوفة، ولطلحة بالكوفة شيعة وهوى، وللزبير بالبصرة هوى ومعونة، فاجتمع رأيهم على أن يسيروا إلى البصرة و إلى الكوفة»![1] فهل يسع عائشة الاعتذار بأنها لم تكن تعلم بنوايا طلحة والزبير وابن عامر ويعلى بن أمية في شنّ الحرب على وصي رسول الله ﷺ وهم يجتمعون في بيتها؟!

- الإيراد الرابع ؛ هب أنها كانت مختلة العقل في بدو مسيرها معهم أو متسرّعة فلم تدرك العواقب؛ غير أنها بعدما وصلت إلى البصرة قد رأتْ بأم عينيها كيف تعسكر الناس إلى معسكريْن وأوشكوا على القتال، فلماذا لم تخرج وتقدم على أمير المؤمنين عليه السلام لتضع يدها في يده لإخماد الفتنة؟! ولماذا لم تصرخ بالناس مثلاً: «أيها الناس إنما جئت لطلب الإصلاح لا لإيقاع الحرب والقتال والفتنة بينكم»؟!

---

(١) تاريخ الطبري ج 3 ص471.

وهب أنها حين وقعت مجزرة الجمل الأصغر لم يكن لها فيها يد؛ غير أنها رأت بأم عينيها هول ما وقع وفداحة ما ارتُكب من سفك دماء الناس بعضهم لبعض، فلماذا تابعت أمرها إلى يوم الجمل الأكبر؟! أين ندمها وتوبتها وبكاؤها بعد يوم الجمل الأصغر؟! وألا أدركت أن ما وقع فيه لم يكن إلا توطئة لما سيقع لاحقاً مما هو أفدح وأعظم؟! وحينما وصل أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصرة أفلا تداركت وأصلحت ما أفسدته بالرجوع إليه والوقوف إلى جواره ليرى الناس «أم المؤمنين مع أمير المؤمنين» يداً واحدة تعصم الدماء؟! فإن الإصلاح إنما يكون هكذا لا بمقاطعتها للإمام عليه السلام وعدم رجوعها أو لقائها به! بل إنها كما علمتَ ردّت على رسائل النصح التي وجّهها إليها بأعنف الكلام وأخشنه قائلة: «ما بيننا وبينك إلا السيف»![1] فهل هكذا يكون الإصلاح؟!

- الإيراد الخامس: كيف تجتمع رغبتها في الإصلاح مع رسائلها وكتبها وتحرّكاتها مع هذا وذاك كقائدة جيش تأمر وتنهى، وتستنصر الرجال، وتستنفر للقتال، وتدعو إلى خذلان علي عليه السلام؟!

---

(١) راجع الصفحة 70.

فهذا كتابها الذي رواه الطبري إلى أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وهو زيد بن صوحان العبدي تقول فيه: «من عائشة ابنة أبي بكر أم المؤمنين، حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله ! إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان. أما بعد؛ فإذا اتاك كتابي هذا فأقْدِمْ فانصُرْنا على أمرنا هذا، فإن لم تفعل فخذِّل الناس عن علي! فكتب إليها: من زيد بن صوحان إلى عائشة ابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنه حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله ! أما بعد؛ فأنا ابنك الخالص إن اعتزلتِ هذا الأمر ورجعتِ إلى بيتك، و إلا فأنا أول مَن نابذكِ! قال زيد ابن صوحان: رحم الله أم المؤمنين! أُمِرَتْ أن تلزم بيتها وأُمِرْنا أن نقاتل، فتركت ما أمرتْ به وأمرتنا به! وصنعتْ ما أُمِرْنا به ونهتنا عنه»![١]

وهذا إغواؤها لكعب بن سور حتى حملته وقومه الأزد على القتال معها، فقد روى ابن سعد: «إن كعب بن سور لمّا قَدِمَ طلحة والزبير وعائشة البصرة؛ دخل في بيت وطيّنَ عليه وجعل فيه كوّة يُناوَل منها طعامه وشرابه اعتزالاً للفتنة. فقيل لعائشة: إن كعب بن سور إنْ خرج معكِ لم يتخلّف من الأزد أحدٌ! فركبت إليه فنادته فلم يجبها، فقالت: يا

(١) تاريخ الطبري ج 3 ص492.

كعب! ألستُ أمك ولي عليك حق؟! فكلّمها فقالت: إنما أريدُ أن أصلح بين الناس! فذلك حين خرج وأخذ المصحف فنشره ومشى بين الصفين يدعوهم إلى ما فيه فجاءه سهم غرب فقتله»![١] فهل كان يضرّها أن يبقى الرجل في بيته لا له ولا عليه بدلاً من أن تغويه بكلامها المعسول وادعائها الزائف أنها تريد الإصلاح والحال أنها غرّرت به حتى قتلته؟!

وهذا أحد أصحاب رسول الله ﷺ وهو أبو بكرة كاد أن يقاتل مع طلحة والزبير ظنّاً منه أنهما على حق لولا أنه رأى أن عائشة هي الآمرة الناهية فتراجع مستذكراً حديث النبي ﷺ ! فقد روى الشعبي بسنده عن أبي بكرة قال: «لمّا قَدِمَ طلحة والزبير البصرة؛ تقلّدتُ سيفي وأنا أريد نصرهما، فدخلتُ على عائشة وإذا هي تأمر وتنهى! وإذا الأمر أمرها! فذكرتُ حديثاً كنتُ سمعته عن رسول الله ﷺ : لن يُفلح قومٌ تدبِّرُ أمرهم امرأة! فانصرفتُ واعتزلتهم. وقد رُوي هذا الخبر على صورة أخرى: إن قوماً يخرجون بعدي في فئة، رأسها امرأة، لا يفلحون أبداً»![٢]

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 7 ص92.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 6 ص227.

وقد روى البخاري وغيره ما يقرب من هذا عن أبي بكرة قال: «لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ أيام الجمل بعدما كدتُ أن ألحق بأصحاب الجمل فأقاتلَ معهم. قال: لمّا بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس قد مَلَّكوا عليهم بنت كسرى قال: لن يُفلح قومٌ ولَّوْا أمرهم امرأة»![١]

وروى الترمذي عن أبي بكرة قال: «عصمني الله بشيءٍ سمعتُه من رسول الله ﷺ . لمّا هلك كسرى قال: من استخلفوا؟ قالوا: ابنته. فقال النبي ﷺ : لن يفلح قومٌ وَلَّوْا أمرهم امرأة! قال: فلمّا قَدِمَتْ عائشة - يعني البصرة - ذكرتُ قول رسول الله ﷺ فعصمني الله به».[٢]

إن هذه الأحاديث تثبت أن عائشة كانت رأس هذه الحركة، فهي الآمرة الناهية، والحكم حكمها، والقوم قد ولّوها أمرهم وجعلوها ملكةً أو أميرة عليهم كابنة كسرى، وقد كان أبو بكرة يظن في بادئ الأمر أن قيادة هذه الحركة بيد طلحة والزبير ولذا تقلّد سيفه مستعدّاً لنصرتهما،

---

(١) صحيح البخاري ج 8 ص97.

(٢) سنن الترمذي ج 3 ص360 وقال: هذا حديث صحيح .

غير أنه لمّا وجد أن القوم إنما تقودهم عائشة رجع بعدما تذكّر حديث النبي صلى الله عليه وآله ، فعُصِمَ بذلك.

فعائشة إذن لم تكن مجرّد وسيط يهدف إلى الإصلاح بين المتنازعين كما يقول هؤلاء المستبلهون! بل كانت قائدة جيش ورأس حركة يتلقّى أفرادها الأوامر منها، ولا أدلّ على ذلك مما تقدّم من رجوعهم إليها في كل شاردة وواردة يستفتونها فتقول لهم: «اقتلوهم»! ومن دورها أثناء الحرب حيث كانت تصبّر الرجال وتحضّهم على مواصلة القتال وتثير فيهم النخوة والعزيمة! فبعد هذا يُقال أنها كانت مجرد وسيط مصلح ؟!

وليت شعري كيف يمكن تصديق كونها قد خرجت للإصلاح وسلوكها منذ خروجها يدلّ على أنها إنما خرجت للحرب والقتال؟! ولذا تعامل معها أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته على أنها عدو قد أعلن الحرب، فهم يحاربونه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته التي خطبها حين بلغه أن عائشة ومَن معها ساروا إلى البصرة: «أيها الناس؛ إن عائشة سارت إلى البصرة، ومعها طلحة والزبير، وكلٌّ منهما يرى الأمر له دون صاحبه! أما طلحة فابن

عمّها! وأما الزبير فختنها! والله لو ظفروا بما أرادوا - ولن ينالوا ذلك أبدا - ليضربنَّ أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد! والله إن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة ولا عقدة إلا في معصية الله وسخطه حتى تورد نفسها ومَن معها موارد الهلكة! إي والله ليُقتلنَّ ثلثهم وليهربنّ ثلثهم وليتوبنّ ثلثهم، وإنها التي تنبحها كلاب الحوأب! وإنهما ليعلمان أنهما مخطئان! ورُبَّ عالمٍ قتله جهله ومعه علمه لا ينفعه! وحسبنا الله ونعم الوكيل! فقد قامت الفتنة وفيها الفئة الباغية. أين المحتسبون؟! أين المؤمنون؟! مالي ولقريش؟! أما والله لقد قتلتهم كافرين، ولأقتلنّهم مفتونين! وما لنا إلى عائشة من ذنبٍ إلاّ أنّا أدخلناها في حيّزنا! والله لأبقرنّ الباطل حتى يظهر الحقّ من خاصرته، فقل لقريش فلتضجّ ضجيجها»![1]

يلاحَظ أن الإمام (صلوات الله عليه) في خطبته هذه بدأ بذكر مسير عائشة قائلاً: «إن عائشة سارت إلى البصرة، ومعها طلحة والزبير» أي أنها هي الرأس المدبِّر وما طلحة والزبير والقوم إلا أتباع لها! ثم إنه قال:

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 1 ص233 عن أبي مخنف الكوفي، ونحوه في المعيار والموازنة لأبي جعفر الإسكافي ص53 وتاريخ أبي الفداء ج 1 ص78.

«والله إن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة ولا عقدة إلا في معصية الله وسخطه حتى تورد نفسها ومَن معها موارد الهلكة»! أي أن عائشة لم تكن في خروجها تنشد الإصلاح بل تقصد العصيان لله عزّ وجل في كل المواقف والمنازل! وهي القائدة التي ستسوق هؤلاء المغفّلين إلى موارد الهلكة!

ثم إن قوله عليه السلام: «مالي ولقريش؟! أما والله لقد قتلتهم كافرين، ولأقتلنّهم مفتونين! وما لنا إلى عائشة من ذنبٍ إلاّ أنّا أدخلناها في حيّزنا»! يشير إلى حقيقتين مهمّتيْن: الأولى؛ أن قريشاً افتتنت بعائشة فلذا وجب قتالهم كما قوتلوا زمان كفرهم. والثانية؛ أن مردّ حقد عائشة على النبي وآله عليهم السلام هو أنهم «قد أدخلوها في حيّزهم» أي أنهم أوجبوا عليها كما أوجبوا على نسائهم البقاء في حيّز الدار لا تبرحه مصداقاً لقوله تعالى: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ» إلا أن عائشة امرأة «متحرّرة» تريد أن تخرج وتسرح كيف تشاء! وقد كانت كذلك في زمان أبي بكر وعمر وعثمان، فلا قيد عليها، أما حيث جاء عهد علي بن أبي طالب عليهما السلام فقد اسودّت الدنيا في وجهها! إذ علمتْ أنها لن تُترك بعد الآن تسرح وتمرح خارج فناء دارها،

وأن علياً عليه السلام سيعيد لجمها وسيُقِرُّها في بيتها كما كان عليه وضعها أيام رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهذا ما لم تكن تطيقه!

وفي خطبة الإمام عليه السلام إشارة واضحة إلى محورية عائشة في هذه الحركة التمرّدية، فإنه قال: «وكلٌّ منهما يرى الأمر له دون صاحبه! أما طلحة فابن عمّها! وأما الزبير فختنها»! أي أن كل واحد من هذيْن إنما يعوّل على أن ينال الحكم بقرابته منها، فهي المحور والأساس، وبيدها أن تعيّن هذا خليفةً أو ذاك!

ولا أدلّ على ذلك من أنها كانت هي الفصل والحكم بينهما حين تنازعا على إمامة الناس في الصلاة يوم الجمل الأصغر، فقد روى الطبري عن أبي المليح قال: «لمّا قُتِلَ حُكيم بن جبلة أرادوا أن يقتلوا عثمان بن حُنيف، فقال: ما شئتم، أما إن سهل بن حُنيف والٍ على المدينة وإن قتلتموني انتصر، فخلّوا سبيله، واختلفوا في الصلاة، فأمرت عائشة رضي الله عنها عبد الله ابن الزبير فصلّى بالناس»![1]

---

(١) تاريخ الطبري ج 3 ص490.

وروى الواقدي: «وحضرت الصلاة فتدافع طلحة والزبير حتى كادت الصلاة تفوت! ثم اصطلحا على أن يصلي عبد الله بن الزبير صلاة ومحمد بن طلحة صلاة»![١] وتقدّم أن هذا كان بأمر عائشة على ما رواه اليعقوبي: «فلما حضر وقت الصلاة تنازع طلحة والزبير وجذب كل واحد منهما صاحبه حتى فات وقت الصلاة! وصاح الناس: الصلاة الصلاة يا أصحاب محمد! فقالت عائشة: يصلّي محمد بن طلحة يوماً وعبد الله بن الزبير يوماً»![٢] وقد روى أبو الفرج الأصفهاني عن أبي مخنف

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 5 ص54 عن الواقدي.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج 1 ص179.

الكوفي قال: «ولمّا صاروا إلى البصرة تنازع طلحة والزبير في الصلاة! فاتّفقا على أن يصلي ابنُ هذا يوماً وابنُ هذا يوماً! وقال شاعرهم في ذلك[1]:

تبارى الغُلامان إذْ صَلَّيا وشَـحَّ على المُلك شيخاهما!

وما لي وطلحةَ وابنَ الزُّبير وهذا بـذي الجَزْعِ مَوْلاهما؟!

فـأمُّـهـما اليومَ غـرَّتْـهُما ويَعلى بنُ منيَّـةَ دَلاَّهُما»!

إذن فالقول كان قول عائشة والحكم حكمها والفصل فصلها، وهي التي غرَّتْ طلحة والزبير وغيرهما من أبنائها كما قال الشاعر: «فأمُّهما

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج 12 ص390، وتدافع طلحة والزبير وتشّاحهما على الصلاة كاشف عن أن الملك كان غايتهما لا الطلب بثأر عثمان ولا الإصلاح بين الناس كما يحلم الحالمون! وأما يعلى بن أمية فهو اللعين الذي موّل هذه الحرب بستين ألف دينار من بيت مال اليمن الذي نهب ما فيه حينما كان عاملاً لعثمان ابن عفان! فلمّا بلغه نبأ تولّى علي عليه السلام الخلافة خاف من عقابه فانضمّ إلى عائشة وطلحة والزبير وأغدق عليهم بهذه الأموال أملاً في إسقاط علي عليه السلام و إزاحته عن الخلافة فلا يناله عقاب! راجع الفتوح لابن أعثم ج 2 ص453.

هذا وأبو مخنف لوط بن يحيى الكوفي لم يكن شيعياً كما يزعم بعض الكَذَبة من أهل الخلاف ابتغاء ردّ بعض رواياته التاريخية التي فيها فضيحة أسلافهم رغم اعتماد جلّة علمائهم عليه في التاريخ ! بل كان كما يقول ابن أبي الحديد في شرح النهج ج 1 ص147: «من المحدّثين وممن يرى صحة الإمامة بالاختيار، وليس من الشيعة ولا معدودا من رجالها».

اليومَ غَرَّتْهُما»! فهي القائدة والزعيمة التي لا يتوانى الناس عن إطاعتها والامتثال إلى أوامرها، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إني مُنيتُ بأربعةٍ ما مُنِيَ أحدٌ بمثلهنّ: بأطوع الناس في الناس؛ عائشة بنت أبي بكر! وبأشجع الناس؛ الزبير بن العوّام! وبأخصم الناس؛ طلحة بن عبيد الله! وبأكثر الناس مالاً؛ يعلى ابن منية التميمي! أعان عليَّ بأصواع الدنانير»![١]

وحينما طولب عليه السلام بسبي نساء الجمل ردّهم بقوله: «فهاتوا سهامكم وأقرِعوا على عائشة فهي رأس الأمر وقائدهم»![٢]

إن حقيقة أن عائشة كانت هي رأس هذه الحرب وقائدة الجيش لا يمكن لأحدٍ إنكارها لأنها من قبيل إنكار المحسوس، فإن المحاربين معها ما كانوا في الحرب يرتجزون إلا بذكرها كقائدة لهم وأنهم لها تبع وأنصار، وقد مرّ بعض تلك الأراجيز، ومنها أيضاً قولهم[٣]:

---

(١) المسترشد للطبري الإمامي ص419 ونحوه في الاستيعاب لابن عبد البر ج 2 ص499 والأنساب للسمعاني ج 1 ص139.

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي ج 11 ص335.

(٣) الجمل للمفيد ص188.

نحنُ صِحابُ الجملِ المُكَرَّمْ! ومانعو هَوْدَجِهِ المُعظَّمْ!

وناصرو زوْجِ النبيِّ الأكرمْ ذلك دينُ الله فينا الأَقدَمْ!

وقولهم(١):

يا أُمِّ يا أُمِّ خلا منّي الوطنْ لا أبتغي القبرَ ولا أبغي الكفنْ!

من ههنا محشرُ عوف بن قَطَنْ إنْ فاتَنا اليومَ عليٌّ فالغَبَنْ!

أو فاتَنا ابناهُ حُسينٌ وحسنْ إذن أَمُتْ بطولِ همٍّ وحَزَنْ!

وقولهم(٢):

يا أُمَّنا يا عيشُ لن تراعي كلُّ بَنيكِ بطلٌ شجاعِ !

ليس بوهّامٍ ولا براعي!

وكذا المحاربون مع علي عليه السلام ما كانوا يروْن عائشة في تلك الحرب إلا

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 1 ص256، وعوف بن قطن (لعنه الله) هو المنادي في تلك الحرب: «ليس لعثمان ثارٌ إلا علي بن أبي طالب ووُلدُه»! وقد قُتل وانتقل إلى جهنم وبئس المصير «بطول همٍّ وحَزَن»!

(٢) تاريخ الطبري ج 3 ص533.

أكبر أعدائهم ورأس الباغين عليهم، ولذا كان من أشعارهم وأراجيزهم في الحرب قولهم لها(١):

عائشُ إنْ جئتِ لتهزمينا وتَنشُري البَرَّ لتغلبينا

وتقذفي بالحصباتِ فينا تُصادفي ضرباً وتُنكرينا!

بالمَشْرَفِيَّاتِ إذا غُزينا نسفكُ من دمائكمْ ما شينا!

وقولهم لأصحاب الجمل(٢):

دليلُكمْ عِجلُ بني أميّة! وأُمُّكمْ خاسرةٌ شقيّة!

هاويَةٌ في فتنةٍ عميّة!

وقد تقدّم قول أمير المؤمنين عليه السلام حين مشى لعقر جملها:

أنتِ التي غَرَّكِ منيّ الحُسنى يا عَيْشُ إن القوم قومٌ أعدا

---

(١) تاريخ الطبري ج 3 ص186 و«تنشري البَرَّ» إشارة إلى فعلتها التي سبق ذكرها في الفصل السابق حيث أخذت كفّاً من بَرٍّ وحصى وحصبت به وجوه أصحاب علي عليه السلام قائلةً: «شاهت الوجوه»! فكان من ردّهم عليها أن قالوا: «وما رميتِ إذ رميتِ ولكن الشيطان رمى»! و«المَشرفيّات» هي سيوف خاصة منسوبة إلى مشارف الشام، يُضرب بها المثل في حدّتها. و«ما شينا» أي ما شئنا، إلا أنها مخفّفة.

(٢) المصدر نفسه ص184.

الخفضُ خيرٌ من قتالِ الأبْنا!

وقبل ذلك كله؛ لدينا رسالة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) التي حمّلها ابن عباس لعائشة قبيل نشوب الحرب، وفيها قوله لها: «إن هذه الأمور لا تصلحها النساء، وإنك لم تؤمري بذلك، فلم ترضيْ بالخروج عن أمر الله في تبرّجكِ وخروجكِ من بيتكِ الذي أمركِ النبي ﷺ بالمُقام فيه حتى سرتِ إلى البصرة فقتلتِ المسلمين! وعمدتِ إلى عمّالي فأخرجتهم! وفتحتِ بيت المال! وأمرتِ بالتنكيل بالمسلمين! وأبحتِ دماء الصالحين! فارعيْ وراقبي الله عز وجل، فقد تعلمين أنك كنتِ أشد الناس على عثمان، فما عدا مما بدا»؟![1]

إنّا نلاحظ في رسالته (صلوات الله عليه) نسبته كل تلك الجرائم إلى عائشة مباشرة، فهي التي قتلت المسلمين وأخرجت العمّال وانتهبت بيت المال وأمرت بالتنكيل وأباحت دماء الصالحين.. ولذا يخاطبها عليه السلام بقوله: «فقتلتِ.. وعمدتِ.. وفتحتِ.. وأمرتِ بالتنكيل.. وأبحتِ»! أي أن

---

(١) الجمل للمفيد ص168.

عائشة هي الرأس المدبّر، هي قائدة هذه الحملة الإرهابية المرعبة، هي المجرم الأول!

ولم يكن من جوابها على رسالته (صلوات الله عليه) إنكار أو تبرئة للنفس، ولم تقل مثلاً: «لم أفعل هذه الجرائم، إنما أردت الإصلاح»، بل أقرّت وتحدّت وجعلت نفسها ندّاً لأمير المؤمنين عليه السلام وتوعّدت بأن ملكه سيزول لأن ما بيدها من البلاد أكثر! ولمّا ناشدها ابن عباس اللهَ في دماء المسلمين؛ استهانت وحمّلت جريرة ذلك علياً عليه السلام!

قال ابن عباس: «فلمّا جئتها وأدّيتُ الرسالة إليها وقرأتُ كتاب علي عليه السلام عليها؛ قالت: يابن عباس! ابن عمّك يرى أنه قد تملّك البلاد؟! لا والله ما بيده منها شيء إلا وبيدنا أكثر منه! (...) قلتُ: الله الله في دماء المسلمين! قالت: وأيُّ دمٍ يكون للمسلمين إلا أن يكون علي يقتل نفسه ومن معه»![1]

والحاصل أن مجموع هذه الآثار يورّث القطع بأن عائشة لم تكن مجرّد وسيط مصلح كما يزعمون، بل كانت أميرة الجيش وقائدة العسكر!

---

(١) الجمل للمفيد ص168.

- الإيراد السادس؛ قد صحّ أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله حذّر عائشة من خروجها وعصيانها هذا، وقد تحقّقت العلامة التي ضمّنها تحذيره وهي نباح كلاب الحوأب،[١] وهذا موجب للعلم بأن هذا الخروج كان معصيةً لله تعالى، فهل يكون اجتهاد أو إصلاح في معصية بيّنة؟!

أخرج البزّار عن ابن عباس قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لنسائه: ليتَ شعري أيّتكنَّ صاحبة الجمل الأدبب تخرج فتنبحها كلاب الحوأب! يُقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير ثم تنجو بعدما كادت»![٢]

(١) الحوأب: موضع مياه لبني عامر في طريق البصرة وفيه بئر يُنسب إلى الحوأب بنت كلب بن مرة. قال أبو منصور كما في معجم البلدان للحموي ج 2 ص314: «الحوأب موضع بئر نبحت كلابه عائشة عند مقبلها إلى البصرة». علماً أن حديث الحوأب الذي سيأتي عن النبي صلى الله عليه وآله هو من أصح الأحاديث كما نصّ على ذلك الألباني، ويعدّ من جملة ما يحتج به أهل الإسلام على أهل الكفر في إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وآله حيث أخبر بالغيبيات التي تحقّقت بتفاصيلها.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ج 7 ص234 وفتح الباري لابن حجر ج 13 ص45 عن البزار، وذكر أن رجاله ثقات. وفي لفظ رواية أبي مخنف كما في شرح النهج ج 9 ص311: «يُقتل عن يمينها وشِمالها قتلى كثيرة كلهم في النار! وتنجو بعدما كادت»!

وأخرج الحاكم عن أم سلمة (سلام الله عليها) قالت: «ذكر النبي ﷺ خروج بعض أمهات المؤمنين، فضحكت عائشة! فقال: انظري يا حميراء أن لا تكوني أنتِ»![١]

وحين بلغت عائشة موضع الحوأب ونبحتها كلابه؛ صاحت واعترفت بأنها هي المعنيّة بهذا التحذير، فقد روى ابن قتيبة: «فلمّا انتهوا إلى ماء الحوأب في بعض الطريق ومعهم عائشة؛ نبحتها كلاب الحوأب، فقالت: ما أراني إلا راجعة. قال: ولِمَ؟ قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لنسائه: كأنّي بإحدا كنَّ قد نبحها كلاب الحوأب، و إياكِ أن تكوني أنتِ يا حميراء! فقال لها محمد بن طلحة: تقدّمي رحمكِ الله ودعي هذا القول! وأتى عبد الله بن الزبير فحلف لها بالله لقد خلَّفتْهُ أوّل الليل! وأتاها ببيّنة زور من الأعراب فشهدوا بذلك! فزعموا أنها أول شهادة زور شهد بها في الإسلام»![٢]

---

(١) مستدرك الحاكم ج 3 ص129، وضحكها يُظهر استهتارها! وقد مرّ في الفصل الثاني أن أم سلمة (سلام الله عليها) واجهت عائشة حين رامت الخروج وذكّرتها بحديث كلاب الحوأب وضحكها عنده فلم تكترث! راجع ص241 من كتاب الفاحشة.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص82، وفي مروج الذهب للمسعودي ج 2 ص395 أن شهود الزور كانوا خمسين رجلاً! وكذا في رواية البلاذري كما سيأتي.

وروى أحمد بن حنبل عن قيس بن أبي حازم: «إن عائشة قالت لمّا أتت على الحوأب سمعتْ نباح الكلاب فقالت: ما أظنني إلا راجعة، إن رسول الله ﷺ قال لنا: أيّتكنّ تنبح عليها كلاب الحوأب؟! فقال لها الزبير: ترجعين! عسى الله عز وجل أن يصلح بك بين الناس»!(١) وروى أيضاً عن قيس قال: «لمّا أقبلتْ عائشة بلغت مياه بني عامر ليلاً نبحت الكلاب، فقالت: أي ماءٍ هذا؟ قالوا : ماء الحوأب. قالت: ما أظنّني إلا أني راجعة. فقال بعض مَن كان معها: بل تقدمين فيراكِ المسلمون فيُصلح الله ذات بينهم! قالت: إن رسول الله ﷺ قال لنا ذات يوم: كيف بإحدا كنَّ تنبح عليها كلاب الحوأب»!(٢)

وروى ابن حبان عن قيس قال: «لمّا أقبلت عائشة مرّتْ ببعض مياه بني عامر طرقتهم ليلاً، فسمعتْ نباح الكلاب فقالت: أيُّ ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب، قالت: ما أظنّني إلا راجعة. قالوا: مهلاً يرحمكِ الله! تقدمين

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج 6 ص97.

(٢) المصدر نفسه ج 6 ص52 وعنه البداية والنهاية لابن كثير ج 6 ص236.

فيراكِ المسلمون فيصلح الله بكِ! قالت: ما أظنّني إلا راجعة، إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: كيف بإحداكنّ تنبح عليها كلاب الحوأب»؟!(١)

وروى الطبري عن الزهري قال: «فسمعتْ عائشة رضي الله عنها نباح الكلاب فقالت: أيُّ ماءٍ هذا؟ فقالوا: الحوأب. فقالت: إنا لله و إنا إليه راجعون! إني لهِيَه! قد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه: ليتَ شعري أيّتكنَّ تنبحها كلاب الحوأب! فأرادت الرجوع فأتاها عبد الله بن الزبير فزعم أنه قال: كذب مَن قال إن هذا الحوأب! ولم يزلْ حتى مضت فقدموا البصرة»!(٢)

وروى البلاذري: «وسمعتْ عائشة في طريقها نباح كلاب فقالت: ما يُقال لهذا الماء الذي نحن به؟ قالوا: الحوأب. فقالت: إنا لله و إنا إليه راجعون! ردُّوني ردُّوني! فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه: أيتكنَّ تنبحها كلاب الحوأب؟! وعزمتْ على الرجوع ، فأتاها عبد الله بن

---

(١) صحيح ابن حبان ج 15 ص126.

(٢) تاريخ الطبري ج 3 ص485.

الزبير فقال: كذب مَن زعم أن هذا الماء الحوأب! وجاء بخمسين من بني عامر فشهدوا وحلفوا على صدق عبد الله»!(١)

وروى أبو مخنف وابن إسحاق: «لمّا خرجتْ عائشة وطلحة والزبير من مكة إلى البصرة؛ طرقت ماء الحوأب وهو ماء لبني عامر بن صعصعة، فنبحتهم الكلاب، فنفرت صعاب إبلهم، فقال قائل منهم: لعن الله الحوأب فما أكثر كلابها! فلمّا سمعتْ عائشة ذكر الحوأب قالت: أَهذا ماء الحوأب؟ قالوا: نعم. فقالت: ردّوني ردّوني! فسألوها ما شأنها؟ ما بدا لها؟ فقالت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: كأني بكلاب ماءٍ يُدعى الحوأب قد نبحت بعض نسائي! ثم قال لي: إياكِ يا حميراء أن تكونيها! فقال لها الزبير: مهلاً يرحمكِ الله! فإنّا قد جزنا ماء الحوأب بفراسخ كثيرة! فقالت: أَعندكَ مَن يشهد بأن هذه الكلاب النابحة ليست على ماء الحوأب؟ فلفَّق لها الزبير وطلحة خمسين أعرابياً جعلا لهم جعلاً فحلفوا لها وشهدوا أن

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ص224، وفي أنساب السمعاني ص286 أن ابن الزبير بعدما حلف كذباً على ذلك كفّر عن يمينه رضي الله عنه!

هذا الماء ليس بماء الحوأب! فكانت هذه أول شهادة زور في الإسلام! فسارت عائشة لوجهها»![1]

إن هذه الأحاديث تثبت أن عائشة قد أدركت أنها هي المعنيّة بالتحذير الصادر عن رسول الله ﷺ ، كيف وقد سبق توجّهه بالتحذير إليها على وجه الخصوص حين ضحكت فقال لها: «انظري يا حميراء أن لا تكوني أنتِ»! وها قد ركبت الجمل الأدبب ونبحتها كلاب الحوأب، وعلمتْ بذلك أن ما تُقْدِمُ عليه منهيٌّ عنه شرعاً، فتردّدها في الرجوع ومضيّها إلى البصرة لا يكون إلا عصياناً و إثماً مع علمها بالنهي المتجه إليها، فكيف يُزعم أنها خرجت مجتهدةً ومصلحةً؟! ولا يخرجها من الذنب أن يكون الزبير أو ابنه أو شهود الزور قد أثنوها عن الرجوع ودفعوها إلى المضي في حركتها الملعونة، إذ كان ينبغي لها أن تلتزم بالأمر النبوي ولا تلتفت إلى ما يعارضه من تلبيسات إنقاذا لنفسها وللأمة من الهلاك، على أن أحداً ما كان يجرؤ على أن يأمرها أمر المطاع فهي صاحبة الأمر والنهي كما مرّ عن أبي بكرة! و إنما غاية ما كان يقدر عليه الزبير أو طلحة أو

---

[1] شرح النهج لابن أبي الحديد ج 9 ص311 عن أبي مخنف وابن إسحاق.

ابناهما أن يشيروا عليها لا غير، فلماذا لم تصر على الرجوع مع تحقّق ما أنبأ به رسول الله صلى الله عليه وآله ؟!

ثم إن في الأحاديث ما هو أصرح عن رسول الله صلى الله عليه وآله في تحذير عائشة من الخروج على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) و إنبائه إياها بأنها ستكون إذ ذاك ظالمةً، فأنّى يُفَرُّ من حقيقة أنها خرجت ظلماً وعصياناً لا إصلاحاً واجتهاداً كما يُدَّعى؟!

روى المفيد عن رافع مولى عائشة قال: «كنت خادماً لعائشة وأنا غلام أعاطيهم إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله عندها، فبينا رسول الله صلى الله عليه وآله عند عائشة إذ جاءَ جاءٍ فدقَّ الباب، فخرجتُ إليه فإذا جارية معها إناءٌ مغطّى، فرجعتُ إلى عائشة فأخبرتها، فقالت: أدخلها. فدخلتْ فوضعته بين يدي عائشة، فوضعته عائشة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ، فمدّ يده يأكل، ثم قال: ليتَ أمير المؤمنين وسيد المسلمين يأكل معي. قالت عائشة: ومَن أمير المؤمنين؟ فسكت. ثم أعادت فسألت؛ فسكت. ثم جاءَ جاءٍ فدقَّ الباب، فخرجتُ إليه فإذا علي بن أبي طالب عليه السلام ، فرجعتُ إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبرتُه، فقال: أدخله. فدخل فقال: مرحباً وأهلاً؛ لقد تمنّيتك

حتى لو أبطأتَ عليَّ لسألتُ الله أن يجيء بك، اجلس فكُلْ. فجلس فأكل. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : قاتل الله مَن يقاتلك ومَن يعاديك! فسكت ثم أعادها. فقالت عائشة: مَن يقاتله ومَن يعاديه؟ قال: أنتِ ومَن معكِ! أنتِ ومَن معكِ»!(١)

وحديث رافع هذا مبتور عند المخالفين، أخرجه أبو نعيم وابن منده وفيه قوله: «كنتُ غلاماً أخدم عائشة إذا كان النبي صلى الله عليه وآله عندها، وإن النبي صلى الله عليه وآله قال: عادى الله مَن عادى عليّاً».(٢)

وبترهم لهذا الحديث معلومةٌ علّته، إذ يتحاشون نقل ما هو صريح في سبق إصرار عائشة على قتال أمير المؤمنين عليه السلام ، حفظاً لأكذوبة أنها خرجت للإصلاح لا للقتال! إلا أنه مع ذلك أفلتت منهم أحاديث تؤكد خروجها ظالمة للقتال، ومنها ما رواه ابن عبد ربّه الأندلسي أن

(١) الكافئة للمفيد ص34.

(٢) أُسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ج 2 ص154 والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج 2 ص373.

النبي ﷺ قال لها: «يا حميراء! كأني بكِ تنبحكِ كلاب الحوأب! تقاتلين علياً وأنتِ له ظالمة»!(١)

على أن مجرّد علمها بقوله ﷺ : «عادى الله مَن عادى علياً» يوجب عليها أن لا تعاديه ولا تعصيه و إنْ كانت قد خرجت للإصلاح حقاً في قرارة نفسها، لأن خروجها هذا هو في نظر علي عليه السلام ليس إصلاحاً، فإصرارها عليه يكون عصياناً له ومعاداةً، فلا محيص لها من إطاعته والامتثال لأمره، سيّما أن النبي ﷺ قال في حقّه: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني».(٢) فلماذا لم تطع علياً عليه السلام وفي إطاعته إطاعة الله ورسوله ﷺ ؟! ولماذا لم توفّر على هذه الأمة المنكوبة «إصلاحها» الذي أراق من الدماء ما أراقه؟!

كلا! إن الحميراء لم تخرج مجتهدة مصلحةً كما يزعم السفهاء، بل خرجت لغرض إسقاط حكومة أمير المؤمنين عليه السلام وتنصيب ابن عمّها

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسي ج 2 ص109.

(٢) مستدرك الحاكم ج 3 ص121 ونصّ على صحّته الذهبي في التلخيص.

وحبيبها طلحة مكانه خليفةً! فقد كانت بعد مقتل عثمان لا تشكّ في أن الناس سيبايعون طلحة، وهو الذي كان أقربهم إلى الخلافة من جهة أنه أكثرهم تأليباً على عثمان وسعياً في قتله حتى أنه منع عنه الماء واستولى على بيت المال في حياته وتصرّف وكأنه خليفة ليس بينه وبين نيل منصبه رسمياً إلا ضرب عنق نعثل!

ولمّا قُتل نعثل بالفعل استبشرت عائشة فقالت: «بُعداً لنعثلٍ وسُحقاً! (...) أبعده الله! قتله ذنبه وأقاده الله بعمله! يا معشر قريش لايسومنَّكم قتل عثمان كما سام أحيمر ثمود قومه! إن أحق الناس بهذا الأمر ذو الإصبع »! ثم خاطبت طلحة قائلة: «إيهٍ ذا الإصبع ! إيهٍ أبا شبل! إيهٍ يابن عم! لكأني أنظر إلى إصبعه وهو يبايع له: حُثُّوا الإبل ودعدعوها! (...) إيهٍ ذا الإصبع ! لله أبوك! أما إنهم وجدوا طلحة لها كفواً»![1]

غير أن الرياح جرت بما لا تشتهي عائشة فبايعت الأمة أمير المؤمنين عليه السلام وتركت طلحة يندب حظّه العاثر! وحين وصل هذا النبأ

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 6 ص215 عن المدائني وأبي مخنف الكوفي. وذكرها لإصبع طلحة تمييزاً راجع إلى ما يُقال من أنها كانت شلّاء.

المزعج لعائشة وَلْوَلَتْ وقالت: «وما لعليٍّ يستولي على رقابنا؟! لا أدخل المدينة ولعليٍّ فيها سلطان»![1] ثم قالت: «والله لَيومٌ من عثمان خيرٌ من عليٍّ الدهرَ كُلَّه»![2]

فهاهي تفصح عن مكنون سرّها، إنها لا تتحمّل أن يكون عليٌّ عليه السلام خليفة وسلطاناً، ولذا خرجت عليه بغية إسقاطه و إعادة الخلافة والسلطنة إلى ابن عمّها ذي الإصبع ! لتغدو بذلك أميرةً أو ملكةً لها الكلمة النافذة!

هذا هو هدف الحميراء حين أتت إلى البصرة في كتيبة يسوقها أعلاجها! ولو أنها كانت قد خرجت للإصلاح لما بدر منها هذا الذي بدر، ولما عبّر عن خروجها هذا حذيفة بن اليمان عن رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «حيث تسوء وجوهكم»! فإن الإصلاح لا تسوء فيه الوجوه!

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص66.

(٢) المحصول للفخر الرازي ج 4 ص343.

ونعيد عليك الحديث الذي مرّ في الفصل الثاني - من كتاب الفاحشة -، وهو ما رواه الحاكم والطبراني عن خيثمة بن عبد الرحمن وفلفة الجعفي، واللفظ للأول قال: «كنا عند حذيفة رضي الله عنه فقال بعضنا: حدِّثنا يا أبا عبد الله ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله . قال: لو فعلتُ لرجمتموني! قلنا: سبحان الله أَنحن نفعل ذلك؟! قال: أَرأيتكم إنْ حدّثتكم أن بعض أمهاتكم تأتيكم في كتيبة كثيرٌ عددها شديدٌ بأسها صدّقتم به؟ قالوا: سبحان الله ومن يصدّق بهذا؟! ثم قال حذيفة: أتتكم الحميراء في كتيبة يسوقها أعلاجها حيث تسوء وجوهكم! ثم قام فدخل مخدعاً».(١)

فتدبّر في هذا التعبير وسَلْ نفسك: هل يصدق على التي تخرج لطلب الإصلاح بين الناس مجتهدة برّة تقية؟! أم يصدق على التي تخرج مفسدة في الأرض ظالمةً جائرةً باغية شقيّة؟!

(١) مستدرك الحاكم ج 4 ص471 وحكم بصحته على شرط الشيخين، والمعجم الأوسط للطبراني ج 2 ص35.

ثم تلقَّ تصريح أمير المؤمنين عليه السلام هذا الذي يؤكد فيه أن عائشة «قد كرهت بيعته» وأن النبي صلى الله عليه وآله قد خبّرها بأن خروجها عليه «بغي وعدوان» ومع ذلك خرجت!

روى خاتمة المحدثين الميرزا النوري عن الصادق (صلوات الله عليه) حديثاً عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في الاحتجاج على أهل النهروان، وقد جاء فيه قوله عليه السلام: «إنما أخرجوا عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله معهم لكراهتها بيعتي! وقد خبّرها رسول الله صلى الله عليه وآله بأن خروجها خروج بغيٌ وعدوان! من أجل قوله عزّ وجل: يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ، وما من أزواج النبي صلى الله عليه وآله واحدةٌ أتت بفاحشة غيرها! فإن فاحشتها كانت عظيمة! أولها خلافها في ما أمرها الله في قوله عز وجل: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ، فإن تبرّجها أعظم من خروجها وطلحة والزبير إلى الحج ! فوالله ما أرادوا حجة ولا عمرة. ومسيرها من مكة إلى البصرة و إشعالها حرباً قُتل فيها طلحة والزبير وخمسة وعشرون ألفاً من المسلمين! وقد علمتم أن الله عز وجل يقول: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا

فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا»!(١)

وما ذِكْرُهُ عليه السلام لهذه الآية في هذا المقام إلا إشارة واضحة إلى أن عائشة كانت «متعمدة» لإشعال فتيل هذه الحرب المدمّرة، لا أنها كانت مصلحة. إنما كرهت بيعته عليه السلام فأخرجها أعداؤه وانضمّت إليهم زعيمة وقائدة تتعمّد إذكاء نار الحرب وتهييج الناس للقتال، متعمدة في كل ذلك، وهو ما يوجب غضب الله عليها ولعنته وعذابه العظيم!

- الإيراد السابع ؛ لو أن عائشة كانت قد قصدت الإصلاح حقاً لكان ينبغي لها أن تقعد وترجع إلى المدينة بعد يوم الجمل الأصغر، لأنها رأت كيف أن قيامها وخروجها أفضى إلى مقتلة عظيمة وفتنة عارمة هي أكبر وأخطر من فتنة قتل عثمان الذي زعمت أنها خرجت طلباً بثأره، فعثمان رجل واحد، وأما قتلى يوم الجمل الأصغر فستمئة والجرحى سبعمئة كما مرّ! أي أن عائشة قد زادت الطين بلة وأدركت أن خروجها لا صلاح فيه، والدليل هو ما وقع من مقتلة وفتنة، فلو

(١) مستدرك الوسائل للميرزا النوري ج 11 ص60 عن الخصيبي وسمّاه الحضيني.

أنها كانت خارجةً للإصلاح حقاً لتراجعت بعد الذي حدث من فساد، إلا أن عدم رجوعها و إصرارها على المضيّ في حركتها الانقلابية شاهد على أن شعار الإصلاح الذي رفعته لم يكن إلا شعاراً دعائياً لا حقيقة له، وأنها كانت تبيّت إسقاط حكومة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فهذا هو هدفها الحقيقي.

وبما يقرب من هذه الحجة واجه القعقاع بن عمرو التميمي عائشة وصاحباها حين جاءهم موفداً عن أمير المؤمنين عليه السلام، فقد روى الطبري وابن الأثير: «لمّا نزل عليٌّ ذا قار (...) دعا القعقاع بن عمرو فأرسله إلى أهل البصرة وقال: القَ هذين الرجليْن يابن الحنظلية - وكان القعقاع من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله - فادعهما إلى الألفة والجماعة وعظِّمْ عليهما الفُرقة. وقال له: كيف أنت صانع في ما جاءك منهما مما ليس عندك فيه وصاة مني؟ فقال: نلقاهم بالذي أمرتَ به فإذا جاء منهما أمر ليس عندنا منك فيه رأي اجتهدنا رأينا وكلّمناهم على قدر ما نسمع ونرى أنه ينبغي. قال: أنت لها. فخرج القعقاع حتى قَدِمَ البصرة فبدأ بعائشة رضي الله عنها، فسلّم عليها وقال: أي أمَّهْ؛ ما أشخصكِ وما أقدمكِ هذه البلدة؟ قالت: أي بنيّ!

إصلاح بين الناس! قال: فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما. فبعثت إليهما فجاءا، فقال: إني سألتُ أم المؤمنين ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد فقالت: إصلاحٌ بين الناس؛ فما تقولان أنتما؟ أَ متابعان أم مخالفان؟ قالا: متابعان. قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح فوالله لئن عرفناه لنصلحنَّ ولئن أنكرناه لا نُصلح ! قالا: قتلة عثمان رضي الله عنه فإن هذا إن تُرك كان تركاً للقرآن و إن عُمِلَ به كان إحياءً للقرآن! فقال: قد قتلتم قتلة عثمان من أهل البصرة وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمئة إلا رجلاً! فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم ذلك الذي أفلت - يعني حرقوص بن زهير - فمنعه ستة آلاف وهم على رجل، فإن تركتموه كنتم تاركين لما تقولون! فإن قاتلتموهم والذين اعتزلوا فأُديلوا فالذي حذِرتم وقرّبتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون»![1]

إن شاهدنا من هذا الخبر هو أن الحجة قد أقيمت على عائشة وصاحباها، وقد أُلزموا بأن دعواهم الإصلاح توجب عليهم التراجع بعد

---

(١) تاريخ الطبري ج 3 ص502 والكامل لابن الأثير ج 3 ص233، والقعقاع بن عمرو بطل مشهور وكان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وقاتل معه في الجمل ضد عائشة وطلحة والزبير وأتباعهم.

الذي وقع من قتل وفساد وتحزّب وتطاحن وتشرذم بين الناس، فعدم تراجعهم واستمرارهم في التمرّد إلى أن وقعت حرب الجمل الأكبر ليس له تفسير سوى أن غايتهم من وراء ذلك غير الإصلاح .

ولا يشفع لهم ما يدّعيه المخالفون من أن الحرب الكبرى لم تقع بإرادة منهم، ولا ما نسجه بعض الرواة من أساطير بإلقاء تبعة نشوبها على أشخاص لا وجود لهم كابن السوداء ومن أشبه، فإن هذا خيال مثير للسخرية ولا يُحتج به، وينقضه أنه لو كانت إرادة جدية في الإصلاح من عائشة وصاحباها لكان عليهم بمجرّد أن وصل أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصرة أن يهرعوا إليه ليبايعوه، فقد تبيّن لهم أن حركتهم آلت إلى ما آلت إليه من فتن ومجازر، وأنه لا صلاح فيها ولا إصلاح ، وهذا هو الخليفة الشرعي وأمير المؤمنين الواجبة طاعته، وهو الذي عليه المعوّل في إحياء القرآن وإجراء حدود الله تعالى، وهو بعدُ الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه: «علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض»،[١] فكان الواجب عليهم أن يمثلوا بين يديه ويعلنوا بيعتهم له ويرفعوا أمرهم

---

(١) مستدرك الحاكم ج 3 ص124 والمعجم الأوسط للطبراني ج 5 ص135 وعنه مجمع الزوائد للهيثمي ج 9 ص134 وكنز العمال للمتقي الهندي ج 6 ص153

إليه حتى ينصلح حال الأمة الممزقة، لا أن يتحشّدوا مع جيشهم الأرعن قِباله وهم يتهيأون للنفير كذئاب تتحيّن الفرصة للاجتياح !

إن مَن. يقصد الإصلاح لا يجيّش جيشاً! وإن مَن. يقصد الإصلاح لا يسفك دماً! وإن من يقصد الإصلاح لا يوقع الإحن! وإن من يقصد الإصلاح لا يمضي من حرب إلى أخرى ومن جمل أصغر إلى أكبر مع ما خلّفته الأولى من دماء وقتلى!

- الإيراد الثامن: كان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يبذل جهده وطاقته في نُصح القوم تفادياً لوقوع الحرب وحقناً للدماء، ومن جملة هؤلاء الذين نصحهم: الزبير بن العوام، حيث ذكّره الأمير عليه السلام بحديث لرسول الله صلى الله عليه وآله فتراجع وأقسم على أن لا يقاتل ويشترك في الحرب. إلا أن عائشة لامته وجبّنته واستفزّته وانضمّ إليها في ذلك ابنه عبد الله الذي حضّه على حنث قسمه بعتق غلامه مكحول كفارةً حتى عاد الزبير للمناجزة والقتال! وفي آخر حملته تراجع ثانية وخرج عن ساحة المعركة حتى قتله عمرو بن جرموز الذي بشّره أمير المؤمنين عليه السلام بالنار لأنه سيكون من الخوارج من بعد

ولم يكن قتله لابن العوام لله بل طمعاً في جائزة الأمير عليه السلام التي لم ينلها![1]

كان من قول أمير المؤمنين عليه السلام للزبير بن العوام: «أَ تذكر يوم مررتَ مع رسول الله صلى الله عليه وآله في بني غنم فنظر إليَّ فضحك وضحكتُ إليه؛ فقلتَ: لا يدع ابن أبي طالب زهوه! فقال لك رسول الله صلى الله عليه وآله : صه! إنه ليس به زهو، ولتقاتلنّه وأنت له ظالم؟ فقال: اللهم نعم! ولو ذكرتُ ما سرتُ مسيري هذا. والله لا أقاتلك أبداً».[2]

هنا جاء دور عائشة في إغوائه من جديد، إذ قالت له حين نكص عن القتال على رواية ابن قتيبة: «يا أبا عبد الله! خفتَ سيوف بني عبد المطلب»![3] وعلى رواية ابن شهراشوب: «لا والله بل خفتَ سيوف ابن أبي طالب! أما إنها طِوال حِداد تحملها سواعد أنجاد، ولئن خفتَها فلقد خافها الرجال من قبلك! فرجع إلى القتال! فقيل لأمير المؤمنين عليه السلام : إنه قد

---

(١) القضية مشهورة في مصادر التاريخ ومنها مروج الذهب للمسعودي ج 2 ص362 وتاريخ الطبري ج 3 ص514 والاستيعاب لابن عبد البر ص203 وتاريخ أبي الفداء ص120وغيرها كثير.

(٢) تاريخ الطبري ج 3 ص514 ونحوه في فتوح ابن أعثم ج 2 ص309.

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص92.

رجع ! فقال: دعوه! فإن الشيخ محمول عليه! ثم قال: أيها الناس! غضّوا أبصاركم وعضّوا نواجذكم وأكثروا من ذكر ربّكم، وإياكم وكثرة الكلام فإنه فشل. ونظرت عائشة إليه وهو يجول بين الصفّين، فقالت: انظروا إليه كأن فعله فعل رسول الله يوم بدر! أما والله ما يُنتظر بك إلا زوال الشمس! فقال علي عليه السلام : يا عائشة! عمّا قليل لتصبِحُنَّ نادمين»![1]

وعلى هذا؛ فلو كانت عائشة على ما يزعمون طالبةً للإصلاح ؛ فلماذا أرجعت الزبير إلى القتال باستثارتها إياه وتعييره بالجُبن والخوف من سيوف ابن أبي طالب وبني عبد المطلب؟! لماذا تدفعه إلى القتال من جديد بدلاً من أن تثني على خطوته بالتراجع وتطلب منه أن يخطب بالناس ناصحاً ذاكراً حديث رسول الله صلى الله عليه وآله الذي نصّ فيه على أن عليا عليه السلام في هذه الحرب هو المظلوم، وأن الزبير يقاتله وهو ظالم، فيكون جميع من يقاتله ظالماً بالتبع ، فيكفّ الناس عن القتال وتُحقن الدماء؟!

إن الحميراء كانت في ذلك الموقف تتعطّش للدماء، والذي كانت تطلبه إنما هو رأس علي عليه السلام ! وكانت تظنّ - لكثرة عدّتها وجندها - أنه لن

---

(١) مناقب آل أبي طالب عليه السلام لابن شهراشوب ج 2 ص34.

تمضِ إلا ساعات قلائل إلى زوال الشمس ويكون رأس علي بين يديها! ولذا قالت له: «أما والله ما يُنتظر بك إلا زوال الشمس»!

إلا أنه (صلوات الله عليه) خاطبها خطاب الواثق بوعد ربّه: «يا عائشة! عمّا قليل لتصبِحُنَّ نادمين»! وهذا ما حصل حين تحقق الوعد بالنصر لولي الله على عدوة الله!

- الإيراد التاسع ؛ قد علمنا في ما تقدّم أن حرب الجمل الأكبر دامت سبعة أيام، كانوا يقتتلون فيها نهاراً ويقعدون ليلاً. وكان طلحة والزبير قد قُتلا في صدر نهار اليوم الأول، ومن وسطه قادت عائشة الناس في الحرب لوحدها إلى سبعة أيام!

روى الطبري عن محمد وطلحة قالا: «كان القتال الأول يستحِرُّ إلى انتصاف النهار، وأُصيب فيه طلحة رضي الله عنه، وذهب فيه الزبير، فلمّا أووا إلى عائشة وأبى أهل الكوفة إلا القتال ولم يريدوا إلا عائشة؛ ذمّرتهم عائشة![1] فاقتتلوا حتى تنادوا فتحاجزوا، فرجعوا بعد الظهر

(١) أي حضّتهم على القتال ولامتهم على القعود، وهو دليل إضافي على أنها كانت رأس هذه الحرب الملعونة.

فاقتتلوا، وذلك يوم الخميس في جمادى الآخرة، فاقتتلوا صدر النهار مع طلحة والزبير، وفي وسطه مع عائشة»![1]

إذن؛ فقد ذهب طلحة والزبير بمقتلهما في اليوم الأول، ومن وسط ذلك اليوم لم يكن هناك قائد للجيش يقاتل الناس معه سوى عائشة! وحيث أن الحرب استمرّت لسبعة أيام كما ذكر ابن قتيبة؛ فمعنى ذلك أن الحميراء كانت تركب جملها كل يوم تذمّر أي تحرّض الناس على القتال - كما هو صريح رواية الطبري - ثم يأتي الليل فيتحاجز الناس ويتوقف القتال فتنزل هي وتنام مستعدة لجولة اليوم التالي!

وطوال هذه الأيام كانت القتلى تتساقط أمام مرأى عائشة فوجاً بعد فوج وكتيبة بعد كتيبة! إلا أن ذلك لم يجعلها تراجع نفسها في تلك الليالي فتوقف الحرب وتحقن الدماء! قد كانت تنزل من هودجها كل ليلة بعد مقتلة عظيمة فلو أنها أرادت الإصلاح حقاً فلماذا لم توقف الحرب؟! ولماذا كانت تركب جملها الملعون في كل صباح وتحرّض الناس على القتال؟! ها قد ذهب طلحة وذهب معه الزبير ولم يبقَ للناس قائد من

(١) تاريخ الطبري ج 3 ص524.

الرجال كما لم يبقَ مرشّح للخلافة من رجالها؛ فعلى ماذا مضت المرأة على القتال؟! أَوَ كانت تطلب الخلافة لابن أختها عبد الله بن الزبير مثلاً؟! أم كانت تريد الانتقام من ابن أبي طالب مهما يكن؟! أم لعلّها فكّرت بأن للنساء أن يلين الخلافة أيضاً فتنصب نفسها خليفة وأميرة للمؤمنين كما قيل؟!

وبالله يا قوم كيف يصدّق العاقل بأنها رامت الإصلاح وهي التي تمضي بالحرب إلى آخر نفس ورمق لأسبوع كامل! أَفلا كان عليها بعد مقتل طلحة والزبير أن تصرخ بالناس معلنةً: «أيها الناس! قد خرجتُ لطلب الإصلاح لا للقتال فما بالكم تسفكون الدماء»؟! أَفلا استغلّت الليلة الأولى حيث توقف القتال فوعظت جُندها قائلة: «أيها الناس! كفى حرباً وقتالاً واحقنوا دماءكم ودماء إخوانكم»؟! أَفلا أخذتها الرأفة بالناس فانسلّت في إحدى تلك الليالي أو الأيام وعادت أدراجها لئلا تنشب الحرب في اليوم التالي؟! فإن الحرب ما كانت لتنشب كل صباح لولا أنها كانت تركب جملها الملعون وتُتَّخَذ قبلة ولواءً ورايةً ثم هي تستنفر الناس وتذمّرهم على القتال! فبالله أي إصلاح هذا ومن أي جنس هو؟!

ألا حدّث العاقل بما لا يُعقل فإن صافقك عليه فهو معتوه لا يَعقل!

- الإيراد العاشر: إنّا لو احتكمنا إلى الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض يوم القيامة»[١] والذي قال فيه: «رحمَ الله علياً، اللهم أَدِر الحق معه حيث دار»[٢] والذي قال فيه: «علي مع القرآن والقرآن مع علي، ولن يتفرّقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض»[٣] والذي قال فيه حين مرّ: «الحق مع ذا، الحق مع ذا»[٤] أقول: إنّا لو احتكمنا إلى هذا الحقّ الذي تجسّد في هذا العظيم العملاق لمعرفة حقيقة نوايا عائشة في خروجها، وهل أنها كانت تطلب الإصلاح أم الإفساد؟ لوجدناه يقول بملء الفم: «والله إن طلحة والزبير وعائشة ليعلمون أني على الحق وأنهم مبطلون»![٥]

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب ج 14 ص320 ومجمع الزوائد للهيثمي ج 7 ص235 عن البزّار.

(٢) سنن الترمذي ج 5 ص592 ومستدرك الحاكم ج 3 ص134 وقد نصّ على صحته.

(٣) مستدرك الحاكم ج 3 ص134 وقد نصّ على صحته.

(٤) مجمع الزوائد للهيثمي ج 7 ص234 عن أبي يعلى.

(٥) الاستيعاب لابن عبد البر ج 2 ص499.

وإن علياً عليه السلام الذي يدور الحق معه حيث دار أتقى لله عز وجل من أن يقسم على ما لا يكون يقيناً، وها هو قد أقسم بالله على أن عائشة وصاحباها يعلمون أنه على الحق، وأنهم على الباطل، فلا محالة يكون خروج عائشة بقصد إيقاع الفساد لا الإصلاح ، لأن قصد الإصلاح لا يكون باطلاً ولا يسوغ وصف صاحبه بالمبطل شرعاً.

ولا بدّ من تصديق أمير المؤمنين عليه السلام في قوله هذا، لأن النبي صلى الله عليه وآله منحه الشهادة له بأنه على حق دوماً وأبداً، فتكون النتيجة هي أن عائشة كانت تعلم أنها مُبطلة! وما خروجها إلا للباطل، فما أغبى الذين يزعمون اليوم أنها كانت مُصلحة!

هذه إيرادات عشر تُبطل مزاعم أشياع عائشة في أن خروجها كان للإصلاح .

وأما بكاؤها حتى تبلّ خمارها الذي احتجّوا به على أنها قد ندمت وتابت من إثمها؛ فلا دلالة فيه على ما يدّعون، إذ لا يلازم البكاءُ الندمَ والتوبةَ بالضرورة، وإنّا حيث علمنا أن عائشة لم تبدِ أدنى ندم ولا دمعت عيناها دمعة بعد يوم الجمل الأصغر رغم ما سبّبته من مجازر؛ وحيث

علمنا جوابها لأم أوفى العبدية وما فيه من إصرارها على المكابرة والغيّ كما مرّ، وحيث علمنا أنها ظلّت على عدائها لأمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام وشنّت عليهم حرب «البغل» من بعدُ كما سيأتي.. أقول: حيث علمنا بكل ذلك فلا يستقرّ في النفس أن بكاءها كان ندماً وتوبةً، وإنما هو تصنّع في بعض المواقف، وتنفيس في أخرى عن احتقان داخلي مردّه شعورها بخيبة أملها وضياع آمالها إذ هُزمت هزيمة منكرة وأُرجعت صاغرة! فهذا الذي يجعلها تبكي حين تتذكر أنها كانت قاب قوسين أو أدنى من أن تصير ملكة أو أميرة فيما هي اليوم قابعة في بيتها بين أربع جدران والعمر يتقدّم بها شيئاً فشيئاً حتى تموت!

إنها خيبة الأمل التي حرقت قلبها وأصابتها باكتئاب مزمن كان يتفجّر حيناً وآخر على شكل زخّات بكاء أو نفثات غمّ أو زفرات حزن ولوعة! فإن من أصعب الأمور وآلمها على الإنسان أن يعيش حياته منكسراً.

وأهل مصر ما زالوا يردّدون إلى اليوم مثلاً شعبياً يعبّر عن الانكسار والخيبة، وهو مأخوذ مما جرى لعائشة بعد معركة الجمل، إذ يقولون

للخاسر والخاسرة والخائب والخائبة: «خيبة الأمل.. راكبة جمل»! فيما يتوعّدون بعضهم بعضاً بقولهم: «أنا حاخليك تعمل عيشه»! أي سأجعل حالك بعد العراك كحال عائشة التي رجعت خائبة مهزومة صاغرة لم يتحقق شيء من أحلامها![1]

وبالعودة إلى دعوى ندمها وتوبتها؛ نرى أن من المناسب ههنا عرض مناظرة الشيخ المفيد (رضوان الله تعالى عليه) مع أحد أعلام المخالفين وهو علي بن عيسى الرماني في شأن واقعة الجمل، وذلك حين كان المفيد

---

(١) هذا المثلان الشائعان إلى اليوم بين أهل مصر يبدو أنهما يرجعان إلى موروث الدولة الفاطمية، وقد ذكرهما صالح الورداني في كتابه «مصر الوجه الآخر.. فراعنة وعبيد» ص163 وذكر فيه أيضاً أمثالاً شعبية أخرى رائجة، وهي بالأصل من الأمثال الشيعية، ومنها قول الرجل لمن يريد تحقيره أو التشكيك في رجولته: «الله الله يا عمر! سي عمر»!

والطريف أن بعض المشايخ والدعاة البكريين المصريين يستخدمون بعض هذه الأمثال عن حماقة وجهل بما تنطوي عليه من توهين كبرائهم كعائشة! ففي تعليقه على سفر الداعية «المتعصرن» عمرو خالد إلى لندن للدراسة الدينية الأكاديمية قال الشيخ السلفي المعاصر يوسف البدري مستصغراً شأنه ومتنبئاً بخيبته: «تخيّل معي أن عمرو خالد يذهب لكي يدرس الإسلام في إنجلترا! يا خيبة الأمل راكبة جمل»! راجع جريدة (المصريون) بتاريخ 3 يوليو 2009 والمقال لسليم عزوز.

علما أن يوسف البدري هذا صاحب فضيحة شهيرة وثّقتها وسائل الإعلام المصرية مرئياً حيث اجتمع بفتاتيْن في بيته على أساس أن يرقّيهما رقية شرعية طالباً مبلغ أربعمئة جنيه مصري منهما نصباً واحتيالاً! ويا خيبة الأمل راكبة جمل!

شاباً صغيراً ما زال يقرأ على المشايخ ، وفيها النقض على دعوى التوبة بأنها رواية، فيما حرب أهل الجمل دراية، ولا توجب الرواية ما توجبه الدراية! أي أن لنا أن نبقى على موقفنا المناهض لعائشة وطلحة والزبير لأنهم بغوا على إمام الحق وحاربوه و إن زعم زاعم أو روى راوٍ أنهم قد تابوا، فتلك مجرّد رواية لا تفيد إلا الظن، أما بغيهم وخروجهم فدراية تورّث القطع واليقين.

روى ابن ادريس أن أبا ياسر شيخ المفيد قال له: «لِمَ لا تقرأ على علي بن عيسى الرماني الكلام وتستفيد منه؟ فقال: ما أعرفه ولا لي به أُنس، فأرسل معي من يدلّني عليه. قال المفيد: ففعل ذلك وأرسل معي من أوصلني إليه، فدخلتُ عليه والمجلس غاصٌّ بأهله، وقعدتُ حتى انتهى بي المجلس، فكلّما خفَّ الناس قَرُبتُ منه. فدخل عليه داخل فقال: بالباب إنسان يؤثر الحضور مجلسك وهو من أهل البصرة. فقال: هو من أهل العلم؟ فقال غلامه: لا أعلم إلا أنه يؤثر الحضور مجلسك. فأذِنَ له فدخل عليه، فأكرمه وطال الحديث بينهما، فقال الرجل لعلي بن عيسى: ما تقول في يوم الغدير والغار؟ فقال: أما خبر الغار فدراية، وأما خبر الغدير

فرواية، والرواية ما توجب ما توجبه الدراية.[١] قال: وانصرف البصري ولم يحر خطاباً يورد إليه. قال المفيد رضي الله عنه: قلتُ: أيها الشيخ مسألة. فقال: هاتِ مسألتك. فقلت: ما تقول فيمن قاتل الإمام العادل؟ فقال: يكون كافراً، ثم استدرك فقال: فاسقاً. فقلت: ما تقول في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟ فقال: إمام. قال: قلتُ: فما تقول في يوم الجمل وطلحة والزبير؟ فقال: تابا. فقلتُ: أما خبر الجمل فدراية وأما خبر التوبة فرواية! فقال لي: كنتَ حاضراً وقد سألني البصري؟ فقلت: نعم؛ رواية برواية ودراية بدراية! فقال: بمن تُعرف وعلى مَن تقرأ؟ فقلتُ: أُعرف بابن المعلّم وأقرأ على الشيخ أبي عبد الله الجعل. فقال: موضعك. ودخل منزله وخرج ومعه رقعة قد كتبها وألصقها وقال لي: أوصل هذه الرقعة إلى أبي عبد الله. فجئتُ بها إليه فقرأها ولم يزل يضحك بينه وبين

---

(١) لا يخفى أن هذه مغالطة من الرماني فإن خبر الغدير دراية لأنه متواتر في أعلى درجات التواتر، ثم إن خبر الغار لا يوجب فضيلة ولا منزلة لابن أبي قحافة بل على العكس كما سبق بيانه في الفصل الأول من كتاب الفاحشة، فراجع.

نفسه! ثم قال: أيش جرى لك في مجلسه فقد وصّاني بك ولقّبك بالمفيد؟ فذكرتُ له المجلس بقصّته، فتبسّم». [١]

(١) السرائر لابن إدريس الحلي ج 3 ص648، ومنه يظهر أن لقب المفيد لشيخنا **محمد بن محمد النعمان** (رضوان الله تعالى عليه) جاء من قبل أهل الخلاف أولاً، و إلا فإنه كان معروفاً في بغداد بابن المعلّم.

لولا عائشة لفتح الإسلام العالم أجمع !

إن التمرّد الذي قادته عائشة ضد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان أول حرب أهلية حقيقية بين المسلمين، شقّت بها عائشة عصا الطاعة، وفرّقت بها بين الأمة، فإن الأمة ما كادت تجتمع بعد فتنة مقتل عثمان على خليفة واحد يلمّ شعثها حتى فتقت عائشة بخروجها إلى البصرة فتقاً أعادت به الأمة إلى الفتنة والتشتّت من جديد.

وما وضعت تلك الحرب اللعينة أوزارها إلا وخلّفت أحقاداً في الصدور لا تهدأ، ونيران ثأر في النفوس لا تطفأ، وأغرت الطلقاء وأبناء الطلقاء وأهل النفاق والشقاق بتكرار البغي والتمرّد، كما أطمعت كل ذا مأرب في السلطة والإمرة بالخروج وانتزاع الخلافة بالقوة، ومن هنا سنّت

عائشة سنة الحروب الأهلية والانقلابات التي جعلت الخلافة كرة تتداولها الأقوام حتى غدا الحكم إلى يومنا هذا لمن غلب! وجوّز ذلك فقهاء العامة حيث جعلوا الخلافة بالغَلَبة شرعية سائغة!

إن حرب الجمل هي التي ولّدت جميع الحروب التي تلتها في ما بين أمة الإسلام، فهي التي أفضت إلى حرب صفين والنهروان وكربلاء وغيرهنّ، بل هي التي أفضت إلى كل حرب أُتيت منها هذه الأمة المنكوبة إلى اليوم، لأن هذه المآسي والكوارث إنما ترجع إلى ذلك اليوم الذي أوهنت فيه عائشة هذه الأمة وجعلتها تنقسم على نفسها إلى الأبد، فلو أن عائشة اتقّت الله وظلّت حبيس بيتها لصَلُح حال الناس ولتوطّدت أركان الخلافة ولعادت إليها قوتها وهيبتها بما لا يدع أحداً ينزع إلى شقّ عصاها أو التمرّد عليها، حتى معاوية؛ إنْ لم تفعل عائشة ما فعلت لوجد نفسه مضطراً إلى النزول على حكم أمير المؤمنين عليه السلام إذ لن يجد له ولأهل الشام قِبَلٌ بجماعة المسلمين، غير أنه بعد حرب الجمل تشجّع وتقوّى لأن الأمير عليه السلام فقد بعض من كان يتقوّى بهم، وتخاذل عنه آخرون للإحن والحزازات، فلم يبقَ له إلا الذين حارب بهم من قبلُ وهم أنفسهم

منهكون، وفيهم أهل الشقاق كالخوارج الذين لا بطاعته يتعبّدون ولا بأمره يأتمرون.

قال العلامة شرف الدين في وصف تداعيات ما ارتكبته عائشة لعنها الله: «وما زالت تستفزّ حميّتهم حتى عُقِرَ الجمل بعد أن قُتِلَ على خطامه أربعون رجلاً، وكانت الهزيمة بإذن الله. ولولا عناية أمير المؤمنين عليه السلام ساعتئذ في حفظها ووقوفه بنفسه على صونها لكان ما كان مما أعاذها الله منه في هذه الفتنة العمياء التي شقّت عصا المسلمين إلى يوم الدين، وعلى أسسها كانت صفين والنهروان ومأساة كربلاء وما بعدها حتى نكبة فلسطين في عصرنا هذا»![1]

نعم؛ إن نكبة فلسطين ما كانت لتقع لولا أن الأمة كانت ضعيفة آنذاك، وضعفها ناشئ من ضعف سلطتها وقيادتها التي كانت بيد آل عثمان الأتراك فأزاحهم الاستعمار، وآل عثمان ما كانوا ليتولّوا على هذه الأمة لولا أن غلبوا آل العباس، وآل العباس ما كانوا ليتولّوا لولا أن غلبوا آل أمية، وآل أمية ما كانوا ليتولّوا لولا أن غلب رأسهم معاوية، ومعاوية

---

(١) النص والاجتهاد لعبد الحسين شرف الدين ص449.

لم يكن ليخرج لولا أن خرجت عائشة أولاً! فنكبة فلسطين ترجع أسبابها بالأصل إلى عائشة!

وحين خرجت عائشة على الخليفة الشرعي وضعضعت حال هذه الأمة؛ قام ناعي الإسلام فنعاه، فإن المسلمين بدلاً من أن يتحّدوا خلف قائدهم لنشر دينهم وفتح البلدان؛ انشغلوا بحروبهم الأهلية الداخلية التي مزّقتهم وعطّلت ما ينبغي أن ينصرفوا إليه من الجهاد في سبيل الله تعالى ونشر الإسلام في العالم.

وهاكَ شهادة أحد المفكرين الغربيين وهو هربرت جورج ولز[١] التي نقلها محمود أبو رية قائلاً: «وقال الفيلسوف الإنجليزي المشهور ولز الذي يُعدّ في طليعة مفكري هذا العصر في كتابه (تجربة في التاريخ العام

(١) H. G. Wells مفكر بريطاني شهير وُلد سنة 1866 وتوفي سنة 1949 حسب التقويم النصراني، له مؤلفات عدّة من بينها (تجربة في التاريخ العام) وفيه تصريحات في الثناء على إنسانية الرسول الأعظم ﷺ وعدالته وقيادته الفذة، ولطالما استدل بتصريحاته المسلمون، ومن جملتها قوله عن دعوة النبي ﷺ : «إنها أسست في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم، وإنها لتنفخ في الناس روح الكرم والسماحة، كما أنها إنسانية السمة ممكنة التنفيذ، فإنها خلقت جماعة إنسانية يقل ما فيها مما يغمر الدنيا من قسوة وظلم اجتماعي، عما في أي جماعة أخرى سبقتها. لقد مُنح العرب ثقافة جديدة، وأقاموا عقيدة لا تزال إلى اليوم من أعظم القوى الحيوية في العالم، أما الرجل الذي أشعل ذلك القبس العربي، فهو محمد».

- في مبحث الإسلام) عن موقف عائشة من الحرب الداخلية ما ترجمته: إن الإسلام كاد أن يفتح العالم أجمع لو بقى سائراً سيرته الأولى ولم تنشب في وسطه من أول الأمر الحرب الداخلية، فقد كان همٌّ عائشة أن تقهر عليّاً قبل كل شيء»![1]

أجل؛ هذا كان همّ عائشة، ولولا الذي ارتكبته من حرب أهلية داخلية هي الأولى والأفظع؛ لفتح الإسلامُ العالمَ أجمع! ولعمّ نوره كل الآفاق! فعائشة سببٌ في حرمان أجيال وأجيال من نور الإسلام! وسببٌ في تأخر هذه الأمة وضعفها! وسببٌ في انحراف مسيرها وتعبّدها بدين مكذوب على رسول الله ﷺ أُخِذ شطره منها! فإنا لله و إنا إليه راجعون.

---

(١) شيخ المضيرة لمحمود أبو رية ص173.

أم النواصب!

يُعرَّف الناصبي بالتعريف الذي ذكره ابن منظور في لسان العرب حيث قال: «النواصب: قوم يتديّنون ببَغضة علي عليه السلام».[١] وغير خافٍ أن من كواشف هذا البغض معاداته عليه السلام ومحاربته و إيذاؤه واستحلال لعنه وسبّه والقدح فيه وفي أهل بيته عليهم السلام .

والذي يُطلب في هذا المطلب هو تعداد ما يُظهر صدق هذه الصفة على عائشة التي لم يعرف التاريخ امرأة أشدّ نُصباً وعداءً وحقداً على آل محمد عليهم السلام منها! فصارت إثر ذلك جديرة بأن تُكنّى بأم النواصب! وكيف لا وهي مرجعهم عبر الزمان إذ اتخذوها رمزاً وشعاراً لحرب شيعة

(١) لسان العرب لابن منظور - مادة نصب.

علي عليه السلام كما مرّ عليك! بل كيف لا وهي التي يقول عنها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله : «ما تدع عائشة عداوتنا أهل البيت»!(١)

ولا يتوهمنَّ متوهِّمٌ أن ما كان من تنافر بين أهل البيت عليهم السلام وعائشة يعود إلى واقعة الجمل، وأنه لولاها لما وقع هذا التنافر أو التباعد في ما بعد، فإن أصحاب هذا الوهم لم يتلفتوا إلى جذور هذا التنافر ودواعيه التي سبقت يوم الجمل بكثير، وتُنبئ عن روح عدائية شخصية كانت تحرّك عائشة ضد أهل بيت النبوة عليهم السلام ، وإن تنطّع متنطّعو أهل الخلاف في نفي ذلك والتهوين مما جرى بين الطرفين اعتماداً على قول عائشة: «إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها! وإنه عندي على معتبتي من الأخيار»!(٢)

إن هذا الذي اعتذرت به عائشة بعد انكسار شوكتها في البصرة واضطرارها إلى النزول على حكم أمير المؤمنين عليه السلام ؛ إن صحّ. فهو مما لا

(١) الصراط المستقيم للنباطي العاملي ج 3 ص167 عن سعيد بن المسيب عن وهب.

(٢) تاريخ الطبري ج 3 ص547 وأضافوا له تقريراً مكذوباً من علي عليه السلام أن الأمر لم يكن إلا هذا! وينقضه ما يأتي من أخبار وأحاديث فيها تصريح علي عليه السلام بأن عائشة كانت ذات ضغينة عليه من قديم، وتصريح عائشة بأنها لا تحبّه أبداً! وسجودها لله شكراً حين بلغها نبأ مقتله!

يقبله عقل صبي له حظ من إدراك! فأين قيادة الجيوش والإفتاء بالقتل والتحريض على الحرب وسفك الدماء لأسبوع كامل.. مما يكون فقط «ما بين المرأة وأحمائها»! وهل رأى الناس امرأة تصنع هذا مع أحمائها ثم أعذروها من هذا الباب؟! كلا! بل يرونها خرجت عما يكون «بين المرأة وأحمائها» إلى ما يكون «بين الأعداء الألداء»! وبعبارة أخرى؛ إن العرف يستوعب أن يقع بين المرأة وأحمائها شيء من التخاصم أو التنازع ضمن أُطُرٍ محدودة، أما أن تتجاوز المرأة الحدود فترفع سيفاً على أحمائها فإن العُرف لا يراها حينذاك إلا مجرمة جانية كحال سائر المجرمين الجناة، بل إن جنايتها أعظم وأبشع لكونها تقع على أحمائها وذوي الصلة بها، هذا إن رفعت سيفاً، فكيف بالتي تقود جيشاً وتُجري أنهاراً من الدماء؟! أَفهل يقول عاقلٍ عندها: إن ما كان منها ليس إلا من قبيل ما يكون بين المرأة وأحمائها؟!

كلا! إن ما كان في صدر عائشة على علي وأهل البيت عليهم السلام أعظم من ذلك، إنها ضغائن وأحقاد منقطعة النظير، كانت تلتهب في صدر عائشة كالتهاب النار في قِدْر الحدّاد! وهذا عين ما عبّر عنه مولانا أمير المؤمنين

(صلوات الله عليه) حين خاطب أهل البصرة فقال: «وأما عائشة فأدركها رأي النساء، وضِغْنٌ غلا في صدرها كَمِرجَلِ القَيْن! ولو دُعِيَت لتنال من غيري ما أَتَتْ إليَّ لم تفعل! ولها بعد حُرمتها الأولى، والحساب على الله تعالى».[١]

إن إمير المؤمنين عليه السلام في كلامه هذا كشف عن أن ما أقدمت عليه عائشة تجاهه لم يكن راجعاً إلى ما يكون «بين المرأة وأحمائها» بل كان راجعاً إلى «ضِغْن غلا في صدرها كَمِرجَلِ القَيْن»! أي حقدٍ قديم شديد كان يغلي في صدرها كما يغلي قِدر الحدّاد! فالمِرجَل هو القِدْر والقَيْن هو الحدّاد. ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام يؤكد في كلامه أن حقد عائشة كان ينصبّ عليه هو بالذات، فكان حقداً شخصياً، ولذا «لو دُعِيَت لتنال من غيري ما أَتَتْ إليَّ لم تفعل»! أي لو كان غير علي عليه السلام هو الخليفة لما أقدمت عائشة على سبّه والتحريض عليه وتجهيز الجيوش لقتاله، فإنها

(١) نهج البلاغة – الخطبة رقم: 156، ومن كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم.

كانت تحقد عليه حقداً شخصياً شديداً ولذا لم تتحمّل أن يصير خليفة حاكماً![١]

وهاكَ هذه الصور التي توقفك على أن عداء عائشة ونُصبها لعلي وآل النبوة عليهم السلام لم يكن وليد ماجرى في الجمل، ولا كان نتيجة انفعال لحظي أو جفوة عابرة مما يكون بين المرأة وأحمائها، بل كان حقداً متأصّلاً متجذّراً في نفسها من قديم، وله علله الظاهرة والباطنة، التي سيأتي بيان بعضٍ منها.

- الصورة الأولى: قد مرّ عليك في الفصل الثاني أن عائشة رفعت ذات مرة صوتها - بمنتهى الوقاحة - على رسول الله صلى الله عليه وآله في مشاجرة بينهما قائلةً: «والله لقد عرفتُ أن علياً أحبُّ إليك من أبي ومني»! الأمر الذي دفع أباها لأن يهوي إليها ليلطمها تأديباً.[٢]

وهذا يُنبئ عن أن عائشة كانت تنتفخ غيظاً من علي عليه السلام فتغار منه وتحسده ولا تطيق أن تكون له هذه المنزلة العليا عند رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو

(١) وأما قوله عليه السلام : «ولها بعد حُرمتها الأولى، والحساب على الله تعالى» فسيوافيك - إن شاء الله - الوجه فيه وردّ ما توهّمه بعضهم من أن لها حرمة من حرمة النبي صلى الله عليه وآله تمنع من القدح فيها. فترقّب.

(٢) راجع ص281 من كتاب الفاحشة.

كاشفٌ عن أنها كانت ترى في علي عليه السلام نداً لها ولأبيها، فمجرد محبة رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام وتفضيله إياه عليها وعلى أبيها كان قد أشعل قلبها حقداً عليه ونقمة على النبي صلى الله عليه وآله ، وذلك منذ أمد بعيد عن معركة الجمل التي وقعت في سنة ست وثلاثين، ومثل تلك السنون الطوال كفيلة بتأصيل حقدها هذا ومضاعفته حتى بلغ ذروته يوم البصرة، فما يُقال من أنه كان وليداً له هو وهم كبير.

- الصورة الثانية: كانت عائشة تكره حضور أمير المؤمنين عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وآله ، وحين يحضر كانت تتعمّد إهانته والتجاسر عليه بقبيح الكلام! وهو ما اضطر النبي صلى الله عليه وآله إلى أن يضربها على ظهرها!

روى ابن مردويه بسنده عن عبد الله قال: «دخل عليٌّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده عائشة، فجلس بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين عائشة. فقالت عائشة: ما كان لك مجلس غير فخذي! فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله على ظهرها فقال: مَهْ! لا تؤذيني في أخي، فإنه أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وقائد

الغرِّ المحجَّلين. يوم القيامة يقعد على الصراط، يُدخل أولياءه الجنة، ويُدخل أعداءه النار».[١]

وروى إبراهيم بن هلال الثقفي بسنده عن عبد الله بن الحارث عن علي عليه السلام: «أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده أبو بكر وعمر، فجلس بين رسول الله وعائشة، فقالت: ما وجدتَ لإستك مجلساً غير فخذي أو فخذ رسول الله؟! فقال صلى الله عليه وآله: مهلاً! لا تؤذيني في أخي، فإنه أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وأميرُ الغرِّ المحجَّلين. يوم القيامة يُقعده الله على الصراط، فيُدخل أولياءه الجنة وأعداءه النار».[٢]

هنا تظهر وقاحة عائشة وبذاءة منطقها ولسانها، فإن وجود رسول الله صلى الله عليه وآله لم يجعلها ترتدع تأدّباً عن أن تخاطب أخاه بقولها: «ما كان لك مجلس غير فخذي! ما وجدتَ لإستك مجلساً غير فخذي»! تريد أنه قد زاحمها في المكان والقرب من النبي صلى الله عليه وآله !

(١) أرجح المطالب لعبيد الله الحنفي اللآمرتسري ص16 عن ابن مردويه.

(٢) اليقين لابن طاووس ص195 عن الثقفي. ونحوه في شرح النهج لابن أبي الحديد ج 9 ص195 عن اللمعاني.

أين تجد امرأة ذات حياء وعفاف تتلفّظ بمثل هذه الألفاظ وتستخدم مثل هذا التعبير في محضر الرجال؟! ناهيك أن يكون ذلك في محضر سيد الأنبياء ﷺ ! إلا أنها الحميراء.. تطلق للسانها العنان فتسيل منه قبائح الألفاظ السوقية بلا حياء ولا أدب ولا احترام لوجود رسول الله ﷺ !

وموقفها هذا يرجع إلى بغضها لأمير المؤمنين عليه السلام لأنه ذو حظوة ومكانة خصيصة عند رسول الله ﷺ . لقد كانت تعضّ أناملها من الغيظ لأن النبي ﷺ كان يفضّل عليها علياً عليه السلام ويدنيه منه دونها، وما ذلك - لو كانت تعقل - إلا لأنها لم تكن أهلاً لمثل هذا القرب ولمثل هذه المنزلة، لخُبث نفسها وسوء أخلاقها وبذاءة لسانها، ولو أنها عالجت ذلك كلّه لحظيت عند النبي الخاتم ﷺ بالمنزلة والمكانة كما حظيت عنده خديجة وأم سلمة ومارية عليهن السلام.

لم تكن عائشة مستعدة للتخلي عن نفاقها وخُبث سريرتها وسوء أعمالها وبذاءة لسانها، ومع ذلك كله كانت تريد أن تحظى عند رسول الله ﷺ بالجاه الرفيع وأن يطلق يدها كملكة تتصرّف كيفما تشاء! وهذا هو الذي كانت تتمنّاه من زواجها به، كما كانت تتمنّى أن يكون أبوها

هو المفضّل عنده والمقرّب منه. بيد أنها وجدت أنها وأبوها أبعد ما يكونا عن النبي ﷺ ، وأنه يفضّل عليهما فاطمة وعليّاً عليهما السلام ، ويحبوهما بالمكارم والفضائل والمناقب وضروب الثناء، ويوصي الأمة بهما وبنسلهما، أما هي وأبوها فلا شيء لهما!

هذا ما جعلها تنفجر فتصرخ في وجه النبي ﷺ : «والله لقد عرفتُ أن عليّاً أحبُّ إليك من أبي ومني»! وهذا ما كان يجعلها تكاد تميّز من الغيظ حين ترى عليّاً عليه السلام يدخل فيأنس به النبي ﷺ ويُدنيه ويجعله أقرب مكاناً إليه منها ومن أبيها وصاحبه عمر، فلا تملك لتفريغ شحنة غيظها إلا أن تقول له بقصد الإهانة: «ما كان لك مجلس غير فخذي! ما وجدتَ لإستك مجلساً غير فخذي»!

وهذا أيضاً هو الذي كان يدفعها إلى الحيلولة دون دخول علي عليه السلام واجتماعه برسول الله ﷺ حين يكون في حجرتها، فكانت حين يطرق علي عليه السلام الباب تردّه بدعوى أن النبي ﷺ راقد أو على حاجة!

روى الطبرسي عن أبي عبد الله الصادق عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «كنت أنا ورسول الله ﷺ في المسجد بعد أن صلّى

الفجر، ثم نهض ونهضت معه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد أن يتّجه إلى موضع أعلمني بذلك، وكان إذا أبطأ في ذلك الموضع صِرْتُ إليه لأعرف خبره، لأنه لا يتصابر قلبي على فراقه ساعة واحدة، فقال لي: أنا متّجهٌ إلى بيت عائشة، فمضى صلى الله عليه وآله ومضيتُ إلى بيت فاطمة الزهراء عليها السلام ، فلم أزل مع الحسن والحسين فأنا وهي مسروران بهما، ثم إني نهضتُ وسرتُ إلى باب عائشة، فطرقتُ الباب فقالت: من هذا؟ فقلت لها: أنا علي. فقالت: إن النبيَّ راقد! فانصرفتُ، ثم قلتُ: النبيُّ صلى الله عليه وآله راقدٌ وعائشةُ في الدار! فرجعتُ وطرقتُ الباب، فقالت لي عائشة: من هذا؟ فقلتُ لها: أنا علي. فقالت: إن النبي على حاجة! فانثنيتُ مستحيياً من دقِّ الباب، ووجدتُ في صدري ما لا أستطيع عليه صبراً، فرجعتُ مسرعاً فدققتُ الباب دقّاً عنيفاً، فقالت لي عائشة: من هذا؟ فقلت: أنا علي. فسمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا عائشة! افتحي له الباب! ففتحتْ ودخلتُ، فقال لي: اقعد يا أبا الحسن أحدّثك بما أنا فيه أو تحدّثني بابطائك عنّي.

فقلتُ: يارسول الله حدّثني فإن حديثك أحسن. فقال: يا أبا الحسن؛ كنتُ في أمرٍ كتمته من ألمِ الجوع ، فلمّا دخلتُ بيت عائشة وأطلتُ القعود ليس

عندها شيء تأتي به؛ فمددتُ يدي وسألت الله القريب المجيب، فهبط عليَّ حبيبي جبرئيل عليه السلام ومعه هذا الطير، ووضع اصبعه على طائر بين يديه، فقال: إن الله عزّ وجل أوحى إليَّ أن آخذ هذا الطير وهو أطيب طعام في الجنة فآتيك به يا محمد. فحمدتُ الله عز وجل كثيراً، وعرج جبرئيل فرفعتُ يدي إلى السماء فقلت: اللهم يسِّر عبداً يحبك ويحبني يأكل معي من هذا الطير. فمكثتُ مليّاً فلمْ أَرَ أحداً يطرق الباب. فرفعتُ يدي ثم قلت: اللهم يسِّرْ عبداً يحبّك ويحبني وتحبّه وأحبّه يأكل معي من هذا الطير. فسمعتُ طرْقَ الباب وارتفاع صوتك، فقلتُ لعائشة: أدخلي عليّاً، فدخلتَ، فلم أزلْ حامداً لله حتى بلغتَ إليَّ إذ كنتَ تحبُّ الله وتحبني ويحبك الله وأحبك، فكُلْ يا علي. فلمّا أكلتُ أنا والنبي صلى الله عليه وآله الطائر، قال لي: يا علي حدِّثني. فقلتُ: يا رسول الله؛ لم أزلْ منذ فارقتك أنا وفاطمة والحسن والحسين مسرورين جميعاً، ثم نهضتُ أريدك فجئتُ فطرقتُ الباب فقالت لي عائشة: من هذا؟ فقلت: أنا علي. فقالت: إن النبي راقد! فانصرفتُ، فلمّا أن صرت إلى بعض الطريق الذي سلكته رجعت فقلتُ: النبي صلى الله عليه وآله راقدٌ وعائشة في الدار! لا يكون هذا! فجئتُ فطرقتُ البابَ فقالت لي: من هذا؟ فقلتُ لها: أنا علي. فقالت: إن النبي على حاجة!

فانصرفتُ مستحيياً، فلمّا انتهيتُ إلى الموضع الذي رجعت منه أول مرّة وجدتُ في قلبي ما لا أستطيع عليه صبراً، وقلتُ: النبي ﷺ على حاجة وعائشة في الدار! فرجعتُ فدققتُ الباب الدقَّ الذي سمعته، فسمعتُك يا رسول الله وأنت تقول لها: أدخلي عليّاً. فقال النبي ﷺ : أبى الله الا أن يكون الأمر هكذا. يا حميراء! ما حملكِ على هذا؟ قالت: يا رسول الله؛ اشتهيتُ أن يكون أبي يأكل من هذا الطير! فقال لها: ما هو بأول ضِغْنٍ بينكِ وبين علي»![١]

ودقِّق في قوله ﷺ : «ما هو بأول ضِغْنٍ بينكِ وبين علي» فإنه يشير إلى أنه قد سبق ذلك ضغائن وضغائن، فقد كانت الحميراء حقودة على أبي الحسن عليه السلام إلى أقصى حد!

- الصورة الثالثة: من شدة بغض عائشة لأمير المؤمنين عليه السلام لم تكن تطيق حتى ذكر اسمه الشريف! فكانت حين تحدّث بحديث عن رسول الله ﷺ ولعلي عليه السلام فيه فضيلة أو منقبة أو ذكر بخير؛ تحجب

(١) الاحتجاج للطبرسي ج 1 ص292 وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 38 ص348.

اسمه وتستبدله بقولها: «رجل»! وما ذلك إلا لأنها «لا تطيب له نفساً بخير»!

روى البخاري ومسلم والنسائي: «عن عَمْرَة بنت عبد الرحمن - وكانت في حَجر عائشة زوج النبي ﷺ - عن عائشة: أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سَريّة، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقُل هو الله أحد، فلمّا رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: سلوه لأي شيءٍ يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحبُّ أن أقرأ بها. فقال النبي ﷺ : أخبروه أن الله يحبه».[١]

إن هذا الحديث ألقته عائشة إلى بنت كانت تربّيها في حجرها، وصارت تلك البنت عند المخالفين في ما بعد فقيهة ذات شأن، اسمها عمرة بنت عبد الرحمن النجارية. ولم تُرِد عائشة حين حدّثت ربيبتها هذه بهذا الحديث أن تخبرها عن اسم الرجل المذكور فيه، لأنه يثبت له فضيلة أن الله تعالى يحبّه، وذلك ما جاء في ذيل الحديث عن النبي ﷺ : «أخبروه أن

---

(١) صحيح البخاري ج 8 ص164 وصحيح مسلم ج 2 ص200 وسنن النسائي ج 1 ص341.

الله يحـبه». لـذا تـعمّدت عـائـشة أن تحـجب الاسـم وتـقول: «أن النبي صلى الله عليه وآله بعث رجلاً على سرية».. رجلاً وكفى!

وهذا الرجل المظلوم الذي حاولت عائشة طمس فضيلته بحجب اسمه ما هو إلا علي ابن أبي طالب عليه السلام ! فإن غيرها حدّث بالحديث نفسه وكان أميناً في نقله فسمّاه وأثبت فضيلته، وهذا المحدّث هو صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله عمران بن حصين الخزاعي رضوان الله تعالى عليه.

روى الصدوق عن عمران بن حصين: «أن النبي صلى الله عليه وآله بعث سرية واستعمل عليها علياً عليه السلام ، فلمّا رجعوا سألهم فقالوا: كل خير؛ غير أنه قرأ بنا في كل صلاة بقُلْ هو الله أحد. فقال: يا علي؛ لمَ فعلتَ هذا؟ فقال: لحبّي لقُلْ هو الله أحد. فقال النبي صلى الله عليه وآله : ما أحببتَها حتى أحبّك الله عزّ وجل».[١]

ولو أن أحداً أعرض عن هذا الحديث الأخير بدعوى أنه مروي من طرق الشيعة؛ وفتّش في مصادر مخالفيهم عن قرينة يمكن أن يتعرّف بها على الرجل المذكور في القصة، لما عداه الإنصاف عن أن يقول: إنه علي بن

---

(١) التوحيد للصدوق ص94 وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 82 ص36.

أبي طالب لا سواه، ذلك لأنه الذي جاء في أحاديث رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى «يحبّه»، فيكون ذلك قرينة وشاهداً على أنه الرجل الذي أبهمته عائشة. ومن تلك الأحاديث ما رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد بن حنبل وغيرهم، واللفظ للأول بسنده عن سهل بن سعد قال: «قال النبي ﷺ يوم خيبر: لأُعطِيَنَّ الراية غداً رجلاً يُفتح على يديه، يحبُّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسولُه. فبات الناس ليلتهم أيُّهُم يُعطى، فغدوا كلُّهم يرجوه، فقال: أين علي؟ فقيل: يشتكي عينيه. فبصق في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع . فأعطاه فقال: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: انفُذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعُهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النِّعَمْ».[١]

ومنها ما رواه الترمذي في قصة وشاية خالد بن الوليد بعليذحيث روى عن البراء بن عازب: «أن النبي ﷺ بعث جيشين وأمَّرَ على أحدهما علي ابن أبي طالب وعلى الآخر خالد بن الوليد، وقال: إذا كان القتال فعليٌّ.

---

(١) صحيح البخاري ج 4 ص20 وصحيح مسلم ج 7 ص121 وسنن الترمذي ج 5 ص302 ومسند أحمد ابن حنبل ج 5 ص333 وغيرها كثير.

قال: فافتتح عليٌّ حصناً فأخذ منه جارية، فكتب معي خالد إلى النبي صلى الله عليه وآله يشي به! فقدمتُ على النبي صلى الله عليه وآله فقرأ الكتاب فتغيّر لونه! ثم قال: ما ترى في رجلٍ يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله؟ قلتُ: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، و إنما أنا رسول! فسكت».[١]

ومنها ما رواه ابن ماجة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «كان أبو ليلى يسمر مع علي، فكان يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف، فقلنا: لو سألته؟[٢] فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث إليَّ وأنا أرمدُ العين يوم خيبر، قلتُ: يا رسول الله إني أرمدُ العين! فتفل في عيني ثم قال: اللهم أذهب عنه الحرَّ والبرد. قال: فما وجدتُ حرّاً ولا برداً بعد يومئذ. وقال: لأبعثنَّ رجلاً يحبُّ الله ورسولَه ويحبُّه الله ورسولُه، ليس بفرّار. فتشرَّف له الناس فبعث إلى عليٍّ فأعطاه إياه».[٣]

(١) سنن الترمذي ج 3 ص124.

(٢) أي لو سألت علياً عليه السلام أنه لماذا يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف؟ وكيف لا يصيبه إثر ذلك الحر والبرد؟

(٣) سنن ابن ماجة ج 1 ص44.

ومنها ما رواه مسلم والترمذي وغيرهما في قصة امتناع سعد بن أبي وقاص من الامتثال لأمر معاوية في سبّ علي عليه السلام حيث رُوي عن عامر بن سعد: «أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبَّ أبا تراب؟ فقال: أمّا ما ذكرتَ ثلاثاً قالهنّ رسول الله صلى الله عليه وآله فلن أسبّه، لأَن تكون لي واحدة منهنّ أحبُّ إليَّ من حُمْرِ النَّعَمْ. سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له خَلَّفه في بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله؛ خلَّفتني مع النساء والصبيان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي؟ وسمعته يقول يوم خيبر: لأُعطيَنَّ الراية رجلاً يحبُّ الله ورسولَه ويحبُّهُ اللهُ ورسولُه. قال: فتطاولنا لها فقال: ادعوا لي عليّاً. فأُتيَ به أرمَدَ فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه. ولمّا نزلت هذه الآية: فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ.. الآية؛ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي».[١]

---

(١) صحيح مسلم ج 7 ص120 وسنن الترمذي ج 5 ص302 وغيرهما كثير.

فهذه الأحاديث التي تنصّ على أن علياًّ عليه السلام «يحبّه الله ورسوله» هي التي تجانس ذلك الحديث الذي فيه النصّ: «أخبروه أن الله يحبه»، فلا محيص من القطع بأنه علي عليه السلام لا غير، ومن يكون سواه الذي تتحرّج عائشة من ذكر اسمه وتبغي إطفاء نوره؟! وقد قال تعالى: «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ».(١)

و إنْ أردتَ شاهداً أصرح من هذا في أن عائشة لم تكن تطيق ذكر أمير المؤمنين عليه السلام بخير؛ فإليك هذا الشاهد.

روى البخاري ومسلم بسندهما عن عبيد الله بن عبد الله قال: «قالت عائشة: لما ثَقُل النبي صلى الله عليه وآله واشتدّ وجعُه؛ استأذن أزواجه أن يُمَرَّضَ في بيتي، فأَذِنَّ له، فخرج بين رَجُلَيْن تَخُطُّ رِجلاه الأرض، وكان بين العباس ورجلٍ آخر! قال عبيد الله: فذكرتُ ذلك لابن عباس ما قالت عائشة، فقال لي: وهل تدري مَن الرجل الذي لم تُسَمِّ عائشة؟ قلتُ: لا. قال: هو علي بن أبي طالب»!(٢)

---

(١) التوبة: 32

(٢) صحيح البخاري ج 1 ص162 وصحيح مسلم ج 2 ص22.

استعملت عائشة الأسلوب نفسه، فأبهمت اسم علي عليه السلام في هذا الحديث قائلةً: «وكان بين العباس ورجلٍ آخر»! وحين توجّه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود إلى عبد الله بن عباس وحدّثه بالحديث؛ كشف له الأخير أن الرجل الآخر ليس إلا علي ابن أبي طالب عليهما السلام !

ولئن خانت عائشة الأمانة ههنا فأبهمت اسم الرجل الآخر؛ فقد خانها أيضاً البخاري ومسلم إذ إنهما أوقفا تدوين الحديث في صحيحيهما عند حدّ قول ابن عباس: «هو علي بن أبي طالب» ولم يُتِمّاه ليُعرف تفسير ابن عباس لما فعلته عائشة! وما ذلك إلا لأن في تفسيره هذا إدانة صريحة لعائشة في أنها كانت تبغض عليّاً عليه السلام ولا تطيب نفسها له بخير!

فما هي تتمة الحديث وأين نجدها؟ والجواب أنّا نجدها في شرح صحيح البخاري لابن حجر وفي غيره من المصادر التي روت تمام هذا الحديث دون بتر ذيله.

قال ابن حجر في شرح هذا الحديث: «زاد الإسماعيلي من رواية عبد الرزاق عن مَعْمَر: ولكنّ عائشة لا تطيب نفساً له بخير! ولابن إسحاق في المغازي عن الزهري: ولكنها لا تقدر على أن تذكره بخير»![1]

وروى الطبري بسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت: «رجع رسول الله ﷺ من البقيع فوجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي وأنا أقول: وا رأساه! قال: بل أنا والله يا عائشة وا رأساه! ثم قال: ما ضرَّكِ لو متِّ قبلي فقمتُ عليكِ وكفّنتكِ وصلّيتُ عليكِ ودفنتكِ؟ فقلتُ: والله لكأني بك لو فعلتَ ذلك رجعتَ إلى بيتي فأعرستَ ببعض نسائك! قالت: فتبسّمَ رسول الله ﷺ وتنامَ به وجعه وهو يدور على نسائه، حتى استعزّ به وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه فاستأذنهنّ أن يُمَرَّضَ في بيتي، فأَذِنَّ له، فخرج رسول الله ﷺ بين رَجُلَيْن من أهله أحدهما الفضل بن العباس ورجلٌ آخر! تخطُّ قدماه الأرض، عاصباً رأسه، حتى دخل بيتي. قال عبيد الله: فحدّثتُ هذا الحديث عنها عبد الله بن عباس فقال: هل تدري مَن

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج 2 ص131، وأتبعه بردّ على مَن أنكر هذه الزيادة فقال: «ولم يقف الكرماني على هذه الزيادة فعبّر عنها بعبارة شنيعة، وفي هذا ردّ على من تنطّع فقال: لا يجوز أن يُظَنَّ ذلك بعائشة»!

الرجل؟ قلتُ: لا. قال: علي بن أبي طالب! ولكنها كانت لا تقدر على أن تذكره بخير وهي تستطيع »![1]

وروى أحمد بن حنبل بسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت: «أول ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة، فاستأذن أزواجه أن يُمَرَّضَ في بيتها، فأَذِنَّ له. قالت: فخرج ويدٌ له على الفضل بن عباس ويدٌ له على رجلٍ آخر! وهو يخطُّ برِجليْه في الأرض. قال عُبيد الله: فحدَّثتُ به ابن عباس فقال: أَتدرونَ مَن الرجل الآخر الذي لم تُسَمِّ عائشة؟ هو علي! ولكن عائشة لا تطيب له نفساً»![2]

فها أنتَ ترى أن الحديث هو الحديث، والراوي هو الراوي، والمروي عنه هو المروي عنه، والمراجَع هو المراجَع .. ومع ذلك يتعمّد البخاري ومسلم ومن لفّ لفّهما بتر ذيل الحديث حتى لا تقع أعين الناس على قول ابن عباس في عائشة أنها كانت لا تطيب نفساً لعلي بخير! فيعرف

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص232.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج 6 ص228 وقد نصّ الألباني على صحّته في إرواء الغليل ج 1 ص178.

الناس حقيقة أن هذه المرأة كانت ناصبية تبغض وصي رسول الله ﷺ وتتحاشى ذكر اسمه الشريف وتتعمّد دفن فضائله ومناقبه!

إنها لم تكن تقدر على أن تذكر علياً عليه السلام بخير، ولم تكن تريد له الخير، ولا تطيب نفسها له بخير، و إنما الذي تقدر عليه وترمي به عليه هو الشرّ وحده!

- الصورة الرابعة: معلومٌ أن علياً عليه السلام كان مختصّاً بتلقي علوم الوحي من رسول الله ﷺ بأمر الله تعالى، فإن الله تعالى هو الذي أمر نبيّه بأن يخصّ علياً بذلك، حيث قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: «إن الله أمرني أن أعلّمك ولا أجفوك، وأن أدنيك ولا أقصيك، فحقٌّ عليَّ أن أعلّمك، وحقٌّ عليكَ أن تعي».[١]

وهكذا كان النبي والوصي (عليهما وآلهما السلام) يقضيان أوقاتاً خاصة يجتمعان فيها لهذا الغرض، حيث لا بدّ للنبي من أن ينقل ما لديه من علم وحكمة إلى الوصي، حتى قال أمير المؤمنين عليه السلام: «علّمني رسول

---

(١) مسند البزار ج 5 ص291 وتفسير الطبري ج 29 ص69 وذكر أنه نزلت بعدئذ: «وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ». الحاقة: 13.

الله ﷺ ألف باب من العلم، واستنبطتُ من كل باب ألف باب»![1] ثم وقف النبي ﷺ معلناً: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فيأتِ الباب».[2]

إلا أن عائشة كانت تستشيط غضباً من إدناء رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام وكثرة اختلائه به ومناجاته وهما على هذه الحال، ولم تكن تتحمّل أن يكون علي عليه السلام الذي تبغضه وتمقته هو المختصّ بعلوم النبوة والرسالة، إذ كانت تريد تلك الحظوة وذلك الاختصاص لأبيها دونه!

لذا كانت الحميراء - ما إن ترى النبي والوصي (عليهما وآلهما السلام) يتناجيان معاً - تتعمّد أن تفسد اجتماعهما بأن تحشر أنفها وسطهما وتقطع حديثهما حتى لا يظل علي عليه السلام متلقّياً لأسرار العلوم من رسول الله ﷺ .

وفي إحدى تصرّفاتها الطائشة خرجت الحميراء من البيت ودخلت بين النبي والوصي (عليهما وآلهما السلام) بينما كانا يسيران في الطريق! الأمر الذي أغضب النبي ﷺ .

---

(١) تفسير الرازي ج 8 ص21 وغيره في معناه كثير.

(٢) مستدرك الحاكم ج 3 ص126 وغيره كثير.

روى اللمعاني حديث مسايرة رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام في بعض الطريق، فقال: «إنه سايره يوماً وأطال مناجاته، فجاءت (عائشة) وهي سائرة خلفهما حتى دخلت بينهما! وقالت: فيمَ أنتما فقد أطلتما! فيُقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله غضب ذلك اليوم»![١]

ولا يخفى أن خروج المرأة من بيتها ودخولها بهذه الطريقة الفجّة بين زوجها ورجل آخر يناجيه في الطريق.. هو أمر لا يدلّ إلا على قلة حيائها ودناءة أخلاقها! ولم يكن باعثها على فعله إلا كرهها لعلي بن أبي طالب عليهما السلام ! فلو أن النبي صلى الله عليه وآله كان يناجي غيره لما حرّكت ساكناً!

- الصورة الخامسة: ما إن استشهد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله واستولى أبو بكر على الحكم حتى استطالت عائشة وتفرعنت على علي والزهراء صلوات الله عليهما! فكانت تفرغ عليهما دلاء الحقد والشتيمة والتشفّي بعدما أضحت ابنة سلطان ذلك الوقت الذي بدأ حكمه بظلم وقهر بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله ! فكان ذلك مثار سرور عائشة أن غُصبت الزهراء عليها السلام إرثها!

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 9 ص195 عن اللمعاني.

روى اللمعاني في توصيف الحالة التي كانت بين علي وفاطمة عليهما السلام من جانب وعائشة من جانب آخر: «وكان يبلغه وفاطمة عنها كل ما يكرهانه منذ مات رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن توفيت فاطمة! وهما صابران على مضض ورمض.(١) واستظهرت بولاية أبيها، واستطالت وعظم شأنها، وانخذل علي وفاطمة وقُهِرا، وأُخِذت فدك، وخرجت فاطمة تجادل في ذلك مراراً فلم تظفر بشيء، وفي ذلك تبلغها النساء والداخلات والخارجات عن عائشة كل كلام يسوؤها»!(٢)

وهكذا استمرّت الحميراء تؤذي الزهراء (صلوات الله عليها) بكل كلام يسوؤها إلى آخر أيام حياتها، ولمّا استشهدت مظلومة مقهورة كان ذلك سبباً لفرحة غمرت عائشة حتى أخمص قدميها! فلم تشترك في العزاء متصنّعة المرض، ثم بانت حقيقة مشاعرها بأن بلغ عليّاً عليه السلام عنها كلام يدلّ على السرور!

---

(١) الرمض: شدة الغيظ.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 9 ص198 عن اللمعاني.

قال اللمعاني: «ثم ماتت فاطمة، فجاء نساء رسول الله صلى الله عليه وآله كلهنَّ إلى بني هاشم في العزاء إلا عائشة! فإنها لم تأتِ وأظهرت مرضاً، ونُقِل إلى علي عليه السلام عنها كلام يدل على السرور»![١]

هذه هي عائشة! امرأة ليس لها إحساس كسائر بني البشر! امرأة قلبها من حجر! تُسَرُّ وتفرح باستشهاد سيدة نساء العالمين (صلوات الله عليها) كما سُرَّت وفرحت من قبل حين مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وأبطنت شماتة و إن أظهرت كآبة! ولم يكن سرورها وفرحها آنذاك إلا لأن إبراهيم عليه السلام كان قرة عين رسول الله وعلي وفاطمة ومارية صلوات الله عليهم!

قال اللمعاني في بيان دور علي عليه السلام في تبرئة مارية عليها السلام أن ذلك «مما كان يوغر صدر عائشة عليه ويؤكد ما في نفسها منه! ثم مات إبراهيم فأبطنت شماتة و إن أظهرت كآبة! ووجم علي عليه السلام من ذلك وكذلك فاطمة»![٢]

أ فهل تجد نظيراً لامرأة حاقدة خسيسة مثل هذه؟!

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 9 ص198 عن اللمعاني.

(٢) المصدر نفسه ج 9 ص195.

• الصورة السادسة: صرّحت عائشة بأنها لا تحبّ علياً عليه السلام أبداً! فقد نقمت عليه أنه أشار على رسول الله صلى الله عليه وآله بسؤال جاريتها بريرة عن شأنها حسب روايتها عمّا رُمِيَت به، فاعتبرت ذلك شكّاً فيها وكان مثار نقمتها المزعومة!

روى ابن عقدة أن عائشة قالت: «لا أحب علياً أبدا! أليس هو الذي خلا وصاحبه بجاريتي يسألانها عني»؟![1]

أقول: إن المهم تصريحها بأنها لا تحبّ أمير المؤمنين عليه السلام أبداً، وليس بعد هذا التصريح منها كلام في نصبها!

• الصورة السابعة: كانت عائشة تبتهج وتحثّ على الابتهاج قبيل نشوب الحرب بينها وبين الإمام عليه السلام كنوع من التفاؤل بقرب انتصارها عليه! وقد حكى المؤرّخون كيف أنها أرسلت إلى أختها حفصة كتاباً شبّهت فيه حال علي عليه السلام بحال الفرس الأشفر الذي إن تقدَّمَ عُقِر وإن تأخَّرَ نُحِر! فتلقَّت حفصة الكتاب مسرورة وأقامت حفلاً غنائياً بهذه

(١) الجمل للمفيد ص226 عن ابن عقدة، وتعني بصاحبه رسول الله صلى الله عليه وآله !

المناسبة في المدينة! كل هذا يُنبئ عن حجم الحقد المتأصل في نفوس هاتين المرأتين الخبيثتيْن على آل النبوة عليهم السلام .

روى أبو مخنف الكوفي: «لمّا نزل علي ذا قار؛ كتبت عائشة إلى حفصة بنت عمر: أما بعد؛ فإني أخبرك أن عليا قد نزل ذاقار، وأقام به مرعوباً خائفاً لما بلغه من عدّتنا وجماعتنا! فهو بمنزلة الأشفر إن تقدم عُقر وأن تأخر نُحر! فدعت حفصة جواري لها يتغنّين ويضربن بالدفوف، فأمرتهن أن يقلن في غنائهن: ما الخبر؟ ما الخبر؟ علي في السفر! كالفرس الأشفر! إن تقدم عُقر! وإن تأخر نُحر! وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة ويجتمعن لسماع ذلك الغناء! فبلغ أم كلثوم بنت علي، فلبست جلابيبها ودخلت عليهن في نسوة متنكّرات، ثم أسفرت عن وجهها، فلمّا عرفتها حفصة خجلت واسترجعت! فقالت أم كلثوم: لئن تظاهرتما عليه منذ اليوم لقد تظاهرتما على أخيه من قبل فأنزل الله فيكما ما أنزل! فقالت حفصة: كفّي رحمكِ الله! وأمرت بالكتاب فمُزِّق واستغفرت الله»![١]

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 2 ص157، والدر النظيم ليوسف بن حاتم الشامي ص114.

لقد كانت الحمقاء عائشة تظنّ أن نزول أمير المؤمنين عليه السلام في ذي قار دليل على خوفه وأنه قد هاب عدّتها وجماعتها! فكتبت هذا الكتاب الذي يدلّ على توقها لهزيمته ومقتله كما يُقتل الفرس الأشفر! لقد كانت تعدّ الأيام والليالي لترى دماء علي تُسفك وتجري! وكذلك كانت أختها منظمة الحفلات الغنائية.. حفصة!

- الصورة الثامنة: كانت عائشة تقرّب إليها من هم أشد الناس عداوة لعلي بن أبي طالب عليهما السلام ، وكانت تلتمس هؤلاء لتبعث معهم برسائلها إليه في مجريات معركة الجمل وهي تحرّضهم عليه بأنه ساحر والعياذ بالله!

روى الصفار والقطب الراوندي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : «إن عائشة قالت: التمسوا لي رجلاً شديد العداوة لهذا الرجل - تعني عليا عليه السلام - فأُتِيَت برجل، فمَثُل بين يديها، فرفعت رأسها، فقالت: ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل؟ قال: كثيراً ما أتمنّى على ربّي أنه وأصحابه في وسطي فضربتُ

ضربةً بالسيف فسبق السيف الدم![1] قالت: فأنت لها! فاذهب بكتابي هذا إليه، فادفعه إليه ظاعناً[2] رأيته أو مقيماً، أما إنك إن رأيته راكباً رأيتَه على بغلة رسول متنكّباً قوسه، معلّقاً كنانته بقربوس سرجه،[3] وأصحابه خلفه كأنهم طير صوافٌّ. وإنْ عرض عليك طعامه وشرابه فلا تنالنَّ منه، فإن فيه السحر! فمضى واستقبله راكباً، فناوله الكتاب، ففضَّ خاتمه. ثم قال عليه السلام: تبلغ إلى منزلنا فتصيب من طعامنا وشرابنا ونكتب جواب كتابك. فقال: هذا والله ما لا يكون! فثنى رجله فنزل، وأحدق به أصحابه. ثم قال له: أسألك؟ قال: نعم. قال: وتجيبني؟ قال: نعم. قال: أنشدك الله؛ أَ قالت: التمسوا لي رجلاً شديد العداوة لهذا الرجل؛ فأوتِيَت بك فقالت لك: ما مبلغ عداوتك لذلك الرجل؟ فقلتَ: كثيراً ما أتمنى على ربّي أنه وأصحابه في وسطي وأني ضربتُ ضربةً بالسيف سبق السيف

(١) أي أنه يتمنّى لو كانوا مشدودين في وسطه فيضرب ضربة يسبق فيها السيف الدم كناية عن السرعة والنفاذ، فيكون في تلك الضربة هلاكهم وهلاكه معاً لأنهم في وسطه. وهذا تعبير منه عن شدة بغضه وعداوته لعلي عليه السلام وأصحابه بحيث أنه لا يكترث بأن يموت وتزهق نفسه ما دام في ذلك قتلهم.

(٢) ظاعناً: راكباً أو سائراً.

(٣) قربوس السرج: ذلك الجزء المقوّس المرتفع منه من قدّام المقعد ومؤخّره، فهما اثنان، وكان الراكب يعلّق عليه الأشياء.

الدم؟ قال: اللهم نعم! قال: فأنشدك الله؛ أَ قالت لك: اذهب بكتابي هذا فادفعه إليه ظاعناً كان أو مقيماً، أما إنك إن رأيتَه ظاعناً رأيته راكباً على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله متنكّباً قوسه معلّقاً كنانته بقربوس سرجه وأصحابه خلفه كأنهم طير صواف؟ قال: اللهم نعم! قال: فأنشدك الله؛ هل قالت لك: إن عرض عليك طعامه وشرابه فلا تنالنَّ منه فإن فيه السحر؟ قال: اللهم نعم! قال: فمبلِّغٌ أنتَ عني؟ قال: اللهم نعم، فإني أتيتك وما في الأرض خلقٌ أبغض إليَّ منك، وأما الساعة ما في الأرض خلقٌ أحبُّ إليَّ منك! فمُرني بما شئت. فقال: ادفع إليها كتابي هذا وقل لها: ما أطعتِ الله ولا رسوله حيث أمركِ بلزوم بيتك، فخرجتِ تردّدين في العساكر. وقل لهما - يعني طلحة والزبير -: ما أنصفتما الله ورسوله حيث خلّفتما حلائلكما في بيوتكما وأخرجتما حليلة رسول الله صلى الله عليه وآله . فجاء بكتابه إليها حتى طرحه إليها، وأبلغها مقالته، وإليهما كلامه، ثم رجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فأصيب بصفّين. فقالت: ما نبعث إليه والله بأحدٍ إلا أفسده علينا»![1]

---

(١) بصائر الدرجات للصفار ص263 والخرائج والجرائح للراوندي ج 2 ص723.

أقول: إن اتهامها أمير المؤمنين عليه السلام بالسحر هو مضاهاة لاتهام المشركين رسول الله صلى الله عليه وآله بالسحر كذلك! وتلك هي نزعة أهل الباطل في بهت أهل الحق والافتراء عليهم لئلّا ينقاد إليهم الناس.

- الصورة التاسعة: قد مرّت عليك أرجوزة عوف بن قَطَن (لعنه الله) التي كان ينشدها وهو آخذ بخطام الجمل حيث يقول مخاطباً أمه الحميراء(١):

يا أُمِّ يا أُمِّ خلا منّي الوطنْ	لا أبتغي القبرَ ولا أبغي الكفنْ!
من ههنا محشرُ عوف بن قَطَنْ	إنْ فاتَنا اليومَ عليٌّ فالغَبَنْ!
أو فاتَنا ابناهُ حُسينٌ وحسنْ	إذن أَمُتْ بطولِ همٍّ وحَزَنْ!

وكونه آخذا بخطام الجمل معناه أنه لم تكن بينه وبين صاحبته عائشة إلا خطوة أو خطوتان على الأكثر، أي أنه كان على مقربة منها، تراه ويراها، وتسمعه ويسمعها، ومع ذا لم تنهره ولم تنكر عليه قوله هذا ولم تقل له مثلاً: «ويلك! كيف تتوعّد بالقتل عليّاً وهو ابن عمّ رسول

(١) راجع ص164 من هذا الكتاب.

الله! وكيف تتمنى أن لا يفوتك ذبح الحسن والحسين وهما سبطا رسول الله! إنما جئنا للطلب بثأر عثمان وللإصلاح لا لقتل علي وأهل بيت النبي»!

وسكوتها عن هذا الزنيم يؤكد أنها كانت ترتضي ما يقوله وتستأنس به، أي أنها كانت تتمنى في قرارة نفسها أن يتحقق ما في هذه الأبيات فترى رؤوس علي والحسن والحسي عليهم السلام مقطوعة أمامها! وهذا ما يؤكد أنها كانت تكنّ النُّصب والعداء لأهل هذا البيت! و إلا هل من تفسير آخر لسكوتها المطبق هذا ولتسليمها خطام جملها إلى هذا اللعين الذي كان يصيح في الحرب: «ليس لعثمان ثارٌ إلا علي بن أبي طالب ووُلدُه»؟!

• الصورة العاشرة: قد مضى في ما تقدّم أن عائشة كانت رأس المحرّضين جُندها على القتال أثناء حرب الجمل، فهي التي زجّت إلى القتال حتى الذين تورّعوا منهم عنه في بادئ الأمر، كأبي رجاء الذي تقدّم ذكره،[1] والذي كان يستعظم سفك الدماء ويتجنّب الخوض في الحروب، ويضرب مثلاً تورّع أهل الجاهلية عن الحرب في الأشهر الحُرُم ونزعهم أسنّتهم فيها من رماحهم، إلا أنه مع ذلك حين رأى

---

(١) راجع ص126 من هذا الكتاب.

عائشة على الهودج فُتِنَ بها ولم يتمالك نفسه فاندفع للقتال برمي الأسهم!

روى ابن شبة عن أبي رجاء «أنه ذكر الدماء فعظّمها وقال: كان أهل الجاهلية إذا دخل الشهر الحرام نزع أحدهم سِنانه من رمحه وجعلها في علوم النساء، ويقولون: جاء مُنَصِّلُ الأسِنَّة. ثم والله لقد رأيتُ هودج عائشة يوم الجمل كأنه قنفذ! فقيل له: قاتلتَ يومئذ؟ قال: لقد رميتُ بأسهم! فقيل له: كيف ذلك وأنت تقول ما تقول؟! فقال: ما كان إلا أن رأيْنا أم المؤمنين فما تمالكْنا»!(١)

هكذا فتنت عائشة الناس وزّجت بهم إلى الحرب الأهلية، حتى بأولئك الذين كانوا يتورّعون عن الخوض فيها ويستعظمون سفك الدماء ويتجنّبون المشاركة في القتل والضراب.

وبعد أيام من القتال المتواصل؛ رأت عائشة أن جُندها بدأوا يتململون من الحرب، وأن أعلام الهزيمة والانكسار بدأت تلوح أمام نواظرهم وضعفوا إثر ذلك عن القتال، فأدركت حينها أن حسم هذه

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر ج 8 ص71 عن أخبار البصرة لعمر بن شبة.

المعركة بانتصارها لن يكون إلا بقطع شيء واحد هو: رأس علي عليه السلام ! ولهذا أعلنت عن جائزة مالية يسيل لها اللعاب لمن يأتيها برأسه! «فأخرجت يدها من الهودج تحمل بَدْرةً من الدنانير، ونادت بأعلى صوتها: من يأتيني برأس الأصلع وله هذه البَدْرة؟! فضجّ العسكر ضجة واحدة وأمعن في قتال ذريع »![١]

وتعني الحميراء بالأصلع علياً عليه السلام ، إذ قد عُرِف بهذه الصفة من كثرة لبسه خوذة الحرب على رأسه الشريف.[٢]

(١) سيرة الأئمة عليهم السلام لهاشم معروف الحسني ج 1 ص456 وسيرة الإمام علي عليه السلام لمحمد حسين الصغير ص267.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 35 ص61، والحق أنه عليه السلام لم يكن أصلع بل أنزع ، فقد كان شعره منحسراً عن جانبي جبهته، وهذا معنى الأنزع أي الذي ظهرت نزعتاه، والعرب كانت تحب النزع وتتيمّن بالأنزع ، وعكسه الغمم والأغمّ الذي كانت العرب تتشاءم به. راجع لسان العرب لابن منظور – مادة نزع .

غير أن أعداء علي عليه السلام وصفوه بالأصلع مبالغةً وقصداً لإهانته! مع أنه كانت بينه وبين صدق هذه الصفة مراحل، فإن الذي انحسر شعر رأسه عن جانبي الجبهة يسمى الأنزع ، فإذا زاد قليلاً فهو أجلح ، فإذا بلغ النصف ونحوه فهو أجلى، ثم إذا زاد عن ذلك فهو أصلع . راجع لسان العرب لابن منظور – مادة جله.

وأمير المؤمنين عليه السلام إنما كان على الصفة الأولى فحسب، ولم يكن ذلك فيه إلا علامة الحُسن والبهاء.

والـبَدْرة كما يـقول ابـن مـنظور: «كـيس فـيه ألـف أو عشرة آلاف، سُمِّيَت ببَدْرة السخلة، والجمع البدور».(١) والمقصود أن فيه ألف دينار أو عشرة آلاف درهم، وهذا مبلغ ضخم جداً يعادل في زماننا نحو مئة ألف دولار! وذلك بحساب القوة الشرائية للدينار والدرهم في ذلك الزمان، فإن الشاة كانت تُشترى بدينار أو عشرة دراهم، فالألف دينار أو العشرة آلاف درهم يُشترى بها ألف شاة، واليوم فإن الشاة الواحدة ثمنها نحو مئة دولار، فالألف منها ثمنها مئة ألف دولار!

وهكذا ترتسم الصورة الناصبية الخارجية بأبشع ما تكون، فإن الحميراء تستهدف شخص علي عليه السلام لا غير! تريد رأسه! وتضع جائزة مالية ضخمة لمن يحزّ رأس وصي رسول الله صلى الله عليه وآله ويأتي بها إليها! وتستحق عائشة بهذا أن تكون سيدة النواصب والخوارج الأولى!

---

(١) لسان العرب لابن منظور - مادة بدر.

- الصورة الحادية عشرة: قد تقدّم في الفصل الثالث ما كشفه محمد بن أبي بكر من أن أخته عائشة «لم يكن لسانها يفتُر من السبّ لعلي» بعد انتهاء معركة الجمل![1]

كان ذلك حين حمل محمد أخته إلى دار عبد الله بن خلف الخزاعي بالبصرة لتمكث فيه ريثما تُعاد إلى المدينة بأمر أمير المؤمنين عليه السلام، فطوال طريقها إلى هناك؛ لم يكن لعائشة تسبيح إلا سب علي بن أبي طالب عليهما السلام وسبّ محمد أخوها والترحّم على من قُتِل معها من أصحاب الجمل الملعون!

وحين حلّت الحميراء في تلك الدار؛ اجتمعت مع النسوة الثكلى لعقد مجالس النوح على قتلاهنّ والنيل من علي عليه السلام بالسب والشتم والدعاء عليه بالهلاك حتى يصير أبناؤه أيتاماً! كل ذلك كان يجري في محضر عائشة التي صيّرت هؤلاء النسوة لها كلاباً ينبحنَ! فيما خبّأت في ذلك البيت عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر وغيرهم من أنصارها ممن

---

(١) راجع ص532 من كتاب الفاحشة.

نجى من جرحى الجمل. ورغم أن الإمام (صلوات الله عليه) كان عالماً باختبائهم هناك؛ إلا أنه أعرض عن كبسهم وقتلهم تكرّماً.

روى ابن أعثم وابن الأثير واللفظ للأول: «فدعا علي ببغلة رسول الله ﷺ فاستوى عليها، وأقبل إلى منزل عائشة، ثم استأذن ودخل، فإذا عائشة جالسة وحولها نسوة من نساء أهل البصرة وهي تبكي وهُنَّ يبكين معها! قال: ونظرت صفية بنت الحارث الثقفية امرأة عبد الله بن خلف الخزاعي إلى علي فصاحت هي ومَن كان معها هناك من النسوة وقلنَ بأجمعهن: يا قاتل الأحبة! يا مفرّق الجمع ! أيتم الله منك بنيك كما أيتمتَ وُلد عبد الله ابن خلف منه! فنظر إليها علي فعرفها فقال: أما إني لا ألومكِ أن تبغضيني وقد قتلتُ جدكِ في يوم بدر! وقتلتُ عمّكِ في يوم أُحُد! وقتلتُ زوجكِ الآن! ولو كنتُ قاتل الأحبة كما تقولين لقتلتُ مَن في هذا البيت ومَن في هذه الدار! قال: فأقبل علي على عائشة فقال: ألا تنحّين كلابكِ هؤلاء عنّي؟! أما إنني قد هممتُ أن أفتح باب هذا البيت فأقتل مَن فيه! ولولا حبي للعافية لأخرجتهم الساعة فضربتُ أعناقهم صبراً! قال: فسكتت عائشة وسكتت النسوة فلم تنطق واحدة منهن! قال: ثم أقبل

على عائشة فجعل يوبّخها ويقول: أمركِ الله أن تقرّي في بيتكِ وتحتجبي بستركِ ولا تبرّجي، فعصيتِه وخضتِ الدماء! تقاتليني ظالمةً وتحرّضين عليَّ الناس! وبما شرّفكِ الله وشرّف آباءك من قبلك وسمّاك أم المؤمنين وضرب عليكِ الحجاب؟ قومي الآن فارحلي واختفي في الموضع الذي خلّفكِ فيه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن يأتيكِ فيه أجلكِ! ثم قام علي فخرج من عندها».[1]

وفي هذا الخبر موارد جديرة بالملاحظة، منها أن قوله عليه السلام: «ألا تنحّين كلابكِ هؤلاء عنّي»؟! يدلّ على أن وقاحة هؤلاء النسوة وشتائمهنّ بلغت أمدها، وإلا لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام ليصفهنّ بالكلاب ويطلب من عائشة التي جعلتهن تنبحن أن تنحيهنّ عنه.

ومنها أن قوله عليه السلام: «تقاتليني ظالمةً وتحرّضين عليَّ الناس»! يؤكد أن الحميراء (لعنها الله) كانت تحمل في قلبها غلاًّ شخصياً له ولذا كانت تحرّض على قتله الناس.

ومنها أن قوله عليه السلام: «وبما شرّفكِ الله وشرّف آباءك من قبلك وسمّاك أم المؤمنين وضرب عليكِ الحجاب»؟ فيه تذكير لعائشة بأنها لم تكن شيئاً

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج 2 ص484 والكامل في التاريخ لابن الأثير ج 3 ص256.

مذكوراً لولا أن شرّفها الله وشرّف آباءها بأن تزوّجها رسول الله ﷺ فسُمِّيَت إثر ذلك بأم المؤمنين وضُرب عليها الحجاب، أي أنها لولا بني هاشم لما كانت لها هذه المنزلة، وبدلاً من أن تشكرهم وتبرّهم فقد عقّتهم فحاربته وحرّضت الناس عليه. وسيأتي هذا المعنى في كلام ابن عباس لها في ما يأتي إن شاء الله تعالى.

ومنها أن قوله عليه السلام : «قومي الآن فارحلي واختفي في الموضع الذي خلّفكِ فيه رسول الله ﷺ لى أن يأتيكِ فيه أجلكِ»! يفيد ما ذكرناه آنفاً من أن عائشة لا يؤمَن جانبها في الشر وإيقاع الفساد في الأرض، ولذا فإنه لا علاج لها إلا أن (تختفي) حيث خلّفها النبي ﷺ إلى أن يأتي أجلها فيه وتهلك! أي أنه لا بد من حبسها وتقييد إقامتها جبراً، وإلا عاثت فساداً وخاضت دماءً.

والمهم في هذه الصورة هو أن عائشة لم تكتفِ بسبّ أمير المؤمنين عليه السلام بل دفعت الأخريات إلى ذلك أيضاً في مجالسها! وقد مرّ عليك في الفصل الثالث أنها كانت مشهورة باللسان القذر الذي يكيل سباباً للناس.

ولو أنّا أرجعنا سبّ عائشة لأمير المؤمنين عليه السلام إلى حكم رسول الله صلى الله عليه وآله لخلصنا إلى أنها بذلك قد خرجت عن الإسلام واستحقت القتل! ذلك لأنه صلى الله عليه وآله قال في الحديث الصحيح: «من سبّ علياً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبَّ الله تعالى».[١]

ومعلومٌ أن السابّ لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله يكون مهدور الدم ومحكوماً بالارتداد، وحيث أن سبّ علي عليه السلام هو سبّ لله ولرسوله صلى الله عليه وآله؛ فتكون عائشة وصويحباتها وكذا كل من ثبت أنه سبّه وتنقّصه ووقع فيه - كعبد الله بن الزبير كما سيأتي - مرتدّاً كافراً قد استوجب القتل.

- الصورة الثانية عشرة: لم تعترف عائشة بعلي عليه السلام أميراً للمؤمنين وخليفة شرعياً! بل اعتبرته سالباً لدين الناس! ثم صرّحت بعداوتها له ولبني هاشم أجمع وأن أبغض البلدان إليها هو البلد الذي يقطنون فيه!

---

(١) مستدرك الحاكم ج 3 ص121 ومسند أحمد بن حنبل ج 6 ص323 كلاهما عن أم سلمة رضوان الله تعالى عليها، وسنن النسائي ج 5 ص133 عنها وعن بريدة الأسلمي رضوان الله تعالى عليه، وغيرها كثير. وقد نصّ على صّحته الذهبي في التلخيص والهيثمي في مجمع الزوائد والسيوطي في الجامع الصغير والألباني في صحيحته برقم 3332.

روى الشيخ الطوسي بسنده عن موسى بن عبد الله الأسدي قال: «لمّا انهزم أهل البصرة؛ أمر علي بن أبي طالب عليه السلام أن تنزل عائشة قصر أبي خلف، فلمّا نزلت جاءها عمار ابن ياسر رضي الله عنه فقال لها: يا أُمَّه كيف رأيتِ ضرب بنيك دون دينهم بالسيف؟ فقالت: استبصرت يا عمار من أجل أنك غلبتَ! قال: أنا أشد استبصاراً من ذلك، أما والله لو ضربتمونا حتى تبلغونا سَعْفات هَجَر لعلمنا أنّا على الحق وأنكم على الباطل! فقالت له عائشة: هكذا يُخيَّل إليك! اتّقِ الله يا عمار! فإن سنّك قد كبرت، ودقَّ عظمك، وفنى أجلك، وأذهبتَ دينك لابن أبي طالب! فقال عمار رحمه الله: إني والله اخترتُ لنفسي في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فرأيتُ علياً أقرأهم لكتاب الله عز وجل، وأعلمهم بتأويله، وأشدّهم تعظيماً لحرمته، وأعرفهم بالسنة، مع قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله، وعِظَمِ عنائه وبلائه في الإسلام. فسكتت».[١]

---

(١) أمالي الطوسي ص143 ورواه ما يقرب منه عن الواقدي في الاقتصاد ص228، وقول عمار عليه الرضوان: «والله لو ضربتمونا حتى تبلغونا سَعْفات هَجَر لعلمنا أنّا على الحق وأنكم على الباطل» مشهور رواه المحدّثون والمؤرّخون عنه في الجمل وصفين حتى صار مثلاً. والسعفات هي جرائد النخل ما دامت بالخوص، وقد اشتهرت بها هجر أي الإحساء وناحية البحرين، والمراد أنكم حتى لو ظهرتم علينا في القتال حتى أبعدتمونا إلى أبعد مسافة فلن يتغير اعتقادنا بأنّا على حق وأنكم على باطل وأنّ قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.

ومحل الشاهد قولها له: «أذهبتَ دينك لابن أبي طالب»! فإنه ينطوي على اتهام لأمير المؤمنين عليه السلام بأنه يستلب دين الناس! وأما قولها: «هكذا يُخيَّل إليك»! فهو يُنبئ عن إصرارها على الغي، وأنها رغم ما اهريق من دماء بسببها ما زالت تعاند بأنها على حق!

والذي دار بين ابن عباس وعائشة من كلام إثر واقعة الجمل يكشف اللثام عن حقيقة ما تكنّه المرأة تجاه علي وأهل بيت النبوة (صلوات الله عليهم) من البغض والنُّصب.

روى ابن عبد ربّه الأندلسي عن عكرمة عن ابن عباس قال: «لمّا انقضى أمر الجمل؛ دعا علي بن أبي طالب بآجرتين فعلاهما، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أنصار المرأة وأصحاب البهيمة! رغا فجئتم! وعُقِرَ فهُزِمتم! نزلتم شرّ بلاد، أبعدها من السماء، بها مغيض كل ماء، ولها شر أسماء، هي البصرة والبُصيرة والمؤتفكة وتدمر. أين ابن عباس؟ قال: فدُعيت له من كل ناحية، فأقبلتُ إليه، فقال: ائت هذه المرأة، فلترجع إلى بيتها الذي أمرها الله أن تقرَّ فيه. قال: فجئتُ فاستأذنتُ عليها فلم تأذن لي، فدخلت بلا إذن! ومددتُ يدي إلى وسادة في البيت فجلستُ

عليها. فقالت: تالله يابن عباس ما رأيتُ مثلك! تدخل بيتنا بلا إذننا وتجلس على وسادتنا بغير أمرنا! فقلتُ: والله ما هو بيتكِ! ولا بيتكِ إلا الذي أمركِ الله أن تقرّي فيه فلم تفعلي! إن أمير المؤمنين يأمرك أن ترجعي إلى بلدك الذي خرجت منه. قالت: رحم الله أمير المؤمنين! ذاك عمر بن الخطاب! قلت: نعم، وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. قالت: أبيتُ أبيتُ! قلت: ما كان إباوك إلا فُواق ناقةٍ بكيئةٍ ثم صرتِ ما تُحلِّين ولا تُمرّين ولا تأمرين ولا تنهين![١] قال: فبكتْ حتى علا نشيجها، ثم قالت: نعم، أرجع ؛ فإن أبغض البلدان إلي بلدٌ أنتم فيه! قلتُ: أما والله ما كان ذلك جزاؤنا منكِ إذ جعلناكِ للمؤمنين أُمّاً وجعلنا أباكِ لهم صدِّيقاً! قالت: أَ تمنُّ في برسول الله يابن عباس؟ قلت: نعم، نمنُّ عليكِ بمن لو كان منكِ

---

(١) فُواق ناقة بكيئة: ما بين حلْبتيْن لناقة قلّ لبنها، والمراد أن رفضك و إبائك الاعتراف بكون علي عليه السلام أميراً للمؤمنين لم يدم إلا فترة قصيرة حيث حاولتِ إسقاط خلافته في الجمل إلا أنك فشلتِ وهُزمتِ وتثبّت علي عليه السلام خليفةً رغما عن أنفكِ! ثم صرتِ بعد ذلك «ما تُحلّين» أي لا تُطاعين في حلو، «ولا تُمرّين» أي لا تُطاعين في مُرٌّ «ولا تأمرين ولا تنهين» فلا أحد يطيعك بعد الآن بعدما صرتِ خائبةً خاسرة! وقد فهمت عائشة هذا المعنى المؤلم من ابن عباس ولذا «بكتْ حتى علا نشيجها».

بمنزلته منّا لمننتِ به علينا. قال ابن عباس: فأتيتُ علياً فأخبرته، فقبَّلَ بين عينيّ وقال: بأبي ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.(١)

وروى ابن أعثم: «ثم دعا علي رضي الله عنه بعبد الله بن عباس فقال له: اذهب إلى عائشة فقُل لها أن ترتحل إلى المدينة كما جاءت ولا تقيم بالبصرة. فأقبل إلى عائشة فاستأذن عليها، فأبت أن تأذن له، فدخل عبد الله بغير إذن! ثم التفتَ فإذا راحلةٌ عليها وسائد، فأخذ منها وسادةً وطرحها، ثم جلس عليها. فقالت عائشة: يابن عباس! أخطأت السنة! دخلتَ منزلي بغير إذني! فقال ابن عباس: لو كنتِ في منزلك الذي خلَّفَكِ فيه رسول الله ﷺ لما دخلتُ عليكِ إلا بإذنكِ، وذلك المنزل الذي أمرك الله عزَّ وجل أن تقرّي فيه فخرجتِ منه عاصيةً لله عزَّ وجلّ ولرسوله محمد ﷺ. وبعد؛ فهذا أمير المؤمنين يأمرك بالارتحال إلى المدينة فارتحلي ولا تعصي، فقالت عائشة: رحِمَ الله أمير المؤمنين! ذاك عمر بن الخطاب! فقال ابن عباس: وهذا والله أمير المؤمنين و إن رغمت له الأنوف وأربدت له الوجوه! فقالت عائشة: أبيْتُ ذلك عليكم يابن عباس! فقال ابن عباس:

(١) العقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسي ج 4 ص329 ونحوه في مروج الذهب للمسعودي ج 5 ص197 وتاريخ اليعقوبي ج 2 ص183، ولا يخفى أن ما في الخبر من تقبيل الأمير عليه السلام لابن عباس مستبعد.

لقد كانت أيامكِ قصيرة المدة ظاهرة الشؤم بيِّنَةَ النكد! وما كنتِ في أيامك إلا كقَدْرِ حلب شاة حتى صرتِ ما تأخذين وما تعطين ولا تأمرين ولا تنهين! وما كنتِ إلا كما قال أخو بني أسد(١):

ما زالَ إهداءُ القصائِدِ بينَنا — شتم الصَّديقِ وكثرة الألقابِ!
حتى تُرِكْتِ كأنَّ قولَكِ عندَهُمْ — في كلِّ مُحتفَلٍ طَنين ذُبابِ!

قال: فبكت عائشة بكاءً شديداً، ثم قالت: نعم والله أرحلُ عنكم؛ فما خلق الله بلداً هو أبغضُ إليَّ من بلدٍ أنتم به يا بني هاشم! فقال ابن عباس: ولِمَ ذلك؟ فوالله ما هذا بلاؤنا عندكِ يا بنت أبي بكر! فقالت عائشة: وما بلاؤكم عندي يابن عباس؟ فقال: بلاؤنا عندكِ أننا جعلناكِ أم المؤمنين وأنت بنتِ أم رومان! وجعلنا أباكِ صدّيقاً وهو ابن أبي قحافة! وبنا سُمِّيتِ أم المؤمنين لا بتَيْمٍ وعَدِيْ! فقالت عائشة: يابن عباس! أتمنّون عليَّ برسول الله ﷺ ؟ فقال: ولِمَ لا نمنُّ عليكِ برسول الله ﷺ ولوْ كانت فيكِ شعرة منه أو ظفر لمننتِ علينا وعلى جميع العالمين بذلك! وبعد فإنما

(١) المراد أنه جرى بيننا وبينكِ من التنافر كقصائد الهجاء التي يكثر فيها شتم الصديق والتنابز بالألقاب حتى فُضحتِ وتُركتِ عند الناس ولم يعد لكلامك قيمة حتى صار في كل محتفلٍ منهم مجرد «طنين ذباب»!

كنتِ إحدى تسع حشايا من حشاياه،[١] لستِ بأحسنهنَّ وجهاً ولا بأكرمهنَّ حسباً ولا بأرشحهنَّ عِرقاً! وأنت الآن تريدين أن تقولي ولا تُعصيْ، وتأمري ولا تخالَفين ونحنُ لحم الرسول ﷺ ودمه؛ وفينا ميراثه وعلمه؟! فقالت عائشة: يابن عباس ما باذلك عليك علي بن أبي طالب؟ فقال ابن عباس: والله أقرُّ له وهو أحقُّ به مني وأولى، لأنه أخوه وابنُ عمه، وزوج الطاهرة ابنته وأبو سبطيه، ومدينة علمه وكشّاف الكرب عن وجهه، وأما أنتِ؛ فلا والله ما شكرتِ نعماءنا عليك وعلى أبيكِ من قبلكِ! ثم خرج وسار إلى علي فأخبره بما جرى بينه وبينها من الكلام».[٢]

وروى ابن أبي الحديد: «بعث علي عبد الله بن عباس إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة، قال: فأتيتُها فدخلتُ عليها، فلم يوضع لي شيء أجلس عليه، فتناولتُ وسادة كانت في رحلها فقعدتُ عليها! فقالت: يابن عباس! أخطأت السنة! قعدتَ على وسادتنا في بيتنا بغير إذننا! فقلتُ: ليس هذا بيتكِ الذي أمركِ الله أن تقرّي فيه، ولو كان بيتكِ ما قعدتُ على وسادتكِ إلا بإذنكِ. ثم قلتُ: إن أمير المؤمنين أرسلني إليكِ يأمرك بالرحيل

---

(١) الحشايا جمع الحشيّة وهي الفراش المحشوّ، يُكنّى بها عن الزوجة.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج 2 ص337 ونحوه في جواهر المطالب لابن الدمشقي الشافعي ج 2 ص25.

إلى المدينة. فقالت: وأين أمير المؤمنين! ذاكَ عمر! فقلت: عمر وعلي! قالت: أبيتُ! قلتُ: أما والله ما كان أُبوّك إلا قصير المدة عظيم المشقة قليل المنفعة! ظاهر الشؤم بيِّن النكد! وما عسى أن يكون أُبوّك! والله ما كان أمرك إلا كحلب شاة حتى صرتِ لا تأمرين ولا تنهين! ولا تأخذين ولا تُعطين! وما كنتِ إلا كما قال أخو بني أسد:

ما زالَ إهداءُ الصغائر بيننا　　　نثَّ الحديثِ وكثرة الألقابِ!

حتى نزلتِ كأنَّ صوتكِ بينهم　　　في كلِّ نائبةٍ طَنين ذُبابِ!

قال: فبكتْ حتى سُمع نحيبها من وراء الحجاب! ثم قالت: إني معجّلةٌ الرحيل إلى بلادي إن شاء الله تعالى، والله ما مِنْ بلدٍ أبغضُ إليَّ من بلدٍ أنتم فيه! قلتُ: ولِمَ ذاك! فوالله لقد جعلناك للمؤمنين أمّاً وجعلنا أباك صدّيقاً! قالت: يابن عباس! أتمنُّ عليَّ برسول الله؟ قلتُ: مالي لا أمنُّ عليكِ بمن لو كان منكِ لمننت به عليَّ! ثم أتيتُ علياًّ عليه السلام فأخبرتُه بقولها

وقولي، فسُرَّ بذلك، وقال لي: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. وفي رواية: أنا كنت أعلمُ بك حيث بعثتك».(١)

وروى الكشي: «لمّا هزم علي بن أبي طالب عليه السلام أصحاب الجمل؛ بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبدالله بن عباس رحمة الله عليهما إلى عائشة يأمرها بتعجيل الرحيل وقلة العرجة.(٢) قال ابن عباس فأتيتُها وهي في قصر بني خلف في جانب البصرة. قال: فطلبتُ الإذن عليها فلم تأذن، فدخلتُ عليها من غير إذنها! فإذا بيت قفار لم يعد لي فيه مجلس، فإذا هي من وراء سِتْرين. قال: فضربتُ ببصري فإذا في جانب البيت رَحْلٌ عليه طنفسة. قال: فمددتُ الطنفسة فجلستُ عليها، فقالت من وراء السِّتر: يابن عباس! أخطأت السنة! دخلتَ بيتنا بغير إذننا وجلست على متاعنا بغير إذننا! فقال لها ابن عباس رحمة الله عليه: نحن أولى بالسنة منك! ونحن علّمناك السنة! و إنما بيتكِ الذي خلّفكِ فيه رسول الله صلى الله عليه وآله فخرجتِ منه ظالمةً لنفسكِ غاشّةً لدينكِ عاتيةً على ربّكِ عاصيةً لرسول الله صلى الله عليه وآله ! فإذا رجعتِ إلى بيتكِ لم ندخله إلا بإذنكِ، ولم نجلس على متاعكِ إلا بأمركِ.

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 6 ص229.

(٢) أي قلة المُقام.

إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعث إليكِ يأمركِ بالرّحيل إلى المدينة وقلة العرجة. فقالت: رحم الله أمير المؤمنين! ذاك عمر بن الخطاب! فقال ابن عباس: هذا والله أمير المؤمنين و إن تربَّدت فيه وجوه ورغمت فيه معاطس! أما والله لهو أمير المؤمنين وأمسُّ برسول الله رحماً وأقرب قرابةً وأقدم سبقاً وأكثر علماً وأعلى مناراً وأكثر آثاراً من أبيك ومن عمر! فقالت: أبيتُ ذلك! فقال: أما والله إنْ كان إباؤك فيه لقصيرَ المدة عظيم التبعة ظاهر الشوم بيّن النكد! وما كان إباؤك فيه إلا حلْبَ شاةٍ حتى صرتِ ما تأمرين ولا تنهين ولا ترفعين ولا تضعين! وما كان مثلكِ إلا كمثل الحضرمي بن نجمان أخي بني أسد حيث يقول:

ما زالَ إهداءُ القصائِدِ بيننَا ... شتم الصَّديقِ وكثرة الألقابِ!

حتى تركتُهم كأنَّ قلوبهم ... في كلِّ مجمعةٍ طَنين ذُبابِ!

قال: فأراقت دمعها وأبدت عويلها وتبدّى نشيجها! ثم قالت: أخرج والله عنكم فما في الأرض بلدٌ أبغضُ إليَّ من بلدٍ تكونون فيه! فقال ابن عباس رحمه الله: فلِمَ؟! والله ما ذا بلاؤنا عندكِ ولا بصنيعنا إليك! إنّا جعلناكِ للمؤمنين أُمّاً وأنت بنت أم رومان! وجعلنا أباكِ صدِّيقاً وهو ابن

أبي قحافة حاملِ قصاع الوَدَكِ لابن جُدعان إلى أضيافه! فقالت: يابن عباس تمنّون عليَّ برسول الله؟! فقال: ولمَ لا نمنُّ عليكِ بمن لو كان منك قُلامةٌ منه مننتنا به! ونحن لحمه ودمه ومنه و إليه، وما أنت إلا حشيَّتهُ من تسع حشايا. خلّفهن بعده، لستِ. بأ.بيضهنَّ لو.ناً ولا بأ.حسنهنَّ وجهاً ولا بأرشحهنَّ عَرقاً ولا بأنضرهنَّ ورقاً ولا بأطراهنَّ أصلاً! فصرتِ تأمرين فتُطاعين وتدعين فتُجابين! وما مثلكِ إلا كما قال أخو بني فهر:

منننتُ على قومي فأبدوا عداوةً! فقلتُ لهم: كفّوا العداوة والشكرا

ففيهِ رضا مِن مثلكُم لصديقه وأحجّ بِكُمْ أن تجمعوا البَغيَ والكفرا

قال: ثم نهضتُ وأتيتُ أمير المؤمنين فأخبرته بمقالتها وما رددتُ عليها فقال: أنا كنتُ أعلم بك حيث بعثتك».[١]

ها هي الحميراء تعلن عدم اعترافها بإمرة علي عليه السلام للمؤمنين ورفضها للإقرار به خليفة، فما الخليفة الحق وأمير المؤمنين عندها إلا أبو حفص!

---

[١] بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 32 ص269 عن الكشي، ورجال الكشي المعروف باختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي ج 1 ص277، وقد مضت الإشارة إلى هذا الخبر في الفصل الأول ص109 وفي الفصل الثاني ص243 من كتاب الفاحشة.

فتقول مجيبةً ابن عباس: «رحم الله أمير المؤمنين! ذاك عمر ابن الخطاب! وأين أمير المؤمنين! ذاكَ عمر»! وحين يؤكد ابن عباس أن أبا الحسن عليه السلام هو أمير المؤمنين؛ تعاند وتأبى بقولها: «أبيتُ أبيتُ! أبيْتُ ذلك عليكم يابن عباس»!

ثم إنه حين يأمرها بالرجوع إلى المدينة بعد ترادٍّ في الكلام تُخرج ما في صدرها من النُّصب والعداوة قائلةً بمنتهى الصراحة: «نعم والله أرحلُ عنكم؛ فما خلق الله بلداً هو أبغضُ إليَّ من بلدٍ أنتم به يا بني هاشم»! وفي رواية المفيد أنها قالت: «فبالله أحلفُ؛ ما كان مكانٌ أبغض إليَّ من مكان يكون هو فيه»(١) تعني عليّاً عليه السلام !

إنها تكره بني هاشم وتحقد على علي وآل محمد عليهم السلام ولا تطيق الاجتماع معهم في بلد من البلدان! وما مردّ ذلك الكره إلا شعورها بالنقص والحقارة بسبب وضاعة أصلها ونسبها على ما فصّلناه في الفصل الأول من كتاب الفاحشة. ومعلومٌ أن متسافل الدرجات يحسد ويحقد على مَن علا.

---

(١) الجمل للمفيد ص85.

لقد كانت عائشة تريد من وراء زواجها بنبي الإسلام ﷺ أن تنتشل نفسها من تلك الوضاعة والحقارة اللتان تشعر بهما وأن تصير ملكة للإمبراطورية التي أسسها ذلك النبي، وكانت تتوقع منه ﷺ أن يجعلها صاحبة المقام الأول، غير أنها صُدمت بأنه قدّم عليها فاطمة وخديجة وأم سلمة ومارية وحتى أم أيمن (سلام الله عليهن) فاشتعلت نار الحقد في صدرها!

ثم لمّا استشهد ذلك النبي ﷺ وتولّى والدها الحكم؛ تنفسّت الصعداء وعاشت عصرها الذهبي كسيدة أولى. ولمّا هلك والدها وتولّى صاحبه عمر؛ استمرّ عصرها الذهبي لما كان بينها وبينه من المودة الخاصة. وكانت تتوقع أن يستمر الحال هكذا في عهد عثمان، غير أنه بدّل وغيّر، وقلب لها ظهر المجن، فحقدت وحرّضت عليه إلى أن قتلته!

وكانت خطتها تقضي بأن يتولّى ابن عمّها وحبيبها طلحة مقاليد الأمور؛ غير أن الرياح جرت بما لا تشتهي السفن، فتولّى علي بن أبي طالب عليه السلام ، وكان ذلك ككابوس يحلّ عليها! إنها عودة لبني هاشم، عودة لآل محمد، عودة لمحمد نفسه الذي لم تكد تخلص منه ومن عهده حيث

كانت منزوية قهراً بين أربعة جدران وليس لها شأن إلا كونها «إحدى تسع حشايا من حشاياه، ليست بأحسنهنَّ وجهاً ولا بأ.كرمهنَّ حسباً ولا بأرشحهنَّ عِرقاً»! كما عبّر ابن عباس!

هذا الذي قتلها جزعاً؛ فأعلنت الحرب على علي عليه السلام وبني هاشم، رامية إسقاط حكومتهم، ليعود عصرها الذهبي الامبراطوري!

وكانت قاب قوسين أو أدنى من النجاح والانتصار بعدما سيطرت على البصرة واستولت على بيت مالها وتزّعمت رجالها مكوّنة (ميليشيا) مسعورة! وتصوّرت أن حسم معركتها مع ابن أبي طالب ليس إلا مسألة وقت، فهو «بمنزلة الأشفر إن تقدم عُقر وأن تأخر نُحر»! ثم لمّا تواجهت معه على أرض المعركة تباهت قائلةً له: «أما والله ما يُنتظر بك إلا زوال الشمس»!

إلا أن زوال الشمس لم يأتِ إلا بهزيمتها هزيمة منكرة! وبعد هذا كله؛ يكون من المنطقي لمرأة حسودة ترى ضياع آمالها وأحلامها أن تمتلئ غيظاً وتتفجّر حقداً على علي وأهل بيته عليهم السلام ! فهم الذين بدّدوا كل

أحلامها وأحبطوا كل مخططاتها وأعادوها «حشيّة» لتقرّ في الموضع الذي خُلِّفَت فيه إلى أن تموت كمداً!

هذا ولا يفوتنّك الالتفات إلى قولها لابن عباس على رواية ابن أعثم: «يابن عباس ما باذلك عليك علي بن أبي طالب»؟ فمؤدّاه - إن لم يكن ثمَّ تصحيف - اتهامها عليّاً عليه السلام بأنه يشتري ذمم الناس وأديانهم! لأن معنى عبارتها مساءلتها ابن عباس: «ما الذي بذله لك علي وبذلته له على نفسك لتكون معه»؟!

والمهم هو أنها بتصريحها أن أبغض البلدان إليها هو البلد الذي يكون فيه بنو هاشم؛ تكون قد شهدت على نفسها بأنها ناصبية! وتكون بذلك خارجةً عن الإسلام أيضاً، لأنها لم تدفع أجره الذي هو مودّة ذوي قُربى النبي صلى الله عليه وآله ، حيث يقول تعالى: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ»(١) وقد استبدلت عائشة مودّتهم ببُغضهم وكُرههم!

---

(١) الشورى: 24

- الصورة الثالثة عشرة: إنْ كانت عائشة هي رأس حرب التمرّد على أمير المؤمنين عليه السلام ؛ فإن عبد الله بن الزبير هو يدها ورجلها، ولولا تهييجه لها لما قامت حرب الجمل ولا استعَرَت.

وابن الزبير هذا كان ابن أخت عائشة، وعلاوة على هذه العلاقة الأسرية التي تربط بينهما؛ فإنه كانت ثمة علاقة خاصة بينهما، إذ لم يحظَ أحدٌ من ذوي قرباها بمثل ما حَظِيَ به عبد الله من القرب إلى قلبها والمحبة الشديدة، حتى أنها تكنّت باسمه[١] ومنحت للذي بشّرها بسلامته عشرة آلاف![٢] وأوصت إليه ووهبته الحجرة التي سيطرت عليها كما فصّلناه في الفصل الثاني.[٣]

قال عروة: «لم يكن أحدٌ أحبُّ إلى عائشة بعد رسول الله من أبي بكر وبعده ابن الزبير».[٤]

---

(١) راجع الاستيعاب لابن عبد البر بترجمة ابن الزبير، وأُسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير بترجمتها.

(٢) راجع سير أعلام النبلاء للذهبي ج 3 ص371.

(٣) راجع ص214 وص435 من كتاب الفاحشة.

(٤) راجع سير أعلام النبلاء للذهبي ج 3 ص371.

وقال هشام بن عروة: «ما سمعتُ عائشةَ وأمي أسماء تدعوان لأحد من الخلق دعاءهما لعبد الله».[١]

وقد علمتَ أن حبّ عائشة الشديد لابن الزبير حملها على حرب أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك مما تقدّم من كتابه عليه السلام إليها حيث جاء فيه: «ولا يحملنّكِ قرابة طلحة وحبّ عبد الله بن الزبير على الأعمال التي تسعى بكِ إلى النار»! وقال محمد بن أبي بكر لأخته حين سألت عن ابن الزبير بعد انتهاء المعركة: «ولِمَ تسألين عن عبد الله؟ فوالله ما سامكِ أحدٌ سواه»![٢]

ولعلّك تتساءل ههنا عن سرّ حب عائشة المفرط لابن الزبير، فإن أحداً من قرباها لم ينل مثله. لماذا لم نرَها مثلاً تخصّ أخاها محمداً بما خصّت به ابن الزبير من المحبة والمودة والدعاء له؟ بل رأيناها بدلاً من ذلك تبغضه وتدعو عليه بالإبادة والقتل وتسمّيه مذمَّماً![٣] ولماذا لم نجد نظير هذه العلاقة الوثيقة التي كانت تربط بينها وبين ابن الزبير؛ بينها وبين أخيها الذي هو من حيث القُربى أقرب؟

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 20 ص111 عن يحيى بن معين.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج 2 ص485، وسامك بمعنى أوردكِ حِياض الموت.

(٣) راجع ص531 من كتاب الفاحشة.

إن السر في ذلك هو أن محمد بن أبي بكر كان موالياً مخلصاً لعلي عليه السلام، أما عبد الله ابن الزبير فقد كان معادياً شديداً له! ولذا كرهت عائشة الأول فيما أحبّت الثاني!

كان ابن الزبير ناصبياً لدوداً لعلي وأهل البيت عليهم السلام، حكى عنه التاريخ أنه كان «يبغض علياً عليه السلام وينتقصه وينال من عِرضه»![1] حتى بلغ من كفره أن خطب يوم البصرة على رؤوس الأشهاد قائلاً: «قد أتاكم الوغد اللئيم علي بن أبي طالب»![2] وقد صرّح بنُصبه وبغضه لأهل البيت إذ يقول لابن عباس: «إني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة»![3] وكان أيام حُكمه وادعائه الخلافة لا يذكر النبي صلى الله عليه وآله بُغضاً لأهل بيته الذين وصفهم بأنهم «أُهَيْلُ سوء»! إذ يقول الزهري: «كان من أعظم ما أُنكر على عبد الله بن الزبير تركه ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبته، وقوله حين كُلِّمَ في ذلك: إن له أُهَيْلَ سوء إذا ذُكِرَ استطالوا ومدّوا أعناقهم

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 4 ص61.

(٢) المصدر نفسه ج 1 ص22.

(٣) المصدر نفسه ج 4 ص62 ومروج الذهب للمسعودي ج 5 ص163 وعنه سمط النجوم العوالي للعصامي ج 2 ص110.

لذكره»!(١) وقال عنهم: «والله ما كنتُ لآتي لهم سروراً وأنا أقدر عليه! والله لقد هممتُ أن أحظر لهم حظيرة ثم أضرمها عليهم ناراً! فإني لا أقتل منهم إلا آثماً كفّاراً سحّاراً! لا أنماهم الله! ولا بارك عليهم! بيت سوء! لا أول لهم ولا آخر»!(٢) وقد جمعهم بالفعل في الشعب ليحرقهم بالنار ولم ينقذهم إلا جيش المختار الذي أرسله إلى مكة لهذا الغرض فأنقذ أرواحهم في اللحظة الأخيرة!(٣)

وهذا اللعين هو الذي قلب أباه عن موالاة آل محمد عليهم السلام إلى معاداتهم ومحاربتهم، إذ يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «ما زال الزبير منّا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبد الله فقلبه»!(٤) وفي لفظ آخر: «فأفسده»!(٥)

وعلى هذا؛ لو أن عائشة كانت محبّة لعلي وأهل البيت عليهم السلام كما يدّعي المخالفون؛ لكان ينبغي أن نرى إعراضاً منها عن ابن الزبير، بل إنكاراً

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ج 2 ص418 ونحوه في العقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسي ج 4 ص413.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 20 ص127

(٣) راجع مروج الذهب للمسعودي ج 1 ص381 والأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ج 9 ص16.

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر ج 18 ص404 ونحوه في أُسد الغابة لابن الأثير ج 3 ص162.

(٥) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 4 ص79.

منها عليه، لأنه ناصبي وغد سافل خارج عن الإسلام لبغضه آل النبوة صلوات الله عليهم، ولا أقل من أن تعامله كما تعامل غيره من أقربائها. غير أنّا لم نجد من عائشة تجاهه إلا الحب المفرط والمودة البالغة والتفضيل له على من سواه، ولم نجده إلا بمنزلة الولد المدلّل عندها! وهذا كاشفٌ عن كونها مثله في النُّصب والعداء، بل هي التي أشربته ذلك لأنها كانت له أمّاً ومعلّمةً!

- الصورة الرابعة عشرة: قد مرّ أن عائشة تضرّعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام بأن يصفح عنها بعد معركة الجمل قائلةً: «ملكتَ فاسجح »، ففعل عليه السلام ذلك ومنَّ عليها وجعلها من جُملة طلقائه ولم يوقع عليها عقاباً مع أنها أعظم الناس جُرماً ورأس هذه الفتنة. إلا أنها مع ذلك لم تشكر عفوه عنها و إحسانه إليها بل ظلّت تنال منه وتحرّض عليه وتكتب الكتب في الحثّ على قتاله مجدّداً! ولنِعم ما قال الشاعر[١]:

إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكتَهُ   و إنْ أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمرّدا!

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي ج 1 ص288.

كان أمير المؤمنين عليه السلام قد أمر بإرجاع الحميراء إلى المدينة، وجَعل مَن يحرسها ويحوطها في هذا المسير نساءً ملثّمات لبسن أزياء الرجال حتى لا يتيح لها مجالاً لأن تقول غداً:

«قد هتك ابن أبي طالب ستري ووجّه معي الرجال»! إلا أنها (لعنها الله) مع ذلك فعلته إذ لِم تكن تعلم بأن هؤلاء نساء! وظلّت تنال من أمير المؤمني عليه السلام أثناء مسيرها إلى أن كشفت النسوة لها أنهنّ نساء لا رجال! فاضطرت لأن تعتذر وتبدي الندامة أمامهنّ إذ وبّخنها.

قال ابن عبد ربّه الأندلسي في ذكر العفو عند المقدرة: «منه قولهم: ملكتَ فاسجح ، وقد قالته عائشة رضوان الله عليها لعلي بن أبي طالب كرّم الله وجهه يوم الجمل حين ظهر على الناس، فدنا من هودجها وكلّمها فأجابته: ملكتَ فاسجح ، أي ظفرتَ فأحسِنْ. فجهَّزها بأحسن الجهاز وبعث معها أربعين امرأة، وقال بعضهم: سبعين؛ حتى قَدِمَتْ المدينة».[١]

وروى ابن أعثم: «ثم دعا علي رضي الله عنه بنسوة من نساء أهل البصرة فأمرهنَّ أن يخرجنَ مع عائشة إلى المدينة، فرحلت عائشة من

[١] العقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسي ج 1 ص287.

البصرة في تلك النسوة. وقد كان علي رضي الله عنه أوصاهنّ وأمرهنّ أن يتزَيَّيْنَ بزيِّ الرجال، عليهنّ العمائم، فجعلت عائشة تقول في طريقها: فعل بي عليٌّ وفعل ثم وجّه معي رجالاً يردّوني إلى المدينة! فسمعتها امرأة منهنّ فحرّكت بعيرها حتى دنت منها ثم قالت: ويحكِ يا عائشة! أما كفاكِ ما فعلتِ حتى أنكِ تقولين في أبي الحسن ما تقولين؟! ثم تقدّمتْ النسوة وسفرنَ عن وجوههنّ، فاسترجعت عائشة واستغفرت وقالت: هذا ما لقيتُ من ابن أبي طالب! ثم دخلت عائشة المدينة وصارت إلى منزلها نادمةً على ما كان منها، وانصرفت النسوة إلى منازلهنّ بالبصرة».(١)

وروى ابن قتيبة: «فبعث معها علي رضي الله عنه أربعين امرأة وأمرهنّ أن يلبسنَ العمائم ويتقلَّدْنَ السيوف، وأن يكُنَّ من الذين يلينها، ولا تطلّع على أنهنّ نساء. فجعلت عائشة تقول في الطريق: فعل الله في ابن أبي طالب وفعل! بعث معي الرجال! فلمّا قدِمْنَ المدينة وضعنَ العمائم والسيوف ودخلنَ عليها، فقالت: جزا الله ابن أبي طالب الجنة»!(٢)

(١) الفتوح لابن أعثم ج 2 ص484.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص98.

وروى المفيد: «ولمّا عزم أمير المؤمنين عليه السلام على المسير إلى الكوفة؛ أنفذَ إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة، فتهيَّأت لذلك، وأنفذ معها أربعين امرأة ألبسهنَّ العمائم والقلانس، وقلَّدَهُنَّ السيوف، وأمرهنَّ أن يحفظنها ويكُنَّ عن يمينها وشِمالها ومن ورائها، فجعلتْ عائشة تقول في الطريق: اللهم افعل بعلي بن أبي طالب وافعل! بعث معي الرجال! ولم يحفظ بي حرمة رسول الله! فلمّا قَدِمْنَ المدينة معها؛ ألقيْنَ العمائم والسيوف ودخلنَ معها، فلمّا رأتهنَّ ندمت على ما فرَّطتْ بذمِّ أمير المؤمنين عليه السلام وسبّه، وقالت: جزا الله ابن أبي طالب خيراً فلقد حفظ فيَّ حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله».(١)

إن مما يبعث على السخرية أن عائشة التي تلوم وتسبّ أمير المؤمنين عليه السلام على أنه لم يحفظ حُرمة رسول الله صلى الله عليه وآله فيها وبعث معها رجالاً يحرسونها.. هي نفسها التي خرجت في جيش جرّار أحاطت بها الرجال من كل جانب إلى البصرة! أليست هي التي هتكت حرمة وحجاب رسول الله صلى الله عليه وآله أصلاً؟! ألم يكن الرجال آخذين بخطام جملها يوم البصرة

(١) الجمل للمفيد ص221.

محتشدين عن يمينها وشمالها تحرّضهم على القتال؟! ألم يكن الرجال يطوفون بها ويأخذون بعْرَ جملها من ورائها يشمّونه قائلين: «بَعْرُ جملِ أُمِّنا ريحه ريح المسك»؟! فكيف لم تعتبر نفسها هاتكةً للحُرمة واعتبرت ابن أبي طالب عليهما السلام هاتكاً لها؟! سبحان الله! هذا مع أنه قد تبيّن أن مَن كان حولها حين رجوعها إلى المدينة إنما هنّ نسوة تزيَّيْن بزيِّ الرجال لا غير!

حقاً.. إنها العقربُ تلدُغُ وتَصيءُ!

وإنه لأمرٌ يُضحك الثكلى أن تتحدث عائشة عن الحُرمة كما تتحدّث العاهرة عن الشرف! وحقاً.. إن أنتَ أكرمتَ اللئيم تمرّدا! فإن عائشة ما إن وصلت إلى المدينة حتى بدأت حملة تحريض جديدة ضد أمير المؤمنين عليه السلام!

روى ابن إسحاق أن عائشة حين «وصلت إلى المدينة راجعةً من البصرة؛ لم تزل تحرّض الناس على أمير المؤمنين عليه السلام! وكتبت إلى معاوية

وأهل الشام مع الأسود ابن أبي البختري تحرّضهم عليه»![1] وفي رواية عماد الدين الطبرسي أن معاوية لمّا تلقى الكتاب قرأه على وجوه أهل الشام فتشجّعوا على إعداد الحرب لعلي عليه السلام في صفين![2]

وهذا الأمر عدا عن أنه يكذِّبَ توبتها وندمها؛ فإنه يثبت مُقامها على النُّصب والعداوة لأمير المؤمنين صلوات الله عليه، إذ لا يهدأ لها بال إلا بالإعداد لشنّ حرب جديدة عليه! وهو ما حصل إذ كانت وقعة صفين التي شاركت عائشة في إضرام نيرانها بكتابها إلى معاوية!

- الصورة الخامسة عشرة: ظلّت عائشة تتربّص الموت بأمير المؤمنين عليه السلام ، إذ لا يشفي صدرها الممتلئ حقداً عليه إلا هذا الخبر؛ أن

(١) الشافي للشريف المرتضى ج 4 ص356 والاقتصاد للشيخ الطوسي ص229 كلاهما عن ابن إسحاق. والأسود بن أبي البختري (لعنه الله) قُتِل أبوه يوم بدر فظلّ حاقداً على رسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما وآلهما، ولمّا جاء فتح مكة اضطر لأن يُسلم خوفاً، ثم صار من أزلام معاوية وشفى غليله حين سيّره مع بُسر ابن أرطأة إلى المدينة ليقتل شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ! وتواصل عائشة مع هذا الرجل الناصبي وتحميلها إياه كتابها إلى معاوية يؤكد أنها كانت تعيش في محيط النواصب وهي جزء منه، ذلك المحيط النجس الذي يتآمر فيه أهله للقضاء على أهل بيت رسول الله صلى الله عليهم أجمعين.

(٢) أسرار الإمامة لعماد الدين الحسن بن علي الطبرسي، نسخة الكترونية عن المخطوط.

علياً قد مات! أما إن قيل: إنه قُتِل قتلاً؛ فلا شك أن ذلك اليوم يكون يوم سرورها وفرحها بل وطربها!

وهذا هو الذي جرى فعلاً؛ فقد روى الطبري وابن الأثير وأبو الفرج وابن الدمشقي الشافعي وابن سعد والبلاذري، واللفظ للأول قال: «لمّا انتهى إلى عائشة قتل علي رضي الله عنه قالت[١]:

فألقتْ عَصاها واستقرَّت بها النَّوى كما قرَّ عيْناً بالإيابِ المُسافرُ!

ثم قالت: من قتله؟ فقيل: رجلٌ من مُراد. فقالت[٢]:

فإنْ يكُ نائِياً فلقد نعاهُ غلامٌ ليسَ في فيهِ التُّرابُ!

---

(١) النّوى هو الوجه الذي ينويه المسافر من قُربٍ أو بعد. والبيت لعبد ربّه السُّلَمي أو سُلَيم بن ثمامة الحنفي أو لبيد بن ربيعة أو معقر بن حمار البارقي، راجع لسان العرب لابن منظور ج 15 ص65. وهو يُضرب مثلاً للفرح والبهجة بخبر تهدأ به النفس وترتاح وتقرّ به العين كما تستقرّ المسافرة في منزلها وتلقي عصاها وتقرّ عينها! وعادةً ما يتمثّل بهذا البيت الذين قتلوا خصومهم أو بلغهم ذلك، كما فعله المنصور حين قتل أبا مسلم الخراساني، راجع سير أعلام النبلاء للذهبي ج 6 ص70.

(٢) تريد أنه عليه السلام وإن كان بعيداً إلا أن خبر نعيه جاءها بشارةً من فم الثقة الذي لا يكذب وهو سفيان بن عبد شمس بن أبي وقاص الزهري كما في تاريخ الطبري ج 5 ص150.

فقالت زينب بنت أبي سلمـة:(١) أَ لعليٍّ تقــولين هذا؟! فقالت: إني أنســى! فإذا نسيــتُ فذكّروني»!(٢) وفي رواية المفيد: «فقالت لها زينب بنت أبي سلمة: أَ لعليٍّ تقولين؟! فتضاحكت ثم قالت: أنسى! فإذا نسيتُ فذكّروني! ثم خرّت ساجدةً شكراً على ما بلغها من قتله»!(٣)

ويؤكد سجودها شكراً أبو الفرج الأصبهاني في ما يرويه بسنده عن عـمرو بـن مـرة عـن أبي البختري قـال: «لمّـا أن جـاء عـائـشةَ قــتلُ عليٍّ سجدت»!(٤)

أمـا الـزبير بـن بـكّار فيروي عـن زيـنب بـنت أبي سـلمة أن عـائـشة اعتبرت أن الله تعالى قد قتل عليّاً بيد عبد الرحمن بن مُلجم المرادي! قالت زينب: «كنتُ يوماً عند عائشة ابنة أبي بكر الصديق زوج النبي صلى الله عليه وآله ،

(١) وهي ربيبة رسول الله صلى الله عليه وآله إذ هي بنت زوجه أم سلمة سلام الله عليها.

(٢) تاريخ الطبري ج 4 ص115 والكامل في التاريخ لابن الأثير ج 3 ص394 ومقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ص26 وجواهر المطالب لابن الدمشقي الشافعي ج 2 ص104 ونحوه في طبقات ابن سعد ج 3 ص40 وأنساب الأشراف للبلاذري ص505.

(٣) الجمل للمفيد ص84.

(٤) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ص27.

فإني لعندها إذ دخل رجلٌ مُعتَمٌّ عليه أثر السفر، فقال: قُتِلَ علي بن أبي طالب عليه السلام! فقالت عائشة:

إنْ تكُ ناعياً فلقد نعاهُ　　　نَعِيٌّ ليسَ في فيهِ التُّرابُ!

ثم قالت: مَن قتله؟ قالوا: رجلٌ من مُراد. قالت: رُبَّ قتيل الله بيديْ رجلٍ من مُراد! قالت زينب: فقلتُ: سبحان الله يا أم المؤمنين! أَ تقولين هذا لعليٍّ في سابقته وفضله؟!

فضحكت وقالت: بسم الله! إذا نسيتُ فذكّريني»![١]

هذه هي الملعونة عائشة! ففي الوقت الذي يهدُّ استشهاد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أركان المؤمنين والمؤمنات؛ تفرح وتستبشر وتضحك!

وفي الوقت الذي يصيح فيه جبرئيل عليه السلام بين السماء والأرض: «تهدّمت والله أركان الهدى، وانطمست والله نجوم السماء وأعلام التُّقى، وانفصمت والله العروة الوثقى، قُتِل ابن عم محمد المصطفى، قُتِل الوصي

---

(١) الأخبار الموفقيات للزبير بن بكّار ص121.

المـجتبى، قُـتِل علي المـرتضى، قُـتِل والله سـيد الأوصـياء، قـتله أشـقى الأشقياء»[١] في هذا الوقت تسجد عائشة شكراً وتعبّر عن عينها بأنها قرّت إذ تتشمّت قائلةً:

فألقتْ عَصاها واستقرَّ بها النَّوى كما قرَّ عيْناً بالإيابِ المُسافرُ!

وفي الوقت الذي يصف فيه جبرئيل عليه السلام ومن قبله رسول الله صلى الله عليه وآله عبد الرحمن بن ملجم المرادي (لعنه الله) بأنه «أشقى الأشقياء»[٢] تأتي عائشة لتثني عليه بقولها: «رُبَّ قتيل الله بيديْ رجلٍ من مُراد»! فعبد الرحمن عندها يد الله التي قتلت عليّاً!

وحين تنكر زينب بنت أبي سلمة عليها ذلك؛ تضحك وتتهكّم قائلةً: «إني أنسى! إذا نسيتُ فذكّروني»! وكيف لا تغتبط وتتهكّم وقد شُفي صدرها برحيل مَن تراه أكبر أعدائها؟! وكيف يُراد منها أن لا تفرح وقد انهدّ الجبل الذي كان محاصراً لها؟!

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 42 ص282.

(٢) هكذا وصفه النبي صلى الله عليه وآله وكان من جُملة إخباراته الغيبية المشهورة. راجع ما رواه الحاكم في مستدركه ج 3 ص113 والبيهقي في سننه ج 8 ص59 والطبراني في معجمه ج 1 ص106 وغيرهم كثير.

الآن صار بإمكانها أن تخرج إلى الشارع وتنفلت من مربطها ولا أحدٌ يسيطر عليها أو يجبرها على القرار في بيتها تنفيذا لحكم القرآن! ها قد رحل القرآن الناطق علي بن أبي طالب عليه السلام وغابت سلطته التي حالت دون أن تغدو عائشة «امرأة متحررة» تحقق ما تشاء من نزواتها ورغباتها!

الآن تحرّرت عائشة وانفكّت عنها قيودها! وتحرّر معها كل المنافقين والفاسقين والمجرمين والمفسدين! فوقفت الحميراء لتبشّرهم بذلك معلنةً بداية عهد جديد لا وجود فيه لأبي الحسن وأوامره ونواهيه! فليصنعوا ما شاءوا فليس أحدٌ ينهاهم!

روى ابن عبد البر والمحب الطبري والصفدي وابن قتيبة: «قالت عائشة رضي الله عنها لمّا بلغها قتل علي: لتصنع العرب ما شاءت فليس أحدٌ ينهاها»![١]

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ج 1 ص346 والرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري ص296 والوافي بالوفيات للصفدي ج 6 ص446 والجوهرة للبرّي ص122 عن ابن قتيبة في المعارف.

- الصورة السادسة عشرة: من شدة ابتهاج عائشة باستشهاد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) سمّت أحد غلمانها باسم عبد الرحمن حبّاً في عبد الرحمن بن ملجم الذي حقّق لها أعظم أمانيها!

روى المفيد والمرتضى - واللفظ للأخير - عن مسروق قال: «دخلتُ على عائشة فجلستُ إليها فحدّثتني واستدعت غلاماً لها أسود يُقال له: عبد الرحمن؛ حتى وقف. فقالت: يا مسروق؛ أَتدري لمَ سمَّيْتُه عبد الرحمن؟ فقلتُ: لا. فقالت: حبّاً مني لعبد الرحمن ابن ملجم»![١] وفي رواية أبي الصلاح الحلبي أنها قد أعتقت هذا الغلام بعد ذلك![٢]

- الصورة السابعة عشرة: لم ترَ عائشة ما مرّ من السجود شكراً و إنشاد أبيات الفرح و إعلان البشارة وتسمية عبدٍ لها بعبد الرحمن.. لم ترَ ذلك كافياً لإفراغ بهجتها وفرحها باستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، فأضافت إلى كل ذلك توزيعها أربعين ديناراً على مبغضيه كهدايا نقدية بهذه المناسبة السعيدة!

(١) الجمل للمفيد ص84 والشافي في الإمامة للمرتضى ج 4 ص356.

(٢) تقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي ص411.

هذا السرّ هو ما كشفه مولانا الإمام الحسن المجتبى (صلوات الله عليه) حين جَبَه به عائشة التي تصنّعت تأسفاً كاذباً على استشهاد أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فتصدّى لها الإمام الحسن عليه السلام بما أسقط في يدها حين واجهها بهذا السرّ. ولم تستحِ المرأة إذ انكشف ذلك؛ بل أخذتها العزة بالإثم فأقرّت وباحت بمكنون صدرها تجاه علي وأهل البيت عليهم السلام أكثر وأكثر! وصرّحت بأن مقتل علي عليه السلام قد أشفاها!

روى الحافظ رجب البُرسي أنه لمّا قَدِمَ الإمام الحسن عليه السلام من الكوفة إلى المدينة بعد الصلح «جاءت النسوة يعزّينه في أمير المؤمنين عليه السلام، ودخلت عليه أزواج النبي صلى الله عليه وآله، فقالت عائشة: يا أبا محمد؛ ما مِثْلَ فَقْدِ جدّك إلا يومَ فُقِدَ أبوك! فقال لها الحسن عليه السلام: نسيتِ نبشكِ في بيتكِ ليلاً بغير قَبَسٍ بحديدة حتى ضربت الحديدة كفَّكِ فصارت جُرحاً إلى الآن فأخرجتِ جَرْداً أخضر[1] فيه ما جمعتِه من خيانة حتى أخذتِ منه أربعين

[1] الجَرْدُ والجَرْدة: البُردةُ المُنْجَرِدَةُ الخَلَقُ، أي قماش أو كساء انجَرَدَ خَمْلُها وخَلَقَتْ، تُحفظ فيها الأشياء كالنقود وتُربط من ثمَّ.

ديناراً عدداً لا تعلمين لها وزناً ففرّقتيها في مبغضي علي صلوات الله عليه من تَيْمٍ وعَدِيٍّ وقد تشَفَّيْتِ بقتله! فقالت: قد كان ذلك»![١]

وفي رواية الحسين بن حمدان الخصيبي تفصيل أكثر، فقد روى بسنده عن المفضّل بن عمر الجُعفي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «لمّا قَدِمَ أبو محمد الحسن بن علي عليهما السلام من الكوفة؛ تلقّاه أهل المدينة معزّينَ بأمير المؤمنين عليه السلام ومهنّينَ بالقدوم. ودخلت عليه أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقالت عائشة: والله يا أبا محمد ما فُقِدَ جدّك إلا حين فُقِدَ أبوك، ولقد قلتُ يوم قام عندنا ناعيه قولاً صدقتُ فيه وما كذبتُ! فقال لها الحسن عليه السلام : عسى هو تمثّلكِ بقول لبيد بن ربيعة حيث يقول:

فبشَّرَتْها واستعجلتْ عن خِمارها وقد تستخِفُّ المعجَّلينَ البشائرُ

وأخبرَها الرُّكبانُ أنْ ليس بينها وبين قُرى نجرانَ والشام كافرُ

فألقتْ عَصاها واستقرَّ بها النَّوى كما قرَّ عيْناً بالإيابِ المُسافرُ

---

(١) مشارق أنوار اليقين للحافظ رجب البُرسي ص134 وعنه إثبات الهداة للحر العاملي ج 2 ص559.

ثم أتبعتِ الشعر بقولكِ: أما إذا قُتِل عليٌّ فقولوا للعرب تعمل ما تشاء! فقالت له: يابن فاطمة! حذوتَ حذوَ جدّك وأبيك في علم الغيب؟! من الذي أخبرك بهذا عنّي؟! فقال لها: ما هذا غيبٌ لأنكِ أظهرتيه وسُمِعَ منكِ! والغيب نبشُكِ عن جَرْدٍ أخضرٍ في وسط بيتك بلا قبس، وضربتِ بالحديدة كفّكِ حتى صار جُرحاً وإلا فاكشفي عنه وأريهِ مَن حولَكِ من النساء! ثم إخراجكِ الجَرْدَ وفيه ما جمعتِهِ من خيانةٍ! وأخذتِ منه أربعين ديناراً عدداً لا تعلمين ما وزنها، وتفريقكِ لها في مبغضي أمير المؤمنينذمن تيْمٍ وعَدِيٍّ شكراً لقتل أمير المؤمنينذ! فقالت: يا حسن! والله لقد كان ما قلتَه! ولله ابن هند لقد شفى وأشفاني! فقالت لها أم سلمة زوجة رسول الله ﷺ: ويحكِ يا عائشة! ما هذا منكِ بعجب! وإني لأشهد عليكِ أن رسول الله ﷺ قال لي وأنت حاضرة وأم أيمن وميمونة: يا أم سلمة؛ كيف تجديني في نفسكِ؟ فقلتُ: يا رسول الله؛ أجده قُرباً ولا أبلغه وصفاً. فقال: فكيف تجدين علياً في نفسكِ؟ فقلتُ: لا يتقدّمَك يا رسول الله ولا يتأخّرُ عنكَ، وأنتما في نفسي بالسواء. فقال: شكر الله لكِ ذلك يا أم سلمة، فلو لم يكن عليٌّ في نفسك مثلي لبرئتُ منكِ في الآخرة ولم ينفعكِ قُربي منكِ في الدنيا. فقلتِ أنتِ لرسول الله ﷺ: وكذا كل أزواجك يا رسول الله؟

فقال: نعم. فقلتِ: والله ما أجد لعليٍّ في نفسي موضعاً قريباً أو بعيداً! فقال لكِ: حسبكِ يا عائشة! فقالتْ:(١) يا أم سلمة! يمضي محمد ويمضي علي ويمضي الحسن مسموماً ويمضي الحسين مقتولاً كما أخبر جدّهما! فقال لها الحسن عليه السلام : فما أخبركِ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وبأي موتةٍ تموتين و إلى ما تصيرين؟ قالت له: ما أخبرني إلا بخير! فقال الحسن عليه السلام : تالله لقد أخبركِ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله أنكِ تموتين بالداء والدُّبَيْلةِ(٢) وهي ميتة أهل النار! و إنك تصيرين أنتِ وحزبكِ إلى النار! فقالت: يا حسن متى قال هذا؟ قال: حيث أخبركِ بعداوتكِ علياً أمير المؤمنين عليه السلام و إنشائكِ حرباً تخرجين فيها عن بيتكِ متأمّرةً على جمل ممسوخ من مَرَدة الجنّ يُقال له بكير،(٣) وأنكِ تسفكين دمَ خمسة وعشرين ألف رجلٍ من المؤمنين الذين يزعمون أنكِ أمّهم! قالت له: جدّك أخبركَ بهذا أم هذا من علم غيبكَ؟! قال لها: من علم غيب الله وعلم رسوله صلى الله عليه وآله وعلم أمير

(١) أي عائشة بعدما شهدت عليها أم سلمة (سلام الله عليها) وذكّرتها بهذا الحديث.

(٢) الدُّبَيْلة: خُراجٌ ودُمَّلٌ كبير يظهر في جوف الإنسان فيقتله.

(٣) قد سبق أن أمير المؤمنين عليه السلام نصّ على أن هذا الجمل كان شيطاناً من الجن، وهنا معلومة جديدة هي أن اسم ذلك الشيطان هو بكير، فلمّا مُسخ إلى جمل صار اسمه عسكر كما تقدّم.

المؤمنين عليه السلام . قال:[1] فأعرضت عنه بوجهها وقالت في نفسها: والله لأتصدَّقَنَّ بأربعين ديناراً! ونهضت. فقال لها الحسن عليه السلام : والله لو تصدَّقْتِ بأربعين قنطاراً ما كان ثوابكِ عليها إلا النار»![2]

إن مما يلفت النظر في هذا الخبر قول عائشة بعدما واجهها الحسن عليه السلام بحقيقة أنها وزّعت أربعين ديناراً استبشاراً بمقتل أمير المؤمنين عليه السلام : «يا حسن! والله لقد كان ما قلتَه! ولله ابن هند لقد شفى وأشفاني»! وهذا تصريح منها بالابتهاج باغتياله عليه السلام والثناء على قاتله! والظاهر من السياق أنها تثني على عبد الرحمن بن ملجم الذي أشفاها بما فعل، وإن كان الاحتمال الآخر هو أنها تثني على معاوية، فهو ابن هند بنت عتبة كما هو معلوم، غير أنه بعيد، فالأرجح أنها تعني ابن ملجم، فيكون اسم أمه هند أيضاً. وإني لم أظفر باسمها وكل ما ظفرت به هو أنها وُصفت باليهودية في حديث أمير المؤمنين عليه السلام : «قتلني ابن اليهودية».[3] وعلى أيٍّ كان؛ فإن ثناءها على ابن ملجم أو ابن أبي سفيان كاشفٌ عن

---

(١) أي الإمام الصادق عليه السلام راوي الحديث.

(٢) الهداية الكبرى للخصيبي ص196 وعنه مدينة المعاجز للبحراني ج 2 ص80.

(٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 42 ص284.

حبّها للخوارج والباغين والنواصب المعادين لأمير المؤمنين صلوات الله عليه.

ومما يلفت النظر أيضاً في هذا الخبر تذكير أم سلمة (سلام الله عليها) لعائشة بقولها الذي قالته في محضر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله : «والله ما أجد لعليٍّ في نفسي موضعاً قريباً أو بعيداً»! فإنها قد صرّحت بأنها لا تحبّ علياً عليه السلام ولا تحترمه لا من قريب ولا من بعيد! هذا مع أن النبي صلى الله عليه وآله قد قال أمامها للتوّ أن التي تكون من أزواجه ولا ترى لعليٍّ من المنزلة مثل ما له فإنه سيبرأ منها في الآخرة ولن ينفعها قُربه منها في الدنيا! أي أن عائشة استهانت بهذا التحذير النبوي ولم تُقِمْ له اعتباراً فأصرّت على نُصبها وكُرهها لأمير المؤمنين عليه السلام ! وهذا يُفضي إلى تأكيد أنها كانت منافقة، لأن المؤمن لا يسعه إذا ما سمع تحذيراً كهذا إلا أن يعالج نفسه لئلّا يخسر الآخرة ويصلى نار جهنّم ببغضه علياً عليه السلام ، وهذا هو ما فعله بُريدة

الأسلمي[١] (رضوان الله تعالى عليه) الذي كان في بادئ الأمر ناصبيّاً ثم تاب بعدما حذّره النبي صلى الله عليه وآله فغدا من شيعة علي عليه السلام ومحبّيه. أما عائشة فلم

(١) روى الشيخ الطوسي في أماليه ص249 بسنده عن عبد الله بن بُريدة عن أبيه قال: «بعث رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد كل واحد منهما وحده، وجمعهما فقال: إذا اجتمعتما فعليكم علي. قال: فأخذنا يميناً أو يساراً. قال: وأخذ علي فأبعد، فأصاب سبياً فأخذ جارية من الخمس. قال بريدة: وكنت أشد الناس بغضاً لعلي وقد علم ذلك خالد بن الوليد، فأتى رجل خالداً فأخبره أنه أخذ جارية من الخمس فقال: ما هذا؟ ثم جاء آخر، ثم أتى آخر، ثم تتابعت الأخبار على ذلك، فدعاني خالد فقال: يا بريدة؛ قد عرفت الذي صنع ، فانطلق بكتابي هذا إلى رسول الله فأخبره. وكتب إليه. فانطلقت بكتابه حتى دخلتُ على رسول الله وأخذ الكتاب فأمسكه بشماله، وكان كما قال الله لا يكتب ولا يقرأ، وكنت رجلاً إذا تكلمتُ طأطأت رأسي حتى أفرغ من حاجتي، فطأطأت وتكلّمتُ، فوقعت في عليٍّ حتى فرغت! ثم رفعت رأسي فرأيت رسول الله قد غضب غضباً شديداً لم أره غضب مثله قطُّ إلا يوم قريظة والنضير! فنظر إلي فقال: يا بريدة! إن علياً وليّكم بعدي، فأحب علياً فإنما يفعل ما يُؤمر. قال: فقمتُ وما أحدٌ من الناس أحبُّ إليَّ منه. وقال عبد الله بن عطاء: حدثت بذلك أبا حرب بن سويد بن غفلة، فقال: كتمك عبد الله بن بريدة بعض الحديث أن رسول الله قال له: أنافقت بعدي يا بريدة»؟!

وعن طريق المخالفين روى النسائي في الخصائص ص99 عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: «بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن مع خالد بن الوليد، وبعث عليا رضي الله عنه على جيش آخر، وقال: إن التقيتما فعليٌّ كرم الله وجهه على الناس، و إن تفرّقتما فكلُّ واحدٍ منكما على جنده. فلقينا بني زيد من أهل اليمن وظفر المسلمون على المشركين، فقاتلنا المقاتلة وسبينا الذرية، فاصطفى علي جارية لنفسه من السبي، وكتب بذلك خالد بن الوليد إلى النبي صلى الله عليه وآله وأمرني أن أنال منه! قال: فدفعتُ الكتاب إليه ونلتُ من علي رضي الله عنه! فتغيّر وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: لا تبغضنَّ يا بريدة لي عليّاً، فإن عليّاً مني وانا منه وهو وليّكم بعدي».

وفي رواية الطبراني في المعجم الأوسط ج 6 ص163 قال صلى الله عليه وآله «يا بريدة! أما علمتَ أن لعليٍّ أكثر من الجارية التي أخذ وأنه وليكم بعدي؟! فقلتُ: يا رسول الله؛ بالصحبة إلا بسطتَ يدكَ حتى أبايعكَ على الإسلام جديداً! فما فارقتُه حتى بايعته على الإسلام». أي أن بُريدة (رضوان الله تعالى عليه) اعتبر نفسه قد كفر لأنه أبغض عليّاً عليه السلام فبايع النبي صلى الله عليه وآله على الإسلام جديداً، فقارن ذلك بموقف عائشة التي لم تُبدِ أي اهتمام!

تكترث ولم تهتم، وهذا يؤكد كفرها الباطني وعدم إيمانها الحقيقي بنبوة خاتم الأنبياء ﷺ كما مرّ من دلائل على ذلك في الفصل الثالث - من كتاب الفاحشة -. والنتيجة هي أن عائشة (لعنها الله) لا يمكن أن تجتمع برسول الله ﷺ في الجنة كما يتوهّم الحالمون، إذ هو بريء منها بمقتضى هذا الحديث والإقرار منها، وهي الآن في النار كما أنذرها الإمام الحسن عليه السلام بقوله عن جدّه ﷺ: «وإنك تصيرين أنتِ وحزبكِ إلى النار»!

ومما يلفت النظر أيضاً قول عائشة لأم سلمة بعدما ذكّرتها بذلك الحديث الذي فيه إدانة لها من رسول الله ﷺ: «يا أم سلمة! يمضي محمد ويمضي علي ويمضي الحسن مسموماً ويمضي الحسين مقتولاً كما أخبر جدّهما»! وهو يومئ إلى مدى كراهيتها للنبي وآله عليهم السلام واستخفافها بهم! فهم في نظرها يمضون ويرحلون بالسم والقتل فيخلو لها الجوّ لما تريد!

والطريف أن عائشة بعدما خوّفها الإمام الحسن عليه السلام بأن مصيرها إنما هو إلى النار؛ أسرّت في نفسها قائلةً: «والله لأتصدَّقَنَّ بأربعين ديناراً»! وكأنها ظنّت - في لحظة وخز فطرة وضمير - أن ذلك يكفّر عنها تفريقها أربعين ديناراً في مبغضي أمير المؤمنين عليه السلام بعدما استُشهد. وكان ردّ الإمام

الحسن عليه السلام حاسماً على ما قالته في نفسها وأطلعه الله عليه: «والله لو تصدَّقْتِ بأربعين قنطاراً ما كان ثوابكِ عليها إلا النار»! أي أنه لا توبة حقيقية يمكن أن تُرتجى من عائشة! كما لا عمل يُقبل منها إذ «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ».(١) وأي تقوى لرأس الكفر وقرن الشيطان وأم النواصب؟!

وأما ما أبانه السبط الأكبر عليه السلام من أن عائشة أخذت أربعين ديناراً من جَرْدٍ أخضر فيه ما جمعت «من خيانة» فنترك شأنه إلى الفصل الذي نثبت فيه خيانتها في الفراش، فإن في هذا كلاماً شديد المِراس نوكله إلى محلّه إن شاء الله تعالى، فتريّث.

- الصورة الثامنة عشرة: قد مضى في الفصل الثاني - من كتاب الفاحشة - أن عائشة استولت على الحجرة النبوية المقدسة وضمّتها إلى حجرتها مستقويةً بسلطان أبيها وصاحبه اللذيْن ما إن هلكا حتى أدخلتهما في تلك الحجرة ودفنتهما غصباً إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله .

---

(١) المائدة: 28

ثم إن عائشة تركت الحجرة وانتقلت للعيش في بيت أرحب وأوسع هو على مسافة من المسجد النبوي الشريف، ويبدو أنها انتقلت إليه ضمن حركة التمدد العمراني في المدينة المنورة، ولعله كان قد وُهب لها من معاوية أو أنها اشترته بما كنزته من «مال سياسي» كان يرشوها به! فإن ابن أبي سفيان كان يغدق عليها من أموال المسلمين مبالغ ضخمة يشتري بها سكوتها عنه في السنوات الأولى من حكمه، حيث خاف أن تنقلب عليه كما انقلبت على عثمان وأسقطت حكمه، فمعلومٌ أن عائشة ليس لها قرار!

ومن الصور التاريخية المنقولة عن رشاوى معاوية لعائشة: ما رواه ابن كثير من أن معاوية بعث إليها وهي بمكة بطوق قيمته مئة ألف، فقبلته! وأنه قضى عنها ثمانية عشر ألف دينار![1] وما رواه أبو نعيم من أن معاوية أهدى لها ثياباً وورقاً وأشياء توضع في أسطوانها![2] وما رواه ابن سعد من أنه بعث لها في ليلة واحدة مبلغاً عظيماً من المال يتجاوز عشرة

---

(١) راجع سيرة ابن كثير ج 7 ص137 وج 8 ص136.

(٢) راجع حلية الأولياء لأبي نعيم ج 2 ص48.

آلاف درهم![1] وأن والي معاوية على البصرة عبد الله بن عامر أرسل إليها بنفقة وكسوة من بيت مال البصرة![2]

ومهما يكن؛ فإن عائشة لم تنتقل للسكن في ذلك البيت الجديد إلا بعدما أقفلت باب الحجرة النبوية المقدسة إشعاراً بإصرارها على ملكيّتها لها وحرصاً على أن لا تعود الحجرة إلى الورثة الشرعيين من آل محمد عليهم السلام !

وكان الإمام الحسن المجتبى (صلوات الله عليه) قد أوصى قبيل استشهاده بأن يُدفن إلى جوار جدّه صلى الله عليه وآله أو يُجدّد عهدا به لأنه الأحق به والأولى بميراثه، فلمّا استشهد وأراد وصيّه الإمام الحسين (صلوات الله عليه) إنفاذ الوصية؛ ركبت عائشة من بيتها بغلاً وجاءت إلى الحجرة المقدسة وهي تقود عصابة من أوغاد بني أمية لمنع دفن الحسن عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وآله ! متذرّعةً بأن «البيت بيتها»! ومصرّحةً بأنها «لا تريد أن يُدفن فيه مَن لا تحبّ»! ثم إنها أمرت برشق جنازة سبط رسول الله صلى الله عليه وآله بالسهام وشاركت بنفسها في ذلك! الأمر الذي كاد أن يوقع حرباً تُسفك فيها

---

(١) راجع الطبقات الكبرى لابن سعد 5 ص18.

(٢) راجع مسند أحمد ج 6 ص77.

الدماء من جديد، فاضطر الإمام الحسي عليه السلام لأن يعدل بالجنازة إلى البقيع حيث دُفن أخوه عليه السلام هناك التزاماً بوصيته بأن لا يُهراق الدم في تشييعه ودفنه مهما يكن.

والنصوص التاريخية التي تروي هذه الحادثة الشهيرة كثيرة مبثوثة في مصادر الفريقيْن، فمنها ما رواه ابن عبد البر: «لمّا مات الحسن أرادوا أن يدفنوه في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأبتْ ذلك عائشة! وركبت بغلةً وجمعت الناس! فقال لها ابن عباس: كأنكِ أردتِ أن يُقال: يوم البغلة كما قيل يوم الجمل؟! قالت: رحمكَ الله؛ ذاك يومٌ نُسِيَ! قال: لا يومَ أذْكَرُ منه على الدهر»![١]

ومنها ما رواه المسعودي: «وكان الحسين عليه السلام قد عزم على دفنه مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، فمنعت عائشة من ذلك وركبت بغلة لها وخرجت تؤلِّب الناس عليه وتحرّضهم! فلمّا رأى الحسين عليه السلام ذلك دفنه بالبقيع مع أمه، ولقيها بعض بني هاشم - ورُوي أن ابن عباس لَقِيَها - منصرفةً إلى منزلها فقال لها: أما كفاكِ أن يُقال يوم الجمل حتى يُقال يوم البغل! يوماً على جمل

---

(١) بهجة المجالس لابن عبد البر ص34.

ويوماً على بغل بارزةً عن حجاب رسول الله ﷺ؛ تريدين إطفاء نور الله! والله متمّ نوره ولو كره المشركون، إنا لله و إنا إليه راجعون. فقالت له: إليك عنّي أفٍّ لك»![١]

ومنها ما رواه ابن عساكر عن عبّاد بن عبد الله بن الزبير قال: «سمعتُ عائشةَ تقول يومئذ: هذا الأمر لا يكون أبداً! يُدفن (الحسن) ببقيع الغرقد ولا يكون لهم رابعاً، والله إنه لبيتي أعطانيه رسول الله في حياته! وما دُفن فيه عمر وهو خليفة إلا بأمري! وما أثر علي عندنا بحسن»![٢]

ومنها ما رواه أبو الفرج الأصبهاني عن علي بن طاهر بن زيد قال: «لمّا أرادوا دفنه ركبت عائشة بغلاً واستنفرتْ بني أمية ومروان بن الحكم ومن كان هناك منهم ومن حشمهم! وهو القائل: فيوماً على بغل ويوماً على جمل»![٣]

---

(١) إثبات الوصية للمسعودي ص173.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ج 13 ص293.

(٣) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصبهاني ج 1 ص20.

ومنها ما رواه سبط ابن الجوزي عن الواقدي وابن سعد: «لمّا احتضر الحسن قال: ادفنوني عند أبي، يعني رسول الله ﷺ، فأراد الحسين أن يدفنه في حجرة رسول الله ﷺ فقامت بنو أمية ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص - وكان والياً على المدينة - فمنعوه! وقامت بنو هاشم لتقاتلهم، فقال أبو هريرة: أَ رأيتم لو مات ابنٌ لموسى؛ أما كان يُدفن مع أبيه؟! قال ابن سعد: ومنهم أيضاً عائشة! وقالت: لا يُدفن مع رسول الله أحد»!(١)

ومنها ما رواه اليعقوبي وابن أعثم وأبو الفداء، واللفظ للأول قال: «قيل إن عائشة ركبت بغلةً شهباء وقالت: بيتي لا آذنُ فيه لأحد! فأتاها القاسم بن محمد بن أبي بكر، فقال لها: يا عمة! ما غسّلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر؛ أَ تريدين أن يُقال: يوم البغلة الشهباء»؟!(٢)

وجاء أحد أقارب عائشة ليخفّف من جُرمها بدعوى أن مروان بن الحكم وبني أمية كادوا أن يقاتلوا بني هاشم يومذاك لمنعهم من دفن الحسن عليه السلام إلى جنب جده ﷺ؛ فخافت عائشة أن تُسفك الدماء فانضمت

---

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص213.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج 2 ص225 والفتوح لابن أعثم ج 4 ص320 وتاريخ أبي الفداء ج 1 ص183، وراجع ص449 من كتاب الفاحشة.

إلى المانعين! روى المدائني عن هشام بن عروة - وهو كما ذكرنا حفيد أخت عائشة - قال: «قال الحسن عند وفاته: ادفنوني عند قبر رسول الله ﷺ إلا أن تخافوا أن يكون في ذلك شرٌّ. فلمّا أرادوا دفنه قال مروان بن الحكم: لا يُدفن عثمان في حَشِّ كوكب[١] ويُدفن الحسن ههنا! فاجتمع بنو هاشم وبنو أمية، وأعان هؤلاء قوم وهؤلاء قوم، وجاءوا بالسلاح، فقال أبو هريرة لمروان: أَ تمنع الحسن أن يُدفن في هذا الموضع وقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة! قال مروان: دعنا منك! لقد ضاع حديث رسول الله إذ كان لا يحفظه غيرك وغير أبي سعيد الخدري! و إنما أسلمتَ أيام خيبر! قال أبو هريرة: صدقتَ! أسلمتُ أيام خيبر، ولكنني لزمتُ رسول الله ولم أكن أفارقه، وكنتُ أسأله، وعنيتُ بذلك حتى علمتُ مَن أحبَّ ومَن أبغضَ، ومَن قرَّبَ ومَن أبعد، ومَن أقرّ ومَن نفى، ومَن لعنَ ومَن دعا له![٢] فلمّا رأتْ عائشةُ السلاح والرجال وخافت أن يعظم الشرّ بينهم وتُسفك الدماء؛ قالت:

---

(١) موضع على أطراف البقيع كان اليهود يدفنون موتاهم فيه، وقد أُلقيت فيه جثة عثمان بعدما رجمها المسلمون بالحجارة رفضاً لأن يُدفن داخل البقيع مع المسلمين! راجع تاريخ الطبري ج 3 ص438.

(٢) يعرّض ههنا بمروان إذ هو وأبوه طريدا رسول الله ﷺ .

البيت بيتي! ولا آذنُ لأحدٍ أن يُدفن فيه! وأبى الحسين عليه السلام أن يدفنه إلا مع جده، فقال له محمد بن الحنفية: يا أخي؛ إنه لو أوصى أن ندفنه لدفنّاه أو نموت قبل ذلك، ولكنه قد استثنى وقال: إلا أن تخافوا الشر، فأي شرٍّ أشد مما نحن فيه؟! فدفنوه في البقيع ».[١]

والرواية كما ترى، يريد بها حفيد أخت عائشة الاعتذار عنها بما لا تساعد عليه سائر الروايات المنقولة عن غيره، التي نصّت على أنها كانت هي الآبية والمؤلّبة والجامعة والمستنفرة! أي أنها هي الرأس في هذه الحملة الإجرامية كما كانت يوم الجمل، فيوماً على بغل ويوماً على جمل! ولو صحّت رواية هشام هذه لأمكن أيضاً تجريم عائشة، فإنها انحازت إلى بني أمية دون بني هاشم وانضمت إلى المانعين لدفن سبط النبي صلى الله عليه وآله عنده، فلماذا لم تنحز بدلاً من ذلك إلى بني هاشم وتقف في وجه بني أمية قائلةً مثلاً: «البيت بيتي ولا آذنُ لكم أن تمنعوا الحسن من أن يُدفن فيه مع جده»! فإن ذلك أيضاً كان سيُبعد الشرّ ويحقن الدماء! أم أن عائشة لا

---

[١] شرح النهج لابن أبي الحديد ج 16 ص14.

يكون «خروجها للإصلاح» إلا على ظُلم أهل البيت عليهم السلام وبني هاشم والانتصار لآل أبي سفيان وبني أمية!

ويزيدنا يقيناً في أن عائشة كانت هي السبب في هذه الحملة الناصبية الظالمة؛ ما رُوي عن الأئمة الأطهار عليهم السلام وأصحابهم في هذا الشأن، وهي روايات متضافرة تفصّل الدور الإجرامي لعائشة ومروان بن الحكم وبني أمية، بخلاف روايات أهل الخلاف التي يغلب عليها الإجمال وإن كانت أشارت بالإصبع إلى عائشة قائدةً للحملة كما سبق.

روى الكليني بسنده عن محمد بن مسلم عن الإمام أبي جعفر الباقر (صلوات الله عليه) قال: «لما احتضر الحسن بن علي عليهما السلام قال للحسين: يا أخي؛ أوصيك بوصية فاحفظها، فإذا أنا متُّ فهيّئني ثم وجّهني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لأحدث به عهداً، ثم اصرفني إلى أمي فاطمة عليها السلام، ثم ردّني فادفنّي في البقيع. واعلم أنه سيصيبني من الحميراء ما يعلم الناس من صنيعها وعداوتها لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وعداوتها لنا أهل البيت! فلمّا قُبض الحسن عليه السلام وُضع على سريره، وانطلقوا به إلى مصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان يصلّي فيه على الجنائز، فصلّى (الحسين) على الحسن عليه السلام، فلمّا أن صلّى

عليه حُمل فأُدخل المسجد، فلمّا أُوقف على قبر رسول الله ﷺ بلغ عائشة الخبر، وقيل لها:(١) إنهم قد أقبلوا بالحسن بن علي ليدفن مع رسول الله! فخرجتْ مبادرةً على بغل بسَرْج ، فكانت أول إمرأة ركبت في الإسلام سَرْجاً! فوقفت فقالت: نحّوا ابنكم عن بيتي فإنه لا يُدفن فيه شيء ولا يُهتك على رسول الله حجابه! فقال لها الحسين ابن علي عليهما السلام : قديماً هتكتِ أنتِ وأبوكِ حجاب رسول الله ﷺ وأدخلتْ بيته مَن لا يحبُّ رسول الله ﷺ قُربه! و إن الله سائلكِ عن ذلك ياعائشة! إن أخي أمرني أن أقرّبه من أبيه رسول الله ﷺ ليُحدث به عهداً، واعلمي أن أخي أعلم الناس بالله ورسوله، وأعلم بتأويل كتابه من أن يهتك على رسول الله ﷺ ستره، لأن الله تبارك وتعالى يقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ، وقد أدخلتِ أنتِ بيت رسول الله ﷺ الرجال بغير إذنه! وقد قال الله عزوجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ،

(١) في رواية أخرى رواها الكليني في الكافي ج 1 ص300 عن الباقر عليه السلام جاء: «فصلّى عليه الحسين عليه السلام وحُمل وأُدخل إلى المسجد، فلمّا أُوقف على قبر رسول الله ﷺ ذهب ذو العوينيْن إلى عائشة فقال لها: إنهم قد أقبلوا بالحسن ليدفنوه مع النبي! فخرجت مبادرة على بغلٍ بسرج فكانت أول امرأة ركبت في الإسلام سرجاً»! و(ذو العوينيْن أو ذو العُيينْتيْن) كناية عن الجاسوس، ومعنى ذلك أنه كان لعائشة جاسوس داخل المسجد يخبرها بالأخبار!

ولعمري لقد ضربتِ أنتِ لأبيكِ وفاروقِه عند أُذُنِ رسول الله ﷺ المعاول! وقال الله عزّ وجل: إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ، ولعمري لقد أدخل أبوكِ وفاروقُه على رسول الله ﷺ بقربهما منه الأذى! وما رعيا من حقّه ما أمرهما الله به على لسان رسول الله ﷺ ! إن الله حرّم من المؤمنين أمواتاً ما حرّم منهم أحياءً، وتالله ياعائشة لو كان هذا الذي كرهتيه من دفن الحسن عليه السلام عند أبيه صلوات الله عليهما جائزاً فيما بيننا وبين الله؛ لعلمتِ أنه سيُدفن و إن رَغِمَ مَعْطُسِكِ! قال: ثم تكلّم محمد بن الحنفية وقال: ياعائشة! يوماً على بغلٍ ويوماً على جملٍ! فما تملكين نفسك ولا تملكين الأرض عداوةً لبني هاشم! قال: فأقبلتْ عليه فقالت: يابن الحنفية! هؤلاء الفواطم يتكلّمون فما كلامك؟ فقال لها الحسين عليه السلام : وأنّى تبعدين محمداً من الفواطم؟ فو الله لقد ولدته ثلاث فواطم: فاطمة بنت عمران بن عائذ بن عمرو بن مخزوم، وفاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد معيص بن عامر. قال: فقالت عائشة للحسي عليه السلام : نحّوا

ابنكم واذهبوا به فإنكم قومٌ خَصِمون! قال: فمضى الحسين عليه السلام إلى قبر أمّه، ثم أخرجه فدفنه بالبقيع ».[١]

وروى القطب الراوندي عن الإمام أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) قال: «لمّا حضرت الحسن بن علي عليه السلام الوفاة؛ بكى بكاء شديداً وقال: إني أقدم على أمر عظيم وهولٍ لم أقدم على مثله قط. ثم أوصى أن يدفنوه بالبقيع، فقال: يا أخي؛ احملني على سريري إلى قبر جدي رسول الله صلى الله عليه وآله لأجدّد به عهدي، ثم رُدّني إلى قبر جدّتي فاطمة بنت أسد فادفنّي، فستعلم يابن أمِّ أن القوم يظنّون أنكم تريدون دفني عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فيُجْلِبون في منعكم! وبالله أقسم عليكَ أن تهرقَ في أمري محجمة دم. فلمّا غسلّه وكفّنه الحسين عليه السلام وحمله على سريره، وتوجّه إلى قبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ليجدّد به عهداً؛ أتى مروان بن الحكم ومن معه من بني أمية فقال: أَيُدفنُ عثمان في أقصى المدينة ويُدفن الحسن مع النبي! لا يكون ذلك أبداً! ولحقت عائشة على بغل وهي تقول: مالي ولكم؟! تريدون أن تدخلوا بيتي مَن لا أحب! فقال ابن عباس لمروان بن الحكم: لا نريد دفن

(١) الكافي للكليني ج 1 ص302.

صاحبنا فإنه كان أعلم بحرمة قبر رسول الله من أن يطرق عليه هدماً كما طرق ذلك غيره ودخل بيته بغير إذنه! انصرف فنحن ندفنه بالبقيع كما وصّى. ثم قال لعائشة: واسوأتاه! يوماً على بغلٍ ويوماً على جملٍ! (قال الراوندي:) وفي رواية: يوماً تجملتِ ويوماً تبغّلتِ وإنْ عشتِ تفيَّلْتِ»![1]

وروى الصدوق عن الإمام أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) قال: «أول امرأة ركبت البغل بعد رسول الله ﷺ عائشة! جاءت إلى المسجد فمنعت أن يُدفن الحسن بن علي عليهما السلام مع رسول الله ﷺ».[2]

وروى المفيد عن زياد المخارقي قال: «لمّا حضرت الحسن عليه السلام الوفاة، استدعى الحسي عليه السلام وقال: يا أخي إني مفارقك، ولاحقٌ بربّي، وقد سُقيت

(١) الخرائج والجرائح للقطب الراوندي ج 1 ص242، وقد تقدّم أن ابن الحجّاج البغدادي أخذ هذا المعنى ونظمه شعراً، راجع ص449 من كتاب الفاحشة.

(٢) علل الشرائع للصدوق ج 1 ص225، ولعلّ المراد أنها أول امرأة ركبت البغل بسرج عطفاً على ما تقدّم، أو أنها أول امرأة ركبت البغل في حملة كالرجال.

هذا وقد روى البخاري في كتاب الكِنى ص5 أن عائشة ركبت بغلاً وسعت بها حتى استهزأ بها ابن عباس! فقد أخرج عن أبي إدريس العبدي أنه «رأى عائشة تسعى بين الصفا والمروة على بغلٍ أو بغلة، فجالت بها البغلة! فقال ابن عباس: كان يوم البغلة»! فالظاهر أن عائشة بعدما فقدت خليلها الحيواني وهو الجمل استعاضت عنه بخليل جديد هو البغل حتى أنها سعت بين الصفا والمروة عليه حتى جال ودار بها!

السم ورميت بكبدي في الطست! و إني لعارفٌ بمن سقاني السم ومن أين دُهيت، وأنا أخاصمه إلى الله عزّ وجل، فبحقّي عليك إنْ تكلّمتَ في ذلك بشيء، وانتظر ما يحدث الله عزّ وجل فيَّ، فإذا قضيتُ نحبي فغمّضني، وغسّلني وكفّني، وأدخلني على سريري إلى قبر جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله لأجدّد به عهداً، ثم رُدّني إلى قبر جدتي فاطمة بنت أسد رحمة الله عليها فادفني هناك. وستعلمُ يابن أمِّ؛ إن القوم يظنّون أنكم تريدون دفني عند رسول الله صلى الله عليه وآله فيُجْلبون في ذلك ويمنعونكم منه، وبالله أقسم عليكَ أن تُهرَق في أمري محجمة دم. ثم وصّى إليه بأهله وولده وتركاته، وما كان وصّى إليه أمير المؤمنين عليه السلام حين استخلفه وأهله بمقامه، ودلّ شيعته على استخلافه، ونصبه لهم علماً من بعده. فلمّا مضى لسبيله؛ غسّله الحسين عليه السلام وكفّنه وحمله على سريره، ولم يشك مروان ومن معه من بني أمية أنهم سيدفنونه عند رسول الله صلى الله عليه وآله فتجمّعوا ولبسوا السلاح ، فلمّا توجّه به الحسي عليه السلام إلى قبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ليجدّد به عهداً، أقبلوا إليه في جمعهم، ولحقتهم عائشة على بغل! وهي تقول: مالي ولكم؟! تريدون أن تُدخلوا بيتي من لا

أحب! وجعل مروان يقول: يا رُبَّ هَيْجا هي خيرٌ من دَعَة![١] أَيُدفن عثمان في أقصى المدينة ويُدفن الحسن مع النبي؟! لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف! وكادت الفتنة أن تقع بين بني هاشم وبين بني أمية. فبادر ابن عباس إلى مروان فقال له: إرجع يا مروان من حيث جئت، فإنّا ما نريدُ دفن صاحبنا عند رسول الله ﷺ لكنّا نريد أن نجدّد به عهداً بزيارته، ثم نردّه إلى جدته فاطمة فندفنه عندها بوصيته بذلك، ولو كان أوصى بدفنه مع النبي ﷺ لعلمتَ أنك أقصر باعاً من ردّنا عن ذلك، لكنه كان أعلم بالله وبرسوله وبحرمة قبره من أن يطرق عليه هدماً كما طرق ذلك غيره ودخل بيته بغير إذنه! ثم أقبل على عائشة وقال لها: واسوأتاه! يوماً على بغلٍ ويوماً على جمل! تريدين أن تطفئي نور الله وتقاتلي أولياء الله! ارجعي فقد كُفيتِ الذي تخافين وبلغتِ ما تحبّين! والله منتصرٌ لأهل هذا البيت ولو بعد حين. وقال الحسين عليه السلام: والله لولا عهد الحسن إليَّ

---

(١) أي رُبَّما تكون الحرب خيرٌ من السلم! فقد كان مروان وبنو أمية يريدون اختلاق أي سبب للانقضاض على أهل البيت عليهم السلام وبني هاشم بعدما أضحى الحكم في أيديهم بتولي معاوية لعنه الله، وقد وجدوا أمر دفن الحسن عليه السلام إلى جوار جده ﷺ فرصة سانحة لاختلاق النزاع والإقدام على تنفيذ خطتهم الخبيثة في إفناء آل النبوة عليهم السلام، وهذا هو الذي دفع الحسي عليه السلام إلى العدول بالجنازة الشريفة إلى البقيع ودفنها هناك لتفويت الفرصة عليهم.

بحقن الدماء وأن لا أُهريقَ في أمره محجمة دم؛ لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مآخذها، وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا. ومضوا بالحسن عليه السلام فدفنوه بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رضي الله عنها وأسكنها جنّات النعيم».[١]

وروى الطبري الإمامي أن الحسي عليه السلام لمّا فرغ من تجهيز الحسن عليه السلام والصلاة عليه «سار بنعشه يريد قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله ليلحده معه، فبلغ ذلك مروان بن الحكم طريد رسول الله صلى الله عليه وآله، فوافى مسرعاً على بغلة حتى دخل على عائشة فقال لها: يا أم المؤمنين! إن الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن عند قبر جده! ووالله لئن دفنه معه ليذهبنَّ فخر أبيك وصاحبه عمر إلى يوم القيامة! فقالت له: فما أصنع يا مروان؟ قال: تلحقي به وتمنعي من الدخول إليه. قالت: فكيف ألحقه؟ قال: هذا بغلي فاركبيه والحقي القوم قبل الدخول. فنزل لها عن بغله وركبته! وأسرعت إلى القوم، وكانت أول امرأة ركبت السروج هي!

(١) الإرشاد للمفيد ج 2 ص17.

فلحقتهم وقد صاروا إلى حرم قبر جدهما رسول الله ﷺ ، فرمت بنفسها بين القبر والقوم وقالت: والله لا يُدفن الحسن ههنا أو تُحلق هذه! وأخرجت ناصيتها بيدها! وكان مروان لمّا ركبت بغله جمع مَن كان من بني أمية وحثّهم، فأقبل وأصحابه وهو يقول: يا ربّ هَيْجا هي خيرٌ من دَعَة! أَيُدفن عثمان في أقصى المدينة ويُدفن الحسن مع رسول الله؟! والله لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف! وكادت الفتنة تقع ، وعائشة تقول: والله لا يدخل داري مَن أكره! فقال لها الحسين: هذه دار رسول الله! وأنتِ حشيَّةٌ من تسع حشيّاتٍ خلَّفَهُنَّ رسول الله ﷺ ، وإنما نصيبكِ من الدار موضع قدميْكِ! فأراد بنو هاشم الكلام وحملوا السلاح ، فمنعهم الحسين عليه السلام وقال: الله الله؛ لا تفعلوا فتضيّعوا وصيّة أخي. وقال لعائشة: لولا أنه أوصى إليَّ أن لا أُهرِقَ فيه محجمة دم لدفنته ههنا ولو رَغِمَ لذلك أنفكِ! وعدل به إلى البقيع فدفنه مع الغرباء! وقال عبد الله بن عباس: يا حميراء! كم لنا منكِ؟! فيوم على جمل ويوم على بغل! فقالت: إن شاء أن يكون يومٌ على جمل ويومٌ على بغل! والله ما يدخل الحسن داري»![١]

---

(١) دلائل الإمامة للطبري الإمامي ص162.

وروى الحسين بن حمدان الخصيبي والحسين بن عبد الوهاب - واللفظ للأخير - أن الحسن قال للحسين عليهما السلام: «يا أخي؛ إذا أنا متُّ فغسّلني وحنّطني وكفّني واحملني إلى جدي حتى تُلحدني إلى جانبه، فإن مُنعتَ من ذلك فبحق جدك رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبيك أمير المؤمنين عليه السلام، وأمك فاطمة الزهراء عليها السلام؛ أن لا تُخاصِمَ أحداً، واردُد جنازتي من فورك إلى البقيع حتى تدفنّي مع أمي عليها السلام. فلمّا فرغ من شأنه وحمله ليدفنه مع رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ركب مروان بن الحكم طريد رسول الله صلى الله عليه وآله بغلةً، وأتى عائشة فقال لها: يا أم المؤمنين! إن الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن مع رسول الله! والله إنْ دُفِنَ معه ليذهبنَّ فخر أبيك وصاحبه عمر إلى يوم القيامة! قالت: فما أصنع يا مروان؟ قال: الحقي به وامنعيه من أن يُدفن معه. قالت: وكيف ألحقه؟ قال: اركبي بغلتي هذه! فنزل عن بغلته وركبتها، وكانت تثوِّرُ الناس وبني أمية على الحسين عليه السلام وتحرّضهم على منعه مما همَّ به! فلمّا قربت من قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت قد وصلت جنازة الحسن عليه السلام؛ رمتْ بنفسها عن البغلة وقالت: والله لا يُدفن الحسن ههنا أبداً أو تُجزَّ هذه! وأومأت بيدها إلى شعرها! فأراد بنو هاشم المجادلة فقال الحسين عليه السلام: الله الله؛ لا تضيّعوا وصية أخي، واعدلوا إلى البقيع فإنه

أقسم عليَّ إنْ أنا مُنِعتُ من دفنه مع جده صلى الله عليه وآله أن لا أخاصم فيه أحداً وأن أدفنه بالبقيع مع أمه عليها السلام . فعدلوا به ودفنوه بالبقيع معها عليها السلام . فقام ابن عباس وقال: يا حميراء! ليس يومنا منكِ بواحد! يوم على الجمل ويوم على البغلة! أما كفاكِ أن يُقال يوم الجمل حتى يُقال يوم البغل؟! يوم على هذا ويوم على هذا بارزةً عن حجاب رسول الله تريدين إطفاء نور الله والله متمٌّ نوره ولو كره المشركون! إنا لله و إنا إليه راجعون! فقالت له: إليك عني! أُفٍّ لك ولقومك»![1]

وروى الطوسي بسنده عن ابن عباس في حديث وصية الحسن للحسين عليه السلام قال: «فإني أوصيك يا حسين بمن خلّفتُ من أهلي ووُلدي وأهل بيتك أن تصفح عن مسيئهم وتقبل من محسنهم وتكون لهم خَلَفاً ووالداً، وأن تدفنني مع جدي رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإني أحقُّ به وببيته ممن أُدخل بيته بغير إذنه ولا كتاب جاءهم من بعده! قال الله تعالى في ما أنزله على نبيّه صلى الله عليه وآله في كتابه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ، فوالله ما أَذِنَ لهم في الدخول عليه في حياته بغير

(١) الهداية الكبرى للحسين بن حمدان الخصيبي ص177 وعيون المعجزات للحسين بن عبد الوهاب ص58.

إذنه، ولا جاءهم الإذن في ذلك من بعد وفاته، ونحن مأذون لنا في التصرف في ما ورثناه من بعده، فإنْ أبتْ عليك الامرأة(١) فأنشدك بالقرابة التي قرَّب الله عز وجل منك، والرحم الماسّة من رسول الله ﷺ؛ أن لا تهريق فيَّ محجمةً من دم حتى نلقى رسول الله ﷺ فنختصم إليه، ونخبر بما كان من الناس إلينا بعده. ثم قُبِض عليه السلام. قال ابن عباس: فدعاني الحسين عليه السلام وعبد الله بن جعفر وعلي بن عبد الله بن العباس فقال: اغسلوا ابن عمكم، فغسّلناه وحنّطناه وألبسناه أكفانه، ثم خرجنا به حتى صلّينا عليه في المسجد، و إن الحسين عليه السلام أمر أن يُفتح البيت، فحال دون ذلك مروان بن الحكم وآل أبي سفيان ومَن حضر هناك من وُلد عثمان بن عفان، وقالوا: أَ يُدفن أمير المؤمنين عثمان الشهيد القتيل ظُلماً بالبقيع بشرِّ مكانٍ ويُدفن الحسن مع رسول الله! والله لا يكون ذلك أبداً حتى تُكسر السيوف بيننا وتنقصف الرماح وينفد النَّبْل! فقال الحسين عليه السلام: أما والله الذي حرّم مكة؛ لَلحسن ابن علي بن فاطمة أحقُّ برسول الله وببيته ممن أُدخل بيته

(١) أي عائشة لعنها الله.

بغير إذنه، وهو والله أحقُّ به من حمّال الخطايا!(١) مُسيِّرِ أبي ذر رحمه الله! الفاعل بعمّارٍ ما فعل! وبعبد الله ما صنع ! الحامي الحِمى! المؤوي لطريد رسول الله صلى الله عليه وآله ! لكنّكم صرتم بعده الأمراء! وبايعكم على ذلك الأعداء وأبناء الأعداء! قال (ابن عباس): فحملناه فأتينا به قبر أمه فاطمة عليها السلام فدفنّاه إلى جنبها رضي الله عنه وأرضاه. قال ابن عباس: وكنتُ أول من انصرف فسمعتُ اللغط وخفتُ أن يعجل الحسين عليه السلام على مَن قد أقبل، ورأيت شخصاً علمتُ الشرَّ فيه، فأقبلتُ مبادراً فإذا أنا بعائشة في أربعين راكباً على بغلٍ مُرَحَّلٍ تقدمهم وتأمرهم بالقتال! فلمّا رأتني قالت: إليَّ إليَّ يابن عباس! لقد اجترأتم عليَّ في الدنيا تؤذونني مرة بعد أخرى! تريدون أن تدخلوا بيتي مَن لا أهوى ولا أحبُّ! فقلتُ: واسوأتاه! يومٌ على بغلٍ ويومٌ على جملٍ! تريدين أن تطفئي فيه نور الله وتقاتلي أولياء الله! وتحولي بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين حبيبه أن يُدفن معه! ارجعي فقد كفى الله تعالى المؤنة، ودُفن الحسن إلى جنب أمه، فلم يزدد من الله تعالى إلا قُرباً، وما ازددتم منه والله إلا بُعداً، يا سوأتاه! انصرفي فقد رأيتِ ما سَرَّكِ! قال:

---

(١) يعني عثمان بن عفان لعنه الله، والتالي تعداد بعض جرائمه كتسيير أبي ذر إلى الرّبَذة وفتق بطن عمّار وضرب عبد الله بن مسعود وحماية الطلقاء وإيواء الحكم بن أبي العاص طريد رسول الله صلى الله عليه وآله .

فقطَّبَتْ في وجهي ونادت بأعلى بصوتها: أما نسيتم الجمل يابن عباس؟! إنكم لذووا أحقاد! فقلتُ: أما والله ما نسيه أهل السماء فكيف ينساه أهل الأرض؟! فانصرفت وهي تقول[١]:

فألقتْ عَصاها فاستقرَّت بها النَّوى كما قرَّ عيْناً بالإيابِ المُسافرُ»!

ولعلّك التفتّ إلى ما في هذه الرواية الأخيرة من تهديد مروان بن الحكم بقوله: «والله لا يكون ذلك أبداً حتى تُكسر السيوف بيننا وتنقصف الرماح وينفد النَّبْل»! فتستشعر أن ثمة قتالاً قد وقع أو لا أقلَّ من مناوشات بالنّبل، والاستشعار في محلّه إذ قد سجّل التاريخ في جنازة الحسن عليه السلام أكبر مأساة، حين رشق المجرمون جسده الطاهر بالنّبل حتى أصابه سبعون نبْلاً! وهذا مما لم يقع لأية جنازة أخرى في التاريخ .

روى الذهبي وابن عساكر - واللفظ للثاني - عن الحسن بن محمد بن الحنفية في حديث شهادة الإمام الحسن عليه السلام : «وأبردَ[٢] مروان إلى معاوية

---

(١) أمالي الطوسي ص160، وترى أنها كرّرت التمثّل بهذا البيت إمعاناً في التشفّي من آل النبوة عليهم السلام ! فكانت المرة الأولى بعد استشهاد أمير المؤمنين والثانية هي هذه بعد استشهاد الحسن عليهما السلام !

(٢) أي بعث بريداً.

يخبره بموت حسنٍ وأنهم يريدون دفنه مع النبي وأنهم لا يصلون إلى ذلك أبداً وأنا حي! فانتهى حسين بن علي إلى قبر النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآله فقال: احفروا ههنا، فنكب[١] عنه سعيد بن العاص وهو الأمير فاعتزل ولم يَحُلْ بينه وبينه، وصاح مروان في بني أمية ولفها وتلبّسوا السلاح ! وقال مروان: لا كان هذا أبدا! فقال له حسين: يابن الزرقاء![٢] ما لَك ولهذا؟ أَ والٍ أنت؟! قال: لا كان هذا ولا يُخلَص إليه وأنا حي! فصاح حسينٌ بحلف الفضول،

(١) أي مال وعدل، والمعنى أن والي المدينة آنذاك سعيد بن العاص الأموي كان قد اعتزل - بحسب هذه الرواية - عن أن يتصدى للإمام الحسيعَلَيْهِالسَّلَامْ وبني هاشم في دفن الإمام الحسن عَلَيْهِالسَّلَامْ في حجرة رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآله .

(٢) الزرقاء هي أمية بنت موهب جدة مروان بن الحكم لأبيه، وكانت عاهرة من ذوات الرايات تقف بسوق عكاظ تدعو إلى نفسها! وقيل أنها سُمِّيت زرقاء لعينيها. وكان النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآله قد ثلب مروان بأمّه العاهرة هذه حين أُتِيَ به وليداً ليدعو له فأبى، قائلاً كما رواه ابن حمّاد في الفتن ج 1 ص129: «ابن الزرقاء! هلاكُ عامة أمتي على يديه ويدي ذريّته»!

وقد روى سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص119 عن ابن إسحاق قال: «بعث مروان بن الحكم وكان والياً على المدينة رسولاً إلى الحسن عَلَيْهِالسَّلَامْ فقال له: يقول لك مروان: أبوكَ الذي فرّق الجماعة وقتل أمير المؤمنين عثمان وأباد العلماء والزهاد - يعنى الخوارج - وأنت تفخر بغيرك! فإذا قيل لك: من أبوك؟ تقول:خالي الفرس! فلمّا سمعها الحسين عَلَيْهِالسَّلَامْ قال للرسول: قُل له: يقول لك الحسين بن علي بن فاطمة: يابن الزرقاء الداعية إلى نفسها بسوق ذي المجاز! صاحبة الراية بسوق عكاظ! ويابن طريد رسول الله ولعينه! اعرف مَن أنت ومَن أمك ومَن أبوك! (...) قال الأصمعي: أما قول الحسين: يابن الداعية إلى نفسها؛ فذكر ابن إسحاق أن أم مروان اسمها أميّة وكانت من البغايا في الجاهلية وكان لها راية مثل راية البيطار تُعرف بها! وكانت تسمى أم حبتل الزرقاء»!

فاجتمعت بنو هاشم وتيْم وزهرة وأسد وبنو جعونة بن شعوب من بني ليث قد تلبّسوا السلاح ، وعقد مروان لواء وعقد حسين بن علي لواء، فقال الهاشميون: يُدفن مع النبي صلى الله عليه وآله . حتى كانت بينهم المراماة بالنّبْل»!(١)

وتَرى أن هذه الرواية وأمثالها من روايات المخالفين قد أثبتت وقوع المراماة بالنّبل أثناء تشييع جنازة السبط الأكبر عليه السلام ، بيْد أنها

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج 3 ص276 وتاريخ دمشق لابن عساكر ج 13 ص291، وحلف الفضول حلف جمع بين القبائل المذكورة في الجاهلية بقيادة عبد المطلب عليه السلام جد النبي صلى الله عليه وآله بهدف حماية مكة المكرمة وحماية الضعفاء و إنصاف المظلومين ومنع الظلم وكفّ الظالمين والمعتدين حتى ولو كانوا من أبناء هذه القبائل المتحالفة نفسها، ويسمى أيضاً بحلف المطيّبين لأنهم حين تحالفوا وتعاقدوا غمسوا أيديهم في الطيب. ويقابله حلف الأحلاف الذي جمع بني عبد الدار وبني مخزوم وبني سهم وبني جمع وبني عدي بهدف إعزاز بعضها بعضاً والدفع عن أبنائها ظالمين كانوا أم مظلومين! فهو مجرّد حلف قبلي مجرّد عن المبادئ والمُثُل الإنسانية، ويسمى أيضاً بحلف لعقة الدم لأنهم حين تحالفوا وتعاقدوا لعقوا دم بقرة!
والحلف الأول أمضاه الإسلام كما ذكره النووي في المجموع ج 19 ص384 لأنه في واقع الأمر ينسجم مع تعاليمه في نصرة المظلوم وصدّ الظالم، بخلاف الحلف الثاني الذي أبطله الإسلام لأنه كان يقوم على الظلم والعدوان.
على أن ما ورد في الرواية من أن تيماً كانت مع حلف الفضول فيه ما فيه من الغرابة والاستبعاد لما مرّ في الفصل الأول من كتاب الفاحشة من أنها لم تكن ذات شأن يُذكر في الجاهلية كما لم يكن بها اعتداد، إلا أن يُقال أنها ألحقت نفسها به في ما بعد استقواءً بالقبائل القوية، أو أن المقصود بنو تيم اللات لا تيم.

سكتت عن بيان مقدار إصابة النّبال للجنازة الشريفة، كما سكتت عن بيان أول من ابتدأ الرَّميْ وجرّأ القوم عليه، وما العلة في ذلك السكوت إلا محاولة حجب الجريمة الأقبح لعائشة وأبنائها! حين يظهر أنها كانت أول مَن رمى وتبعها على ذلك بنو أمية وعسكرهم الشاميّون حتى أصيبت الجنازة الشريفة بسبعين نبْلاً!

روى ابن شهراشوب عن ابن عباس في وصفه لمجريات الأمور آنذاك: «ورموا بالنِّبال جنازته حتى سُلَّ منها سبعون نبْلاً»![1]

وذكر الشهيد التستري أن عائشة «ركبت على البغلة مع مروان وجماعة من أتباعه للمدافعة حتى جرى بينها وبين ابن العباس رضي الله عنه ما نقلناه سابقاً، وآل الأمر إلى أن رموا جنازة الحسن عليه السلام بالسهام! ووصل النِّصال إلى بدنه الشريف»![2]

(١) المناقب لابن شهراشوب ج 3 ص204.

(٢) الصوارم المهرقة للشهيد التستري ص161.

أما فتح الدين الحنفي فقد نصّ على ثبوت منع دفن الحسن عليه السلام مع جده صلى الله عليه وآله وأن هذا المنع تضمّن رمي جنازته بالحجارة أيضاً! فقال: «واعلم أنه قد ثبت أن جنازة الحسن رُميت بالحجارة وغيرها ومُنع من الدفن»![١]

وكما كان الحال في يوم الجمل حين أشعلت عائشة شرارة الحرب بفتواها بقتل مسلم العبدي؛ كذلك جرى الحال في يوم البغل! فقد روى عماد الدين الطبرسي أن عائشة ابتدأت المناوشات بالنّبال حين «استدعت من مروان قوساً وسهماً ورمت بالنُّشّاب إلى جنازته! ثم رشق عسكر الشام بمتابعتهم»![٢]

فعائشة إذن هي التي جرّأت هؤلاء على رمي الجنازة الشريفة، وكانت تلك نذالة منها تُفصح عن خسّتها و إجرامها ونُصبها، وأنها امرأة عديمة الضمير إذ تستهدف بالنُّشّاب الجثمان الشريف لسبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد

(١) فلك النجاة لفتح الدين الحنفي ص55، وقد كان عالماً بكرياً حنفياً ثم تشيّع بسبب أحد تلامذته ممن تشيّع قبله لاتصاله بأحد علماء الشيعة، وقد استغرقت رحلة بحثه عشر سنوات على ما هو مذكور في ترجمته في كتابه هذا.

(٢) أسرار الإمامة لعماد الدين الحسن بن علي الطبرسي - نسخة إلكترونية عن المخطوط. والنُّشّاب جمع النُّشّابة، أي السهام.

شباب أهل الجنة! وهو أمر لم يبدأه مروان نفسه وهو مَن هو في الكفر والإجرام! كما لم يتجرّأ أن يبدأه أحدٌ من أعداء أهل البيت عليهم السلام في ذلك الموقف، بمن فيهم عسكر أهل الشام في المدينة. أما عائشة فقد تجرّأت واستهانت إعلاناً منها أنها لا تقيم وزناً لأحكام الشرع مطلقاً، فإن الشرع يحرّم هذا الذي ارتكبته حتى لو كان الميّت كافراً! فكيف إذا كان فلذة كبد رسول الله صلى الله عليه وآله ؟!

وتأمل في أن الحميراء كانت قائدة هذه الحملة الغاشمة وزعيمة (ميليشيا) بني أمية وحلفائهم! وما مروان إلا الذي استنجد بها فحسب ثم سلّمها دفّة القيادة لتتصرّف في موضوع دفن الحسن عليه السلام ! فإنها هي التي «استنفرتْ بني أمية ومروان بن الحكم ومن كان هناك منهم ومن حشمهم» وجاءت «في أربعين راكباً على بغلٍ مُرَحَّلٍ تقدمهم وتأمرهم بالقتال»! ويؤكد دورها المحوري في ذلك أن الحسن قال للحسين عليهما السلام : «فإنْ أبتْ عليك الامرأة»! وهي إشارة إلى أنها رأس هذه الحملة وأن إباءها هو السبب في حرمانه من الدفن إلى جوار جده صلى الله عليه وآله ، لا تنطّعات مروان وبني أمية، إذ هم جميعاً أذناب لعائشة في تلك المرحلة!

ثم تأمّل في ما جاء في الروايات السابقة من أقوال الحميراء ومواقفها التي تكشف عن شدة نُصبها وعدائها لأهل بيت النبوة عليهم السلام. من ذلك قولها: «ما أثر عليٍّ عندنا بحسن»! وقولها: «مالي ولكم؟! تريدون أن تدخلوا بيتي مَن لا أحب! والله لا يُدفن الحسن ههنا أو تُحلق هذه! والله لا يدخل داري مَن أكره! لقد اجترأتم عليَّ في الدنيا تؤذونني مرة بعد أخرى! تريدون أن تدخلوا بيتي مَن لا أهوى ولا أحبُّ»!

وهو كما ترى تصريح منها بأنها لا تحب الحسن عليه السلام بل تكرهه! مع أن النبي صلى الله عليه وآله قال فيه: «اللهم إني أحبُّه فأحِبَّه، وأحِبَّ مَن يُحبُّه».[١] ومفهومه أن عائشة مبغوضة عند الله تعالى لأنها تكره الحسن عليه السلام ولا تحبه.

وقولها لابن عباس حين أنكر عليها ما تفعل: «إليك عني! أفٍّ لك ولقومك»! يفصح عمّا يعتمل في صدرها من أحقاد على بني هاشم، إلا أن الطريف أنها ترميهم بها على نحو (رمتني بدائها وانسلّت) إذ تقول لابن عباس: «أما نسيتم الجمل يابن عباس؟! إنكم لذووا أحقاد»!

---

(١) صحيح البخاري ج 7 ص55 وصحيح مسلم ج 7 ص129 ومسند أحمد بن حنبل ج 2 ص331 وغيرها كثير.

وجوابها لابن عباس حين قال: «يا حميراء! كم لنا منكِ؟! فيوم على جمل ويوم على بغل»! يؤكد ما سبق من أنها لم تندم قط على ما وقع منها في الجمل، إذ قالت: «إن شاء أن يكون يومٌ على جمل ويومٌ على بغل! والله ما يدخل الحسن داري»!

ثم لا تغفل عن استهانتها وتشفّيها باستشهاد سبط رسول الله ﷺ وفرحها بمنعها جنازته من أن تُدفن إلى جواره حين أعادت التمثّل بقول القائل:

فألقتْ عَصاها فاستقرَّت بها النَّوى كما قرَّ عيْناً بالإيابِ المُسافرُ!

وإن لم يكن هذا هو النُّصب بعينه؛ فأي شيء يكون؟! ولو قُدِّرَ لعائشة أن تعيش إلى يوم عاشوراء حيث قُتل أبو عبد الله الحسين (صلوات الله عليه) لكنّا رأيناها قد ركبت فيلاً أو زرافة وهي تحرّض الناس على قتله! إذ لا يُتصوّر أن يكون دورها في ذلك الموقف إلا هذا لشدة عدائها لأهل هذا البيت عليهم السلام. وقد مرّ عليك قول الشاعر:

أَيا بِنْتَ أَبي بَكْرٍ لا كانَ وَلا كُنْتِ!

تَجَمَّلْتِ تَبَغَّلْتِ وَإنْ عِشْتِ تَفَيَّلْتِ!

- الصورة التاسعة عشرة: قد عرفتَ من مطاوي البحوث السابقة أن عائشة كانت تستحل الكذب وتستسهله حتى غدت أكثر الناس كذباً واختلاقاً، وقد طالت أكاذيبها ما في العقيدة والأحكام والسيرة والتاريخ حتى لم يبقَ حجر على حجر!

وقد عرفتَ أيضاً أنه ما من حقد لعائشة على أحد أعظم من حقدها على علي بن أبي طالب عليهما السلام ، وبعد هذا يكون من الطبيعي أن يتلقى علي عليه السلام منها أكاذيب تحطّ من مقامه ومنزلته عند الناس، فذلك من عائشة تنفيس عن حقدها المتجذّر في نفسها تجاهه، سيّما بعد الجمل إذ بحثت عن وسيلة تشفي بها غليلها منه، فكان اختلاق الأحاديث التي تطعن فيه إحدى وسائل الانتقام تلك.

ولم تكن تلك الأحاديث المختلَقة تنتقص علياً عليه السلام فحسب؛ بل كانت تطعن في أصل إيمانه وعاقبته، فقد نسبت عائشة كذباً إلى

النبي ﷺ أنه أنبأ عن أن وصيّه علياً عليه السلام سيرتدّ ويموت على غير دينه ويهوي إلى النار والعياذ بالله!

وقد أشركت عائشة العباس بن عبد المطلب في هذه الأحاديث الموضوعة أيضاً، ولعل ذلك لحقدها على ابنه عبد الله الذي جرى بينه وبينها ما تقدّم. وعلى أية حال؛ فإن حديثيْن من هذه الأحاديث كان قد حدّث بهما ابن أخت عائشة، عروة بن الزبير، الذي كان من خاصّة تلامذتها كما سبق بيانه. وكان في هذين الحديثيْن من البشاعة ما جعل أحد أعظم رواة المخالفين في زمان بني أمية وهو ابن شهاب الزهري لا يسعه إلا اتهام عائشة وعروة في أنهما يضعان الأحاديث القبيحة في ثلب بني هاشم!

روى عبد الرزاق عن معمّر قال: «كان عند الزهري حديثان عن عروة عن عائشة في علي، فسألته عنهما يوماً فقال: ما تصنع بهما وبحديثهما؟! الله أعلم بهما! إني لأتّهمهما في بني هاشم»![1]

فما هما هذان الحديثان اللذان حجبهما الزهري عن معمّر متهماً عائشة وعروة بوضع الأحاديث القادحة في بني هاشم؟!

---

[1] شرح النهج لابن أبي الحديد ج 4 ص64 عن عبد الرزاق.

الأول هو ما رواه عن عروة بن الزبير قال: «حدثتني عائشة قالت: كنت عند رسول الله إذ أقبل العباس وعلي، فقال: يا عائشة؛ إن هذين يموتان على غير ملّتي! أو قال: ديني»![١]

والثاني هو ما رواه عن عروة بن الزبير أيضاً عن عائشة قالت: «كنت عند النبي صلى الله عليه وآله إذ أقبل العباس وعلي، فقال: يا عائشة؛ إن سرَّكِ أن تنظري إلى رَجُلَيْن من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا. فنظرتُ فإذا العباس وعلي بن أبي طالب»![٢]

ووضع عائشة لهذين الحديثيْن المكذوبيْن وأشباههما يثبت نُصبها ونفاقها بلا كلام. ومن الحريّ ههنا الإشارة إلى أنها كما كانت تضع المطاعن في علي عليه السلام فإنها كانت تستحسن أن يقوم الآخرون بذلك، فإن كان بينها وبين بعضهم شيء من حزازة أو خلاف فإنه يزول فور ما تعلم أنه من الوضّاعين على علي عليه السلام أو الصارفين مناقبه إلى غيره سيّما إن كان أباها وصاحبه عمر!

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 4 ص63

(٢) المصدر نفسه ج 4 ص64 ونحوهما في الصراط المستقيم للنباطي البياضي ج 3 ص166 وشيخ المضيرة لمحمود أبو رية ص199.

ومثال ذلك ما كان بينها وبين أبي هريرة، فقد سبق واتهمته بالكذب والإكثار عن رسول الله ﷺ، وأنكرت عليه البذخ حين ركب بغلة مطوّقة بالذهب بعدما أقبلت عليه الدنيا حين صار عاملاً لمعاوية وبني أمية، فما كان منه إلا أن أحرجها بأنه الذي وضع من الأحاديث ما وضع رفعاً لشأن أبيها وصاحبه وحطّاً لشأن علي عليه السلام، وكأنه يعاتبها قائلاً: «أَ هذا جزائي»؟ فسكتت وكفّت عنه!

روى الحاكم عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن عائشة «أنها دَعَتْ أبا هريرة فقالت له: يا أبا هريرة! ما هذه الأحاديث التي تبلغنا أنك تحدّث بها عن النبي ﷺ؟! هل سمعتَ إلا ما سمعنا؟! وهل رأيتَ إلا ما رأينا؟! قال: يا أمّاه! إنه كان يشغلكِ عن رسول الله ﷺ المرآة والمُكحِلَة والتصنّع لرسول الله ﷺ! وإني والله ما كان يشغلني عنه شيء»![1]

---

(١) مستدرك الحاكم ج 3 ص582.

وروى الذهبي عن إسحاق بن سعيد عن أبيه قال: «دخل أبو هريرة على عائشة فقالت له: أكثرتَ يا أبا هريرة عن رسول الله! قال: إي والله يا أماه! ما كانت تشغلني عنه المرآة ولا المُكْحِلَة ولا الدهن»!(١)

وروى ابن عبد البر وابن عساكر وأحمد بن حنبل واللفظ للأول عن أبي حسان «أن رَجُلَيْن دخلا على عائشة وقالا: إن أبا هريرة يحدِّثُ أن النبي ﷺ قال: إنما الطِّيَرَةُ في المرأة والدار والدابة! فطارتْ شِقَّةٌ منها في السماء وشِقَّةٌ في الأرض! ثم قالت: كَذِبَ والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم! مَن حَدَّثَ عنه بهذا؟! ولكن رسول الله ﷺ كان يقول: كان أهل الجاهلية يقولون: الطِّيَرَةُ في المرأة والدار والدابة».(٢)

فهذا كان موقف عائشة تجاه أبي هريرة، وهو كما ترى موقف تكذيبي تخويني عدائي لا يهمّنا البحث عن دواعيه الآن، غير أن من

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج 2 ص604.

(٢) التمهيد لابن عبد البر ج 9 ص288 وتاريخ دمشق لابن عساكر ج 67 ص352 ونحوه في مسند أحمد ابن حنبل ج 6 ص150 غير أنه حذف التكذيب الصريح ! والطِّيَرَة ههنا بمعنى التشؤّم. ومعنى «فطارتْ شِقَّةٌ منها في السماء وشِقَّةٌ في الأرض» أنها غضبت غضباً شديداً حتى لكأنها انتفخت غيظاً فانفجرت وانشقّت فطارت شِقَّةٌ منها صوب السماء وأخرى صوب الأرض!

المؤكد أنه لم يكن بداعي الحرص على تنزيه الساحة النبوية من الأكاذيب لأنه قد عرفنا أن عائشة كانت رأس إشاعة الأكاذيب في واقع الأمر، وما أبو هريرة بأكاذيبه إلا كضرطة من ضرطاتها، فلا بدّ إذن من أن يكون لهذا الموقف دوافع أخرى.

وعلى أية حال فإن هذا الموقف قد تبدّل لاحقاً، حين عمد أبو هريرة إلى تنفيذ خطة معاوية في وضع الأخبار القبيحة في علي (صلوات الله عليه) وتحريف فضائله ومناقبه بصرفها إلى أبي بكر وعمر لعنهما الله!

قال أبو جعفر الإسكافي: «إن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جَعْلاً وعطايا مغرية! فاختلفوا ما أرضاه، منهم: أبو هريرة! وعمرو بن العاص! والمغيرة بن شعبة! ومن التابعين: عروة بن الزبير»![1]

ومن نماذج تلك الموضوعات ما رواه ابن أبي الحديد عن الأعمش قال: «لمّا قَدِمَ أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة؛ جاء إلى مسجد

---

[1] شرح النهج لابن أبي الحديد ج 4 ص63 عن أبي جعفر الإسكافي.

الكوفة، فلمّا رأى كثرة مَن استقبله من الناس جثا على ركبته ثم ضرب صلعته مراراً وقال: يا أهل العراق! أَ تزعمون أني أكذب على الله وعلى رسوله وأحرق نفسي بالنار؟! والله لقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إنّ لكل نبي حرماً، و إن حرمي بالمدينة ما بين عير إلى ثور، فمَنْ أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. وأشهد بالله أن عليّاً أحدث فيها! فلمّا بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولّاه إمارة المدينة».(١)

و إذ صار أبو هريرة أميراً للمدينة ولو في غياب مروان بن الحكم؛ فقد أقبلت عليه الدنيا من جديد، وصار يلبس أفخر الثياب حتى أنه كان يتمخّط بالكَتّان!(٢) كما صار يركب أحسن الدواب المزيّنة بالذهب! ولمّا أنكرت عليه عائشة ذلك أسكتها بأنه هو الذي حوّل فضائل علي عليه السلام إلى فضائل لأبي بكر وعمر! وله المنّة عليها بذلك!

روى عماد الدين الطبرسي أن أبا هريرة «ركب بغلة مطوّقةً بالذهب مجلّلاً، فأنكرت عليه عائشة وكانت على غرفة، فقال: يا أم المؤمنين! كُفِّي

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 4 ص64.

(٢) راجح صحيح البخاري ج 9 ص317 وفيه حديث يقول فيه أبو هريرة لنفسه: «بَخْ بَخْ ! أبو هريرة يتمخَّطُ في الكَتّان»!

فإني غيَّرتُ سبعمئة حديث من أحاديث رسول الله قالها في علي بن أبي طالب إلى أبيك وصاحبه تمشيةً لأمرهما! فأطرقت عائشة رأسها خجلاً»!(١)

بعد هذا من الطبيعي أن يتبدّل موقف عائشة تجاه أبي هريرة وأن يزول ما كان في قلبها تجاهه، وأن تشكر له ما صنعه من وضع وتحريف وتبديل، فالنُّصب ملة واحدة، وأهله أخوة متحابّون!

- الصورة العشرون: وهي تنقسم إلى صور متعددة تضمنّها حديث أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في بيان أسباب ودواعي حقد عائشة عليه، إذ كشف عليه السلام بعضاً مما اختزنه صدرها من الغلّ والبغض له في مواقف شتّى، كان منها ما كان تبعاً لأبيها الذي كان يؤلّبها عليه أكثر وأكثر.

روى المفيد عن عمر بن أبان قال: «لمّا ظهر أمير المؤمنين على أهل البصرة جاءه رجال منهم فقالوا: يا أمير المؤمنين؛ ما السبب الذي دعا عائشة إلى المظاهرة عليك حتى بلغت من خلافك وشقاقك ما بلغت وهي امرأة من النساء لم يُكتب عليها القتال ولا فُرض عليها الجهاد ولا أُرخِصَ

---

(١) أسرار الإمامة لعماد الدين الحسن بن علي الطبرسي، نسخة الكترونية عن المخطوط.

لها في الخروج من بيتها ولا التبرّج بين الرجال وليست مما تولّته في شيء على حال؟ فقال عليه السلام : سأذكر أشياء حقدتها عليَّ ليس في واحد منها ذنب إليها ولكنها تجرَّمَت بها عليَّ.

أحدها؛ تفضيل رسول الله لي على أبيها وتقديمه إياي في مواطن الخير عليه، فكانت تضطغن ذلك ويصعب عليها، وتعرفه منه فتتبع رأيه فيه![١]

وثانيها؛ لمّا آخى بين أصحابه، آخى بين أبيها وبين عمر بن الخطاب، واختصَّني بأخوّته، فغَلُظَ ذلك عليها وحسدتني لسعدي منه!

وثالثها؛ أوصى صلى الله عليه وآله بسدّ أبوابٍ كانت في المسجد لجميع أصحابه إلا بابي، فلما سدّ باب أبيها وصاحبه وترك بابي مفتوحاً في المسجد تكلّم في ذلك بعض أهله فقال صلى الله عليه وآله : ما أنا سددتُ أبوابكم وفتحت باب علي، بل الله عز وجل سدّ أبوابكم وفتح بابه. فغضب لذلك أبو بكر وعَظُمَ عليه وتكلّم في أهله بشيء سمعته منه ابنته فاضطغنته عليَّ!

---

(١) أي كانت تعرف من أبيها أنه ناقم لتقديم رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام عليه في مواطن الخير، فكانت تتبع رأي أبيها وتحمل النقمة والضغينة عنه على أبي الحسن عليه السلام .

وكان رسول الله أعطى أباها الراية يوم خيبر وأمره أن لا يرجع حتى يفتح أو يُقتل، فلم يلبث لذلك وانهزم! فأعطاها في الغد عمر بن الخطاب وأمره بمثل ما أمر صاحبه فانهزم ولم يلبث! فساء رسول الله ﷺ ذلك وقال لهم ظاهراً معلناً: لأُعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، كرّارٌ غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يده. فأعطاني الراية، فصبرتُ حتى فتح الله على يدي، فغمَّ ذلك أباها وأحزنه! فاضطغنه عليَّ ومالي إليه ذنبٌ في ذلك، فحقدت لحقد أبيها!

وبعث رسول الله ﷺ أباها ليؤدي سورة براءة، وأمره أن ينبذ العهد للمشركين، فمضى حتى الجرف، فأوحى الله إلى نبيه أن يردّه ويأخذ الآيات فيسلّمها إليَّ، فعرَّفَ أباها بإذن الله عز وجل، وكان في ما أوحى الله عز وجل إليه: لا يؤدي عنك إلا رجلٌ منك. وكنتُ من رسول الله وكان منّي، فاضطغن لذلك عليَّ أيضاً وأتبعته عائشة في رأيه!

وكانت عائشة تمقت خديجة بنت خويلد وتشنئها شنآن الضرائر، وكانت تعرف مكانها من رسول الله ﷺ فيثقل ذلك عليها، وتعدّى مقتها

إلى ابنتها فاطمة فتمقتني وتمقت فاطمة وخديجة! وهذا معروف في الضرائر.

ولقد دخلتُ على رسول الله ذات يوم قبل أن يُضرب الحجاب على أزواجه وكانت عائشة بقرب رسول الله ﷺ ، فلمّا رآني رحَّب وقال: ادنُ مني يا علي. ولم يزل يدنيني حتى أجلسني بينه وبينها، فغَلُظَ ذلك عليها، فأقبلت إليَّ وقالت بسوء رأي النساء وتسرّعهنَّ إلى الخطاب: ما وجدتَ لإستك يا علي موضعاً غير موضع فخذي! فزَبَرها(١) النبي ﷺ وقال لها: أَلعليٍّ تقولين هذا! إنه والله أول من آمن بي وصدّقني، وأول الخلق وِرْداً عليَّ الحوض، وهو أحق الناس عهداً إليَّ، لا يبغضه أحد إلا أكبَّهُ الله على مَنْخِرِهِ في النار! فازدادت بذلك غيضاً عليَّ!

ولمّا رُمِيَتْ بما رُمِيَتْ اشتدّ ذلك على النبي ﷺ ، فاستشارني في أمرها فقلت له: يا رسول الله؛ سَلْ جاريتها بريرة واستبرئ الحال منها، فإن وجدتَ عليها شيئاً فخلِّ سبيلها، فالنساء كثيرة. فأمرني أن أتولّى مسألة

---

(١) أي انتهرها.

بريرة واستبرئ الحال منها، ففعلتُ ذلك، فحقدت عليَّ! والله ما أردتُ بها سوءاً لكنّي نصحتُ لله ولرسوله.(١)

وأمثال ما ذكرتُ، فإن شئتم فاسألوها ما الذي نقمتْ عليَّ حتى خرجَتْ مع الناكثين لبيعتي وسفك دماء شيعتي والتظاهر بين المسلمين بعداوتي إلا البغي والشقاق والمقت لي بغير سبب يوجب ذلك في الدين؟! والله المستعان. فقال القوم: القول والله ما قلت يا أمير المؤمنين، ولقد كشفتَ الغمة، ولقد نشهد إنك أولى بالله ورسوله ممن عاداك».(٢)

---

(١) هذا لا يناقض بالضرورة ما انتهينا إليه في الفصل الثاني - من كتاب الفاحشة - من خرافة قصة الإفك التي جاءت عن عائشة، إذ يمكن الجمع بأنها رُمِيت في حادثة ما لريبة ما، ثم ضخّمتها عائشة وجعلت آيات الإفك نازلةً في تبرئتها باختلاق قصة ما جرى لها في غزوة المريسيع ، فتأمّل. ويتراءى لي أن ما رُمِيت به ترتّب على بعض أفعالها كإدخالها رجالاً في بيتها زمان رسول الله ﷺ بدعوى أنهم إخوانها من رضاعة الكبير. وعلى أية حال فإن ذلك لم يكن له ربط بغزوة المريسيع وحادثة الإفك الحقيقية التي نزلت فيها آيات، بقرينة أن ههنا ذكراً لبريرة الجارية، وقد قدّمنا في ص353 أنها لم تغدُ جارية لعائشة إلا بعد فتح مكة، وبين ذلك وبين غزوة المريسيع نحو سنتيْن، فالحادثة إذن - إن كانت - لا ربط لها بما جرى في تلك الغزوة مما روته عائشة كذباً.

هذا وقد روى المفيد عنها في الجمل ص82 أن أمير المؤمنين عليه السلام لمّا تولّى تقرير جاريتها بريرة: «قطع لها عليٌّ عسباً من النخل وخلا بها يسألها عنّي، ويتهدّدها ويرهّبها، لا جرم أني لا أحبُّ عليّاً أبداً»!

(٢) الجمل للمفيد ص218.

فهذه صور عشرون تفصح عن كون عائشة أمّاً للنواصب والخوارج والمعادين لأهل بيت رسول الله ﷺ، ينضمّ بعضها إلى بعض مع ما سبق ذكره من مواقفها المناوئة المعلومة ليورّث كل ذلك القطع واليقين بكونها أكبر امرأة ناصبية عرفها التاريخ على الإطلاق!

وأيّة حرمة للتي انتهكت الحرمة؟!

يتشدّق المخالفون والبتريّون ومَن انساق وراءهم من الغافلين بكلام لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) خاطب به أهل البصرة لترويج دعوى عدم جواز القدح في عائشة ووجوب احترامها لأن لها حرمة خاصة في الإسلام!

وكلام الأمير عليه السلام هو ما تقدّم مما وعدنا ببسط الكلام فيه، وهو قوله: «ولها بعدُ حُرمتها الأولى، والحساب على الله تعالى».[1]

ودعوى هؤلاء أوهن من بيت العنكبوت، إذ لو كان المراد بهذا الكلام هو ما يزعمون من حرمة القدح في عائشة أو ذمّها؛ لكان كلام

(١) نهج البلاغة – الخطبة رقم: 156، ومن كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم.

أمير المؤمنين عليه السلام ينقض آخرُه أوله! لأن أوله ذم صريح لها، وهذا تمام كلامه عليه السلام: «وأما عائشة فأدركها رأي النساء، وضِغْنٌ غلا في صدرها كَمِرجَلِ القَيْن! ولو دُعِيَت لتنال من غيري ما أَتَتْ إليَّ لم تفعل! ولها بعد حُرمتها الأولى، والحساب على الله تعالى».

ولو كان المراد هو ما يزعمون لكان مناقضاً للقرآن والحديث والسيرة، أما القرآن فلأنه تضمّن من الآيات في ذم عائشة وحفصة وإلحاقهما بزوجتيْ نوح ولوط عليهما السلام ما سبق ذكره في الفصل الثالث - من كتاب الفاحشة -، وأما الحديث والسيرة فتلكم أحاديث رسول الله والأئمة الطاهرين عليهم السلام التي عدّدنا كثيراً منها آنفاً في ثلب عائشة والقدح فيها، وهي سيرة قطعية تشهد على بطلان هذا التأويل الفاسد الذي يؤوِّل به هؤلاء كلام أمير المؤمنين عليه السلام ويحمّلونه أكثر مما يحتمل.

وينضمّ إلى سيرة النبي وآله عليهم السلام في هذا الشأن سيرة أصحابهم الأبرار، الذين لم يجدوا حرجاً شرعياً في ثلب عائشة بالحق، بل والمطالبة بإهدار دمها وقتلها! كما فعله أبو اليقظان عمّار بن ياسر (رضوان الله تعالى عليهما) في الحديث الذي رواه المخالفون، فقد روى ابن قتيبة في تفاصيل

ما جرى في وقعة الجمل: «وعُرقِبَ الجمل الذي عليه عائشة، وانهزم الناس، وأُسِرَتْ عائشة وأُسِرَ مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان وموسى بن طلحة وعمرو بن سعيد بن العاص، فقال عمار لعلي: يا أمير المؤمنين؛ اقتُل هؤلاء الأسرى! فقال علي: لا أقتل أسير أهل القبلة إذا رجع ونزع ».[١]

والمطالبة بقتل أحدٍ كاشفٌ عن أن المطالِب لا يرى للمطلوب قتله حرمة الدم وهي أعظم الحرمات، فحرمة جرحه أو ثلبه أو التشنيع عليه - وهي أخف - تكون إذ ذاك منتفية عنده بطريق أولى. وعمّار الذي كان من كبار أصحاب رسول الله ﷺ وفقهائهم لا يُتصوَّرُ عنه في هذا المقام إلا أنه لا يرى لعائشة حرمة مطلقاً بحجة اعتصامها بعصمة الزواج برسول الله ﷺ ، فهذه العصمة أو العلقة الاعتبارية تنتفي حين تخونه وتخرج على خليفته، ولذا طالب عمار بقتلها مع سائر أسرى الجمل جزاءً لمحاربتها إمام زمانها، إلا أن هذا الإمام عليه السلام امتنع عن قتلهم على سبيل المنّ دفعاً للمفسدة الأعظم، كما سيتضح لك بعد برهة.

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص97.

وقد سبق منّا مفصّلاً في توطئة كتاب الفاحشة ردّ مزاعم الساعين لتحريم نقد عائشة ولصون ذاتها كما تُصان ذات رسول الله صلى الله عليه وآله ، فراجع .

ومن ثمَّ؛ لا ريب في أن قول أمير المؤمنين عليه السلام : «ولها بعدُ حُرمتها الأولى» لا يحمل بحالٍ إرادة المنع من ثلب عائشة، فهذا تأويل مبالغ فيه. فما هو المراد بالحرمة إذن وما كان القصد من هذا البيان؟ الجواب يكون بملاحظة مجاري الأحكام والتأمل في الأحاديث الشريفة المعلّلة لما وقع من أمير المؤمنين عليه السلام بعد الجمل، فهاك التفصيل.

إن الإنسان إذا أسلم تَحرَّم بحرمات ثلاث هي حرمة الدم، وحرمة العرض، وحرمة المال، ويجمعها عنوان (حرمة الإسلام) مع صرف النظر عن صدق إسلام هذا الإنسان في القلب والسريرة، فحتى لو لم يكن مصدّقاً بقلبه - كالمنافق والشاك - فإنه يكفي أن يصدّق بلسانه ليجري عليه الحكم ويتحرّم بحرمة الإسلام. ولا تنسلخ عنه هذه الحرمة إلا إذا أتى بناقض من النواقض، كالارتداد أو محاربة الله ورسوله صلى الله عليه وآله أو إنكار

الضروري أو الزنا مع الإحصان وما إلى ذلك مما يجوز بسببه قتله و إباحة عرضه[١] وتوريث ماله أو ضمه إلى بيت المال.

و إن المرأة إذا تزوّجت أحداً فإنها تتحرّم بحرمته، فلا يجوز أن يتعرّض لها الرجال، كأن ينكحها أحدهم أو أن يخطبها أو يغريها بالطلاق ليتزوّجها أو أن يجتمع بها - ولو بغير خلوة - دون إذن الزوج ، لأنها حينئذ (حرمة الرجل) الذي يجب حفظه فيها ما دام حياً ولم يطلّقها. فإذا كان هذا الرجل هو خاتم الأنبياء ﷺ فإن الحرمة حينذاك تمتد وتتسع لتكون (حرمة النبي). أما امتدادها فهو إلى ما بعد استشهاده ﷺ فتحرم المرأة على غيره حرمة أبدية، وأما اتساعها فهو لكل ما من شأنه المبالغة في سترها عن الرجال ولذا وجب أن لا تُسأل متاعاً إلا من وراء حجاب وأن تقرّ في بيتها ولا تخرج إلا للضرورة القصوى. ولا تنسلخ عنها هذه الحرمة الخاصة إلا إذا أتت بناقض من النواقض، كالارتداد أو الخيانة أو التبرّج أو الخروج على الخليفة الشرعي وما إلى ذلك مما يجوز بسببه قتلها أو سبيها أو تطليقها و إباحة الزواج بها على ما سبق بيانه في الفصل الثاني.[٢]

---

(١) بمعنى الحكم بفسخ عقد نكاحه ولو في حياته كما إذا كان مرتدّاً، ثم إباحة نكاح زوجته بعد أن تعتدّ.

(٢) راجع ص264 من كتاب الفاحشة.

والشاهد على معنى (حرمة النبي صلى الله عليه وآله) وضرورة حبس زوجته في بيتها وحفظها عن أن تبرز أمام أعين الرجال؛ ما تقدّم من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي أنكر به على طلحة والزبير حين قال: «فخرجوا يجرّون حُرمة رسول الله صلى الله عليه وآله كما تُجرُّ الأَمَة عند شرائها! متوجّهين بها إلى البصرة، فحبسا نساءهما في بيوتهما وأبرزا حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله لهما ولغيرهما»![١]

وهذا المعنى للحرمة تدركه عائشة جيداً، فقد تقدّم أنها حاولت التشنيع على الإمام (صلوات الله عليه) بقولها: «اللهم افعل بعلي بن أبي طالب وافعل! بعث معي الرجال! ولم يحفظ بي حرمة رسول الله»![٢]

إذن؛ فليس المعنى من (حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله) في مثل هذا المقام إلا هذا، وهو أن يُبالَغ في سترها وحفظها في بيتها لئلّا يتعرّض الرجال إليها ولو بالنظر إلى ظلّها.

إذا عرفتَ ذلك؛ فنقول أن الحرمة التي عُنيت بقوله عليه السلام: «ولها بعدُ حُرمتها الأولى» إما أن تكون (حرمة الإسلام) أو هي و(حرمة

---

(١) راجع ص634 من كتاب الفاحشة الوجه الآخر لعائشة.

(٢) راجع ص713 من كتاب الفاحشة.

النبي صلى الله عليه وآله)، وعلى التقديريْن ليس ثمة إرادة أو بيان لحرمة ثلب عائشة، ذلك لأن (حرمة الإسلام) لا تعني إلا حرمة الدم والعرض والمال، و(حرمة النبي صلى الله عليه وآله) لا تعني إلا إرجاع عائشة إلى مسكنها و إرخاء الستر عليها، وهذا ما تمّ.

ولئن سألتَ عن الداعي لهذا البيان من أمير المؤمنين عليه السلام إذا كان هكذا تحصيلاً للحاصل؟ قيل في جوابك: إنه عليه السلام بعدما أفصح في أول كلامه عن إثمها وجُرمها وكشف عن عظيم حقدها وأظهر الشكوى من فعلتها؛ أراد في آخر كلامه إعلام أهل البصرة أنه لن يعاقبها بما تستوجب شرعاً، فقد كان بإمكانه عليه السلام أن يسقط ما لها من الحرمة بعدما هتكتها بنفسها، وأن يقتلها أو يسبيها، إلا أنه استبقاها باستصحاب ما كان لها من الحرمة على سبيل المنّ منه عليها قائلاً: «ولها بعدُ حُرمتها الأولى، والحساب على الله تعالى» فأوكل أمر جزائها إلى ربّه جل وعلا. واستصحاب أو استبقاء حرمتها بعد انتفائها يومئ إليه تعبيره عليه السلام عنها بالحرمة «الأولى»، وقد كان بإمكانه أن يقول مثلاً: «ولها بعد حرمتها والحساب على الله تعالى» إلا أنه أضاف ذلك الوصف بهذا اللحاظ لهذه النكتة على الأرجح .

وبعبارة أخرى: إن عائشة بعد الذي أحدثته من خروجها ومحاربتها لإمام زمانها عليه السلام وقتلها لخيار الناس و إيقاعها الفساد في الأرض؛ لم تبقَ لها حرمة مطلقاً، فكان بإمكان الإمام عليه السلام قتلها أو استرقاقها، كما كان له قتل سائر الخارجين عليه واسترقاق نسائهم واغتنام أموالهم، إلا أنه عليه السلام منّ عليهم كما منّ رسول الله صلى الله عليه وآله على أهل مكة حين فتحها، فصار أهل الجمل من طلقائه عليه السلام ، ومنهم عائشة التي أُرجعت إلى مسكنها في المدينة استصحاباً للحرمة الأولى.

والأحاديث التي تدل على هذا المضمون كثيرة، منها ما رواه الطبرسي والطبري الإمامي عن أمير المؤمنين عليه السلام : «إني مننتُ على أهل البصرة كما منَّ رسول الله صلى الله عليه وآله على أهل مكة، فإن عدوا علينا أخذناهم بذنوبهم، ولم نأخذ صغيراً بكبير».[١]

ومنها ما رواه الطوسي عن زين العابدين عليه السلام إذ سُئِل: «بما سار علي بن أبي طالب عليه السلام ؟ فقال: إن أبا اليقظان كان رجلاً حادّاً رحمه الله، فقال:

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ج 1 ص278 والمسترشد للطبري الإمامي ص393.

يا أمير المؤمنين؛ بما تسير في هؤلاء غداً؟ فقال عليه السلام: بالمنّ كما سار رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل مكة».[١]

ومنها ما رواه الكليني عن الصادق عليه السلام: «الواجب على أمير المؤمنين عليه السلام أن يعدل فيهم حيث كان ظفر بهم كما عدل رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل مكة، إنما منَّ عليهم وعفا، وكذلك صنع أمير المؤمنين عليه السلام بأهل البصرة حيث ظفر بهم مثل ما صنع النبي صلى الله عليه وآله بأهل مكة، حذو النعل بالنعل».[٢]

ومنها ما رواه الصدوق عن الباقر عليه السلام: «لولا أن علياً عليه السلام سار في أهل حربه بالكفّ عن السبي والغنيمة للقيت شيعته من الناس بلاءً عظيماً. ثم قال: والله لسيرته كانت خيراً لكم مما طلعت عليه الشمس».[٣]

---

(١) تهذيب الأحكام للطوسي ج 6 ص154، وأبو اليقظان هو عمار بن ياسر رضوان الله تعالى عليه، وقد مضت رواية المخالفين في أنه كان يصرّ على قتل أسرى الجمل ويحثّ الإمام عليه السلام على ذلك، وحديث زين العابدين عليه السلام يعزو هذا إلى أنه كان رجلاً حادّاً رحمه الله. وقد قال الصادق عليه السلام كما في البحار للعلامة المجلسي ج 5 ص241: «من علامة المؤمن أن تكون فيه حدّة».

(٢) الكافي للكليني ج 8 ص180.

(٣) علل الشرائع للصدوق ج 1 ص150.

ومنها ما رواه الصدوق أيضاً عن الصادق عليه السلام: «إن علياً عليه السلام إنما منَّ عليهم كما منَّ رسول الله صلى الله عليه وآله على أهل مكة، و إنما ترك علي عليه السلام لأنه كان يعلم أنه سيكون له شيعة، وأن دولة الباطل ستظهر عليهم، فأراد أن يُقتدى به في شيعته، وقد رأيتم آثار ذلك، هو ذا يُسار بسيرة علي عليه السلام ، ولو قتل علي عليه السلام أهل البصرة جميعاً واتخذ أموالهم لكان ذلك له حلالاً، لكنه منَّ عليهم ليُمَنَّ على شيعته من بعده».[١]

ومنها ما رواه الطوسي عن الصادق عليه السلام: «إن علياً عليه السلام سار بالمنِّ والكفِّ لأنه عَلِمَ أن شيعته سيُظهر عليهم، و إن القائم إذا قام سار فيهم بالسيف والسبي، وذلك أنه يعلم أن شيعته لن يُظهر عليهم من بعده أبداً».[٢]

ومنها ما رواه الطوسي أيضاً عن الصادق عليه السلام: «لسيرة علي عليه السلام في أهل البصرة كانت خيراً لشيعته مما طلعت عليه الشمس، إنه عَلَمَ أن للقوم دولة فلو سباهم لسُبيت شيعته. قلتُ: فأخبرني عن القائم أَيسير بسيرته؟ قال:

---

(١) علل الشرائع للصدوق ج 1 ص154.

(٢) تهذيب الأحكام للطوسي ج 6 ص154.

إن علياً عليه السلام سار فيهم بالمنّ لما عَلِمَ من دولتهم، و إن القائم يسير فيهم خلاف تلك السيرة لأنه لا دولة لهم».[١]

وهذه الأخبار توقفنا على علة مَنِّ أمير المؤمنين عليه السلام عليهم، إنه لم يمن عليهم لاستحقاقهم ذلك؛ بل منَّ عليهم دفعاً لمفسدة أشد وهي أن يكرّوا بعد استشهاده عليه السلام على شيعته فيسبون نساءهم انتقاماً لسبيه نساءهم بعد الجمل لو كان فعل. و إذ أنبأه الله تعالى بأن لأعدائه دولة جائرة من بعده هي دولة بني أمية؛ عمد الإمام عليه السلام إلى المنِّ ليُتَّخذ ذلك سيرة و يضطر القوم لأن يسيروا بها ولو بداعي المقابلة بالمثل.

وعلى هذا؛ لقد كان بإمكان أمير المؤمنين عليه السلام قتل أو سبي عائشة مثلاً، فهو الإمام وله ما لرسول الله صلى الله عليه وآله ، سواءً قتل وسبى أم صفح وعفا، بحسب ما يراه من المصلحة، إلا أن ذلك لو وقع لاستتبع من المفاسد والمضاعفات الخطيرة ما قد لا يُتَخيَّل، إذ يكفي أنه كان سيُحدث بلبلة واضطراباً في جيشه الذي كان عامّته من المخالفين، وما كان هؤلاء ليتحمّلوا أن يروا عائشة تُسبى مثلاً، و إذ عَلِمَ الإمام عليه السلام ذلك منهم فإنه

(١) تهذيب الأحكام للطوسي ج 6 ص154.

خصمهم حين أصرّوا على سبي سائر النساء بأن يقرعوا سهامهم عليها باعتبار أنها رأس الفتنة وقائد هذه الجماعة الناكثة فسبيها أولى من سبي غيرها! فما كان منهم إلا أن تراجعوا عن إصرارهم مرعوبين!

روى المتقي الهندي عن أبي البحتري قال: «لمّا انهزم أهل الجمل؛ قال علي: لا يُطلَبَنَّ عبدٌ خارجاً من العسكر، وما كان من دابة أو سلاح فهو لكم، وليس لكم أم ولد، والمواريث على فرائض الله، وأي امرأة قُتِلَ زوجها فلتعتد أربعة أشهر وعشراً. قالوا: يا أمير المؤمنين! تحلُّ لنا دماؤهم ولا تحلُّ لنا نساؤهم؟! فقال: كذلك السيرة في أهل القبلة، فخاصموه! قال: فهاتوا سهامكم وأقرعوا على عائشة! فهي رأس الامر وقائدهم! قال: ففرقوا وقالوا: نستغفر الله! فخصمهم علي».[1]

ولو أقدم الأمير عليه السلام فعلاً على سبي عائشة لأدى ذلك إلى انقلاب أكثر جيشه عليه كما انقلب عليه الخوارج في صفّين بعد خدعة رفع المصاحف، ومؤدّى ذلك إما قتله عليه السلام أو خلعه، أو على أقل تقدير إضعاف

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج 11 ص335.

شوكته بما يجعل لمعاوية وحزبه السبيل عليه في برهة قصيرة، بلا صفين ولا نهروان ولا غارات، وإنما هي وقعة واحدة.

ولو أنه عليه السلام أقدم على قتل عائشة لجُعل ذلك أعظم التشنيع عليه، ولصار أكبر محفّزٍ لاجتماع سيوف الناس عليه. وقد صرّح بذلك عمرو بن العاص حين قال لعائشة: «لوددتُ أنكِ كنتِ قُتِلتِ يوم الجمل! فقالت: ولِمَ لا أباً لك؟! فقال: كنتِ تموتين بأجلك وتدخلين الجنة، ونجعلكِ أكبر التشنيع على علي»![١]

هذا ناهيك عمّا أفصحت عنه الروايات الشريفة المزبورة من أنه عليه السلام لو لم يمنّ لجرى سبي نساء شيعته من بعده وهتك أعراضهن. فلهذا استبقى أمير المؤمنين عليه السلام حرمة عائشة الأولى، لا لاستحقاقها؛ بل لاستحقاق شيعته، ولتفويت الفرصة على أعدائه من أن يشنّعوا ويؤلّبوا عليه أكثر، ولحفظ تماسك جيشه الذي لم يكن قد تبصّر بالحق بعد، وإنما تبصّر لاحقاً بعد مقدّمات وأعمال، كما سبقت الإشارة إليه في التوطئة.

---

(١) الكامل للمبرد ص70 وشرح النهج لابن أبي الحديد ج 6 ص322.

وهذا هو معنى ما أنشأه عليه السلام حين قال: «ولها بعدُ حرمتها الأولى»، فهو لا يعني أن لها كرامة أو مقاماً يمنع من ثلبها أو القدح فيها، كيف وهي التي انتهكت هذه الحرمة بخروجها وتبرّجها تبرّج الجاهلية الأولى؟! وإنما كلامه عليه السلام ناظر إلى استصحاب حرمة دمها وعرضها، وإرجاعها إلى المدينة لتكون حبيسة بيتها إلى أن يتهيأ تطليقها وإباحة نكاحها،[١] كل ذلك منّاً منه عليه السلام عليها وعلى سائر أهل الجمل الناكثين، لا أكثر من ذلك.

---

(١) راجع ص278 من كتاب الفاحشة حيث ذكرنا أن الحسين عليه السلام طلّقها في زمانه.

إجرامٌ يطال الأيتام بالضرب المبرّح !

أمرنا الله تعالى بأن نعطف على اليتيم ولا نقهره، فقال عزّ من قائل: «فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ»،[١] كما أمرنا سبحانه بأن نُحسن إلى اليتامى إذ قال في محكم في كتابه: «وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ»،[٢] ولأهمية ذلك جعل الله الإحسان إلى اليتامى من ميثاقه الذي أخذه من بني إسرائيل، حيث قال سبحانه: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي

(١) الضحى: 10

(٢) النساء: 37

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ».[١]

وقد أوصى نبينا الأكرم ﷺ بالشفقة والعطف على اليتيم بأروع الوصايا التي جذبت قلوب الناس إلى الإسلام، إذ رأوا فيه تلك الرحمة الواسعة التي لا يحدّها حد، فكان من قوله ﷺ: «كن لليتيم كالأب الرحيم»[٢] وقوله: «ادنُ اليتيم منك، وألطفه، وامسح برأسه، وأطعمه من طعامك، فإن ذلك يليِّنُ قلبك وتدرك حاجتك».[٣] وبلغ من وصايته ﷺ باليتيم أن ضَمِنَ على مَن يتكفّله بأن يكون رفيقاً له في الجنة! فقال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا. وقال بإصبعيه السبابة والوسطى».[٤]

---

(١) البقرة: 84

(٢) كنز الفوائد للكراجكي ص194 ومجمع الزوائد للهيثمي ج 8 ص163.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ج 47 ص153 وكنز العمال للمتقي الهندي ج 16 ص221 ومصنف عبد الرزاق الصنعاني ج 11 ص97.

(٤) صحيح البخاري ج 6 ص178 وموطأ مالك ج 2 ص948 ومسند أحمد ج 5 ص333 وغيرها كثير.

وقد أنذر ﷺ مَن يُبكي اليتيم بأن عرش الجبار يهتزّ إثر ذلك! وأوعد من يسكت اليتيم عن البكاء بالجنة، فقال ﷺ : «إن اليتيم إذا بكى اهتزّ له العرش! فيقول الرب تبارك وتعالى: مَن هذا الذي أبكى عبدي الذي أسلبتُه أبويه في صغره؟! فوعزّتي وجلالي لا يسكته أحد إلا أوجبت له الجنة».(١)

وكان من تعاليم مولانا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قوله: «ما من مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على رأس يتيم ترحّماً له إلا كتب الله له بكل شعرة مرّت يده عليها حسنة».(٢) وكذا قال إمامنا الصادق صلوات الله عليه: «ما من عبدٍ مسح يده على رأس يتيم رحمةً له إلا أعطاه الله بكل شعرة نوراً يوم القيامة».(٣)

هكذا هي تعاليم السماء وسيرة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام . والآن قارن ذلك بسيرة عائشة في التعامل مع الأيتام.

---

(١) ثواب الأعمال للصدوق ص200.

(٢) المصدر نفسه ص199.

(٣) المصدر نفسه.

روى البخاري بسنده عن شميسة العتكية قالت: «ذُكِرَ أدب اليتيم عند عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت: إني لأضرب اليتيم حتى ينبسط»!(١)

وروى ابن الأعرابي بسنده عن شعبة عن شميسة العتكية قالت: «سألتُ عائشة عن أدب اليتيم، فقالت: إني لأضرب أحدهم حتى ينسبط»!(٢)

و إنْ أردتَ معناه فهاكَ إيّاه من الصغاني إذ يقول: «وأسْبطَ: أي امتدَّ وانبسطَ من الضرب! ومنه حدَيث عائشة رضي الله عنها: أنها كانت تضرب اليتيم يكون في حجرها حتى يسبِط؛ أي يمتدَّ على وجه الأرض»!(٣)

وروى الزمخشري: «عن عائشة رضي الله عنها: إنها كانت تضرب اليتيم وتلبطه»!(٤)

---

(١) الأدب المفرد للبخاري ص41.

(٢) معجم ابن الأعرابي ج 1 ص247.

(٣) العباب الزاخر للصغاني - مادة: سبط.

(٤) الفايق للزمخشري ج 3 ص186.

وإنْ أردتَ معناه فهاكَ إيّاه من ابن منظور إذ يقول: «وفي الحديث: أن عائشة رضي الله عنها كانت تضرب اليتيم حتى يتلبّط، أي ينصرع مُسبطاً على الأرض ممتدّاً! وفي رواية: تضرب اليتيم وتلبطه، أي تصرعه إلى الأرض»![١] وهاكَ أيضاً ما يقوله ابن الأثير: «ومنه حديث عائشة: تضرب اليتيم وتلبطه، أي تصرعه إلى الأرض»![٢]

يا لهذه المرأة المتوحشة التي ليس في قلبها ذرة من رحمة أو شفقة!

إنه لم يبلغنا عن عتاة المشركين في الجاهلية أنهم صنعوا مثل هذا الصنيع مع الأيتام، بل كان غاية ما يصنعون أنهم لا يكرمون اليتيم ويدعّونه أي يدفعونه عن حقه كما قال سبحانه: «كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ»[٣] وقال: «أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۞ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ».[٤]

ولئن بلغت بأحدهم القسوة مبلغها فلعلّه كان يضرب اليتيم أو يدفعه في صدره، أما أن يضربه بشكل متواصل ضرباً مبرّحاً موجعاً حتى ينسبط

---

(١) لسان العرب لابن منظور - مادة: لبط.

(٢) النهاية لابن الأثير ج 4 ص226.

(٣) الفجر: 18

(٤) الماعون: 3 - 2

ويتلبّط ويُصرع أرضاً من شدة الضرب.. فهذا ما لم نجد له نظيراً في سيرة أحد إلا هذه المرأة المفترسة المتوحشة!

وبعد.. كان إجرامها يعمّ حتى الحيوانات!

قد بدأنا بتعداد بعضٍ من جرائم عائشة لبيان طبيعتها الوحشية الإجرامية، وأنها امرأة دموية كانت ميّالةً إلى العنف والإرهاب وسفك الدماء. وقد أوردنا الأحاديث والآثار التي عرّفتنا أن جرائم عائشة عمّت الإنس والجن! أما الإنس فدونك الجمل وما قبله وما بعده، وأما الجنّ فقد مضى في بداية هذا الفصل أنها قتلت جاناً مسلماً بريئاً!

ونختم بحديث يعرّفنا أن جرائمها عمّت حتى الحيوانات البريئة إذ كانت تضربها بما استدعى انتهاراً من رسول الله صلى الله عليه وآله .

روى مسلم وأحمد بن حنبل والبيهقي واللفظ للأخير عن عائشة «أنها كانت على جمل فجعلت تضربه! فقال النبي ﷺ : يا عائشة! عليكِ بالرّفق، فإنه لم يكن في شيء إلا زانه، ولم يُنزع من شيء إلا شانه».(١)

أقول: شتّان ما بين منهاج الرسول الأعظم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام في التعامل مع المخلوقات ومن بينها الحيوانات؛ وبين منهاج عائشة وأمثالها! ففي الوقت الذي يأمر فيه رسول الله ﷺ بالرفق بالحيوانات؛ تضرب عائشة حيواناً بريئاً!

قال رسول الله ﷺ : «إن الله تبارك وتعالى يحب الرّفق ويعين عليه، فإذا ركبتم الدواب العجاف فأنزلوها منازلها، فإن كانت الأرض مجدبة فانجوا عليها، و إن كانت مخصبة فأنزلوها منازلها».(٢)

ولئن أردتَ المقارنة؛ فقارن بين تعامل عائشة مع دابّتها وبين تعامل الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام - مثلاً - مع دابّته، فقد قال

(١) صحيح مسلم ج 8 ص23 ومسند أحمد بن حنبل ج 6 ص125 سنن البيهقي ج 10 ص193 وشعب الإيمان له أيضاً ج 7 ص480.

(٢) من لا يحضره الفقيه للصدوق ج 2 ص289.

الإمام الصادق عليه السلام: «حجّ علي بن الحسين عليهما السلام على راحلته عشر سنين ما قرعها بسوط».[١]

أجل.. هكذا هي أخلاق أهل بيت الرحمة (صلوات الله عليهم) وتلك هي أخلاق عائشة التي لو كانت حيّة في زماننا لتظاهرت ضدّها جميع منظمات حقوق الحيوان في العالم!

ناهيك عن منظمات حقوق الإنسان! ولربّما تتظاهر منظمات حماية البيئة ضدها أيضاً! فإن امرأة تخرج عن طبيعة الإناث وتتحوّل إلى وحش كاسر يفتك بالإنس والجن والحيوان بما لا يفعله أعتى العتاة الرجال في العالم؛ هي امرأة يُخشى على كوكب الأرض منها ومن جرائمها! فأنّى لأرضٍ أن يعمّها الخير والسلام والأمان والبيئة النقية وفيها عائشة؟!

لقد كانت عائشة امرأة مجرّدة من الضمير الإنساني، بل والحيواني! كانت كالجماد، كالحائط! لا ضمير ولا مروءة ولا إحساس ولا مشاعر! ولسنا في ذلك نتجنّى عليها أو نبالغ، فها هي أم المؤمنين أم سلمة (رضوان الله عليها) قد عرفت كنه عائشة تمام المعرفة فقاطعتها بعد معركة الجمل

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج 11 ص543.

ولم تكلّمها حتى آخر لحظة من حياتها، ولمّا حاولت الحميراء استرضائها ردّت عليها بقولها لها: «يا حائط»!

روى البيهقي «عن عائشة رضي الله عنها أنها دخلت على أم سلمة بعد رجوعها من وقعة الجمل، وقد كانت أم سلمة حلفت أن لا تكلّمها أبداً من أجل مسيرها إلى محاربة علي بن أبي طالب، فقالت عائشة: السلام عليك يا أم المؤمنين. فقالت: يا حائط! ألم أنهكِ؟! ألم أقل لكِ؟! قالت عائشة: فإني أستغفر الله وأتوب إليه، كلّميني يا أم المؤمنين! قالت: يا حائط! ألم أقل لكِ؟! ألم أنهكِ؟! فلم تكلّمها حتى ماتت»![١]

وإن من الحسن أن يُجعل نبز (الحائط) لعائشة عند المؤمنين والمسلمين اقتداءً بالسيدة الجليلة أم سلمة سلام الله عليها، فيقال: عائشة الحائط!



(١) المحاسن والمساوئ للبيهقي ج 1 ص481 ونحوه في الحاوي الكبير للماوردي ج 15 ص995 وقد حملوه على دعوى فرار أم سلمة عليها السلام من الحنث بيمينها أن لا تكلّم عائشة، ولا يخفى وهنه.)

الفهرس

هذا هو الجانب الأكثر قتامة في شخصية عائشة بنت أبي بكر، أنها كانت ذات نزعات وحشية عدوانية، فلا ترقُبُ في المؤمنين إلاًّ ولا ذمة، ولا تعبأ بقتل الأبرياء وإهدار دمائهم، فتأمر بالقتل وتفتي بسفك الدماء، وتحضّ على الحرب وتحرّض على الاعتداء، كل ذلك عندها يهون إذا كان في سبيل تحقيق طموحاتها السياسية وآمالها الشخصية!

